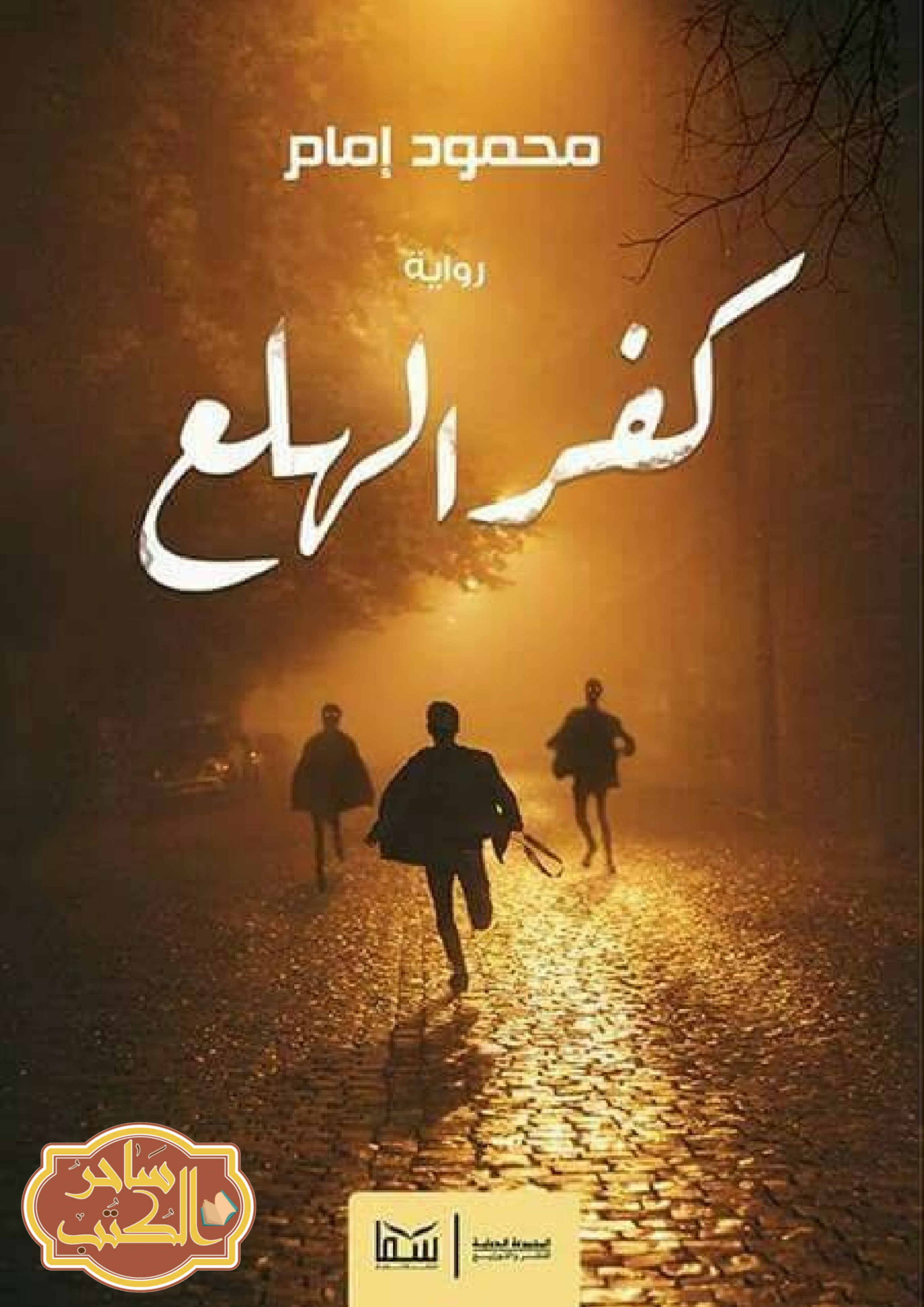

محمود إمام
رواية
كفر الهلع
ساحر الكتب



رواية

كفر الهلع

محمود إمام







كفر الهلع

محمود إمام

الطبعة الأولى: يناير
١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
دار الكتب المصرية
محمود إمام
كفر الهلع
إمام ، محمود - القاهرة: سما للنشر والتوزيع، ٢٠١٨
٢٨٨ ص؛ ١٣,٧×١٩,٥سم - (كفر الهلع)
تدمك ٥-١٦٧ -٧٨١-٩٧٧-٩٧٨
أ. العنوان
رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٢٦٣
تدمك ٥-١٦٧ -٧٨١-٩٧٧-٩٧٨



دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية
١٥ ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة
تليفون: ٢٤٥١٧٣٠٠ +٢٠٢ - ٠١٢٧١٩١٩١٠٠ +٢
email: samanasher@yahoo.com
Web-site: publishing@sama-publishing.com

التوزيع
المجموعة الدولية للنشر والتوزيع
٨٠ ش طومان باي - الزيتون - القاهرة - جمهورية مصر العربية
تلفاكس: ٢٤٥١٨٠٦٨ +٢٠٢ - ٠١٠٩٩٩٩٨٢٤٠ +٢
yahoo.com@email:aldawleah_group١

التنفيذ الفني



دَرَج للاستشارات وخدمات النشر
ali@daraj-eg.com



كفر الهلع

محمود إمام



إلى ذلك الحلم الذي ظل يطاردني،

إلى تلك الحبيبة المجهولة،

إليكم أنتم.

أقدم روايتي التي أتمنى أن تنال رضاكم،

وأتمنى الحصول على مكانة خاصة داخل

قلوبكم جميعًا.





الهلع !





لم أكن أتخيل يومًا، أن أعيش أبشع كوابيسي!

كابوس لا استطيع الهروب منه،

كابوس يمكنه أن يستمر إلى أخر عمري!







الموقـف الكبير الـذى تترصــص داخلـه «سـيارات الأجرة»بغزارة مفجعة يميناً ويساراً بشكل عشوائي، لو كان هناك سقف لذلك الموقف لكان فوقه أيضاً «سـيارات أجرة»تسـتعد لإنتشـال القـوم داخلها بنهم، تلتقـط الأفراد السـائرون..الباحثون عـن ملجأ يأخذهـم و يضعهم في منازلهم مثلما أريد.

الأن فـي تلـك اللحظـات، منزلـي الـذي يبعـد مسـافات طويلـة.. تـكاد أن تتجاوز عدة محافظات، سأسـافر إلى منزلـي العزيز من حيث



أتيـت.. ها أنـا أقف في إنتظار إحـدى السيارات"المشـروع "، كنت قد أنهيـت إجـراءات "حفل توقيـع" كتابي الجديد واسـتقبلني قـراء مدينة «المنصورة»بحفـاوة شـديدة...ولهم مني جزيل الشـكر حقاً، وعدتهم بتكـرار الزيـارة مع إبتسـامة ودودة صادقـة، رواياتي إجتماعيـة جداً، قد أثارت ضجة بسـيطة داخـل المجتمع إلى الأبد، لكنني أكملت المسـير على أي حال.

وها أنا أغادر بلدة «المنصورة «متجهاً إلى مدينة «القاهرة»حيث منزلي الأمـن، في إنتظـار إحدى العربـات التي تحمل أسـفلها عجلات جلدية أمنة، تسـير عبر الطـرق وعلى الرمـال، وعلى أي شـيء، المهم أن أصل إلـى منزلي معـزز مكرم، أنا منهك ومرهق وخار القوة، انظر إلى سـاعتي الملفوفة حول معصمي غالية الثمن، اقترب عقربها ناحية الرقم٧، سأنام داخل المنزل ولن يهزني شيئًا، أو يجعلني أتراجع عن النوم .

إهتزاز السـيارة يؤنسـني كالطفـل الرضيع الذي تحتضنـه أمه وتقوم بهدهدته يميناً ويسـاراً، جلسـت ناحية اليسار، اضع حقيبتي أسفل ذلك الكرسـي الذي أمامي...احشـرها حتـى إحتكت بقدمـي، أخرج كتابي كأنيي أراه لأول مرة ...أو للتباهي !!!

حيـن يسـألني أحـد المثقفـون الذين يجلسـون مصادفـةً بجواري، لمن هذا الكتاب؟أقـول بكل فخر « لي» ينظرون نحوي لتتغير نظراتهم بالإحتـرام، ثـم أعطيهـا لهم عن طيـب خاطـر، واطلب منهـم برفق أن يعطونـي رأيهم بعد قرائتها، أو يرسـلون لي نقـداً بناءً عبر صفحتي على



«فيس بوك»، ابتسم وأتجنب الحديث معهم، حتى لا تضيع معالم الإحترام في أعينيهم، ويهملون قرائتها، ويرمونها فور دخولهم المنزل، قائلين «رواية صديقٍ ما، سوف أقرأها يوماً ما»، لا يراها سوى على رف مكتبته .

ها أنا أفكر في ذلك الأمر...تلك المرة لم يجلس أحد حتى ظننت أني المسافر الوحيد، انظر من النافذة لرؤية المارة وهم يسيرون في كل إتجاه، لماذا تجاهلوا تلك السيارة؟!لو كانت هيئتها لا تليق، لظننت أنهم ينتقون الأرقى !!، عليَّ الإعتراف، لقد كان لونها «داكن»بعض الشيء، لم يلفت إنتباهي هيئتها مطلقاً، فالأهم أن أصل إلى منزلي حتى لو جلست على أريكة ينبعث منها القش بإهمال!..أريد العودة إلى منزلي وهذا كل شيء.

خرجت من السيارة بعد تأكدي من وجود حقيبتي أسفل الكرسي الذي كان يقبع أمامي مباشرةً، وأدخلت كتيبي الصغيرورتبت عليه كولدي الصغير، خرجت نحو القوم متسائلاً..! المهم أني أحمل تساؤلاً لا أعلمه!!! ، اقتربتُ من أحد المارة وقلت بهدوء يشوبه التعب:

- ماذا تنتظرون ؟

قال هو الأخر في تعب أكثر مني بالطبع :

- أاااه ننتظر أحد الميكروباصات الذاهبة إلى القاهرة .

اتسعت عيناي و قلت :



- أتمـزح !!؟ «أشـرت نحو المشـروع الذي وضعـت به»حقيبتي هذا ذاهبٌ إلى هناك، تعالى معي كي يكتمل ونذهب من هنا ...

قال كالتائه :

- لا لا لقد أتى أحدهم .

وأسـرع يختفي من أمامي، يقتحم الزحام ويدخل في فم السـيارات التي تستعد للإنطلاق، لا أدري هل سينام أسفل الأقدام مثل حقيبتي!؟، السـيارة فعلاً مزدحمة للغاية، ولا تسمح بوجود شخص أخر، بداخلها أسـراب من البشـر، عجيب ذلـك الأمر !! لقـد كانت سـيارتي الذاهبة إلـى القاهرة قد بدا زجاجهـا يُلَمّح بوجود زبائن كُثُر حجزت الكرسـي الذي أنا فوقه بالطبع، الجميع أحترم الحقيبة الموضوعة فوق الكرسي، وانتظرونـي حتـى أتيـت، أووووه...سـوف تنطلقِ رحلتي، وهـا أنا في طريـق عودتـي إلى منزلي حيث الأمـن والأمان، أدخل يـا كتابيّ العزيز داخـل الحقيبـة، فأنا ذاهب إلى رحلة داخـل «دهاليز الأحلام»، لكن ما يمنعنـي وجود «فتاة جذابة» تجلس جوارى ..كيف سـأنام؟!فلو حدث مثلاً وخرج مني صوت من منخاري، ، بالطبع صوت يعلمه الجميع!!، جميع المرهقون والمنهكون والمستنفذون، سـوف أُحـرج بالطبع!!، ولـن أجرأ علـى النظر إليهـا، ولما لا !؟ لـن أراها مـرة أخرى...النوم، النـوم، النـوم، لا يوجـد مجال للنـوم، السـيارة سـتنطلق وتذهب نحو الطريق السـريع المخصص للسـفر...انطلقت بالفعل بهـدوء، تتخطى الأشخاص والسيارات وتفر من ذلك الموقف الممتلئ.



وَضَعَتْ عجلاتها السوداء الجلدية داخل أمعاء الطريق « السريع»، وسارت وارتفعت أصوات المحرك، يا قائد السيارة يجب أن تغير زيت المحرك قريباً!!، لا..لا يهمني ذلك الأمر، المنزل في انتظاري كي أصل إليه في أسرع وقت «يجب أن أنام» وأتلاشى وجود فتاة بجواري، وأتلاشى صوت المحرك المتصاعد و تلك الخبطات التي كلما وضعت رأسي ناحية الجانب الأيسر لزجاج السيارة، تأتي السيارات وتلطمني بهدوء وكأنما تقول «كف عن عبث الطفولة، «لن تنام»، تأملت الأشخاص الذين كانوا في السيارة، صامتون كالتماثيل، مريبون كالذئاب، إلا الفتاة التي كانت بجواري، تبدو طبيعية.

***

لا تفتحي معي حديثًا ..

فأنا كاتب سوف أُقحم حديثك هذا داخل كتاباتي، في شخصية عابرة، أتت ورحلت وتؤثر في الأحداث، تعلمت أن أي شخصية توضع بالرواية يجب أن تكون مؤثرة وذات بُعد نفسي، أتعاطف مع جميع الشخصيات التي أكتبها، حتى الشخصيات المصابة «بداء الشر»، ابحث في سجلات الطفولة سوف تجد ما أثّر بها!!!من جعلها بذلك الطابع الشرير...شاهدت الأب يضرب الأم ويُحدِث بها إصابات، دست الأم ترياق الشر داخل أذن الطفل أو الطفلة، حتى بعدما يبلغ أشده ينتقم من الأب شر إنتقام...لذلك لن أصرح للتي تجلس بجواري أني «كاتب» .



وجـود إمـرأة بجواري جعل النوم يفر مـن جفوني، خصوصاً بعدما لمحت جمالها الخارجي، لا نوم..لا نوم، ارتفعت نبرة السائق ليسمعها الجميع:

- سـوف اختصـر المسـافة، وأدخـل عبر طريـق مختصر، هـل لأحد مانع!؟.

لقد وافق الجميع بالصمت، لقد أسـلمناك كـروت الموافقة الذهبية بالصمت..كف عن الحديث، فقط وَصِّلنا إلى منازلنا في أسرع وقت يا هذا، هناك شيء مريب!!!حَدثي ينبأني، تخيلت ألاف الحوادث، ألاف الأشياء البشعة، وتلاشيتها دفعة واحدة...

هـا نحـن الأن صامتون، نهتـز يميناً ويسـاراً ولا نعتـرض كراقصي السامبا، لقد ذهب تفكيري إلى نقطة بعيدة كل البعد عن الطريق والسفر ، لماذا المكان الذي إرتكنت فوقه «سـيارة المشروع»التي امطتيها الأن داكن اللون إلى حدٍ كبير؟!بالرغم من أننا بالفعل داخل دهاليز الظلام!!و لماذا لـم يراها ذلك الشخص الذي هرع واقتحم المارة ودس جسده في السـيارة الأخـرى، هـل كان ذهنه مشـتت أم أنها مجرد أفكار سـوداوية كشـفها ذهني الملبب بالإرهاق الشديد!؟كل النقط تصلح لكتابة رواية رعب شديدة السواد.

***

قالت الفتاة بهدوء:



- إلى أين ننطلق؟

هل تسألني أنا!؟أم هو سؤال مبهم يحتاج لإجابة من أي شخص بالعربة !؟أسرعت بقول:

- السائق يتخذ طريقاً مختصراً...يبدو أن هناك حادثة بالطريق العمومي..

نظرت إليَّ ببراءة و أماءت برأسها متفهمة، وهي تنظر إلى الطريق بلهفة...لا أخفي هذا أود أن أعلم ما حكايتها ، جميعنا نرغب في معرفة أسرار الفتيات الجميلات، هي فتاة جميلة ولن أصفها!!فيمكنك تشبيهها بالممثلة الأجنبية «جينيفر انيستون»عن ثقة وجدارة...وتتحدى بها أي شخص، أتشبهها أم لا؟ ، بالطبع تشبهها!!، أااه...يمكنك النظر إلى «زبيدة ثروت»لماذا لم تذهب إلى «هوليوود»كي أصف جمال عربي أصيل، دعنا منها الأن، ذلك الطريق مظلم، مظلم بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، كأننا دلفنا تواً إلى مغارة مهجورة، سواد، ثم سواد، رواد العربة صامتون كالأحجار، إلى أين تأخذنا أيها اللعين!؟، لن أترك خيالي يرشدني، فخيالي أشبه بعالم ممتلئ برعب دموي، كفى كفى، هتفت إلى السائق :

- أين نحن ؟لماذا الطريق مظلم وحالك السواد هكذا !؟

لم يُجِب وهو يقود، أكره ذلك الأمر ، فأعيد ترديد السؤال بصوت أعلى، ولا يجيب.



هل السـائق توفى على عجلة القيادة!؟لا إنه يمسـك المقود بجدية وحزم!!الأمر الغريب أنه لا يجيب!!، لك أن تتخيل أن تسير في الظلام فقـط، دون أضواء مدينة تقتـرب، أو مصابيح بالطريق، فقط هو الظلام، لا يربكها سوى ضوء السيارة، وصمت قائدها.

قالت الفتاة التي بجواري :

- لماذا لا يجيب السائق!؟، أشعر بالخوف ..!!

حاولت أن أطمئنها قليلاً، قائلاً :

- يبدو منهك!لقد عذرته ...

قالت الفتاة وهي تردد :

- لماذا جميع من بالعربة صامتون!!؟

ضحكت لها وقلت في سرعة:

- لا الجميع هنا يمتلك فم مثلنا، أنتِ فقط لم تسألي فرد منهم..

لففت برأسـي للوراء، لأرى شـخصًا يرمقني «بعيون جامدة»كحجر نقش على وجهه أدمي...ذلك أقل وصف، فنظرته الجامدة تثير القلق و الرعب كأني قتلت شقيقته!!فقلت بمرح كعادتي كأني لم أشاهد جمود وجهه :

- ألا تعلم أين نحن !؟

عيناه ترمقني أكثر وأكثر ، الفتاة تنظر إليه في خيفة وترتعد، شـعرت بها وإحتكت قدمها رعشةً بي...



ثم تعاود النظر إلى الطريق، لازلت انظر إلى الرجل وانتظر إجابة!!أعاود طرح السؤال:

- ألا تعلم أين نحن، وأي طريق سلكنا!؟لقد حدثت السائق ولم يجب!!!

مهلاً!!لقد حسبت الجميع يخلدون في النوم، لقد كانوا منذ دلوفنا إلى العربة ينظرون إلينا!!لقد تلافيت ذلك الأمر، قلت على ما يبدو هيئتنا مختلفة عنهم، !!أكثر رقي، كأننا حالة شاذة وغريبة!!لقد إلتفت إلينا جميع من بالعربة!!حتى السائق، نعم السائق نفسه!!الشيء الغريب، أن كل خيال أحمق طرء على مخيلتي الحمقاء، طرح عليَّ كل الحقائق المرعبة المتوقعة، لن أصف لكم مدى الرعب الذي أصاب أوصالي، أااه.... ماذا أقول، لن تصدقوا بالمرة، لقد اختفت الحدقات السوداء، ليحتلها بياض، معذرةً في التشبيه القبيح «بيضتان مسلوقتان»إحتلتا مكان العين، ذلك أدق وصف بالطبع، هل أنا أحلم!؟قلت للفتاة وأنا أصفع نفسي:

- أصفعيني هكذا!!، هل أحلم أنا!؟

تنظر إليّ بحذر وخوف، أكاد أرى خيال دمعة هبطت منها خوفًا، تطالبني بالصمت والإستسلام للرعب،

قلت:

- لا عليكي سوف أصفع نفسي أنا.



لقـد لطمتني مـرة، ومرة أخرى، حيث تأكدت أنه لم يكن حلمًا على الإطلاق، انظر إلى ذلك الشـخص خلفي، أاااه...لا يوجد حدقات، تباً لأفلام هوليوود اللعينة وأفلام الزومبي .

أدير رأسـي بآليّة كأني أتلاشـى النظر إليهم، أقسم لكم، لا أدري أين وضع قلبي، لقد شعرت بأن كياني كله ينبض، أنا والفتاة فقط «طبيعيين»، لقد تجمدنا بموضعنا، منتظرين ماذا سيفعلون بجثتنا!!؟

ها قد بدأ الرعب...السيارة تتوقف في الظلام، لماذا أيها الغبي!؟لقد كان محركهـا يؤنسـني، ويعطيني أمل في العودة إلـى منزلي حيث النوم ..النـوم فقـط، الـذي هـرب وفـروا انتابنـي الهلـع الصامـت، لا أحلم هاهاهاها...أنـا لا أحلم هاهاهاها نطق الشـخص الذي كان بالوراء، اللعين الذي خاطبته وتجاهلني ولم يجبني:

- لقد وصلنا.

ها قد بدأ الحديث..قلت بتلقائية:

- وصلنا إلى ماذا!!؟

قالت الفتاة وهي تلكزني بيديها الرقيقة المرتعشة:

- اصمت ..اصمت.

لقـد إرتجـل السـائق وهبط من السـيارة، ليفتـح باب السـيارة الذي يجاورنا، السائق دون «حدقات»لا تنسوا! قال بآليَّة :

- تعالا!



أاااه..كل هـذا من أجلنا!!كل ذلك الجمع من أجلنا!!، هل كانوا في انتظارنـا، مهلاً!!أنا لا أعلم شـيئًا عن تلك الفتـاة، لكنها لا تبدو مثلهم، من يقصد!؟من يقصد بجملة «تعالا»أااه..بالطبع يقصد قومه السـاكنين بالسـيارة نحـن جميعًا، وليس «نحن»، سـوف أسـكن فـي مكاني قليلاً حتى أتاكد من ندائهم لي.

من في السيارة!!؟أااه..حقاً!!هل تقصدنا نحن!!؟

لقـد سـحبت حقيبتـي التـي كانـت بالأسـفل، وهبطنا بإحتـرام من السـيارة، الفتـاة الرعديـدة إلتصقت بـي، وهـا نحـن بالعـراء، هل نحن بالصحراء!؟يمكن أن ألقبها بالصحراء،

- ها ماذا تريد يا هذا، ماذا تريدون «مننا» تحديداً.

قال الرجل بإهتمام شديد وهو يشير نحو الطريق المظلم:

- سـوف تسيران عبر ذلك الطريق، حاولا أن تركضا بأقصى سرعة، إن أمسـكنا بكم سـتصبحون لنا. حاولا الهرب والإختباء فهؤلاء القوم يفضلـون تلك اللعبة، إن طلعت شـمس النهار يمكنكم إعتبار أنفسـكم قد نجيتم...هذه هي مهلتكم.

قلت للفتاة:

- هل معكِ كل أدواتك...الحقيبة كل شيء؟

تنظـر الفتاة برعب نحوي!!لمـاذا تصاب الفتيات برعـب دائماً عند الخطر!؟قلت لها ببرود :



- يجب أن نركض

أمسكت يدها وأخذنا نركض، ونركض ننظر خلفنا، القوم صامتون ساكنون، يراقبوننا، كأنهم يقولون هل هذا أقصى ماعندكم!؟

لا تظهر مدن، لا شيء مطلقاً سوى الرمال، وخفقات قلوبنا، أما هؤلاء فقد استعدوا للعدو معنا، فقد ركضوا على «أربع أقدام»وكأنهم ذئاب!!نعم بالفعل، يركضون على «أطرافهم الأربعة»ويسرعون، لقد إنقلب السحر على الساحر، «مؤلف روايات»يقع في أحط رواية يمكنك قراءتها، ولا يمكنه الصمود؛لكنه صمد، يجب أن أصمد إلى النهاية...لقد أتت قصة رعب مميتة تسير وتركض نحوي، والفتاة تُعَطِلُني كثيراً بركضها البطيء، وددت لو أوقعتها أرضًا لتلهيهم قليلاً عني، «زيدي من سرعتك يا فتاة نحن على وشك الموت»

مهلاً!!أمحتمل أن يكون مقلبًا في إحدى البرامج الهزلية!!؟لا الأمر يبدو طبيعيًا للغاية، وغريبًا، هؤلاء القوم يستمتعون بالغنائم التي تركض..لا وسيلة للنجاة!!هاهاهاها أدنى وسيلة.

***





لقـد ظهر لنا «بقرةٌ حمـراء اللون» كيف عرفت!؟لونها يا سـادة مثل «فنجـان القهـوة الغامق قليلاً» الليل يكشـف القليل مـن الضوء، ميزت لونهـا على ضـوءٍ خفيفٍ أتى من الظلام، يبدو أن القمر قد أعلن ظهوره وسط السحب الداكنة كي يعطي إنطباعًا عن «رعب ذلك اليوم».

هنـاك «يافطـة» تدلت مـن رأسـها، «رأس البقرة»وليسـت الفتاة... اقتربـت منها ورأيـت جملة «إركبانـى، ولـن يروكم»اللامنطقية!!، لقد اقتربـوا مننـا بالفعل، حتى أوشـكوا علينا بمسـافات، قليـلاً وأرمي لهم الفتاة، كي تريحني وتزيح عن كاهلي الإهتمام بها .



تباً لي !!المعذرة لأفكاري، أشرت للفتاة أن تبطئ من سرعتها «سنركب تلك البقرة»، إعترضت الفتاة، لم أعطها إذن للإعتراض، وأنا أسحبها من يدها، وجلسنا فوق البقرة التي كانت تسير على الجانب الأيسر من الطريق، وشاهدناهم يهرعون أمامنا تحديداً «عشرة»، عشرة أفراد يلهثون كالجراء، قد أوشكوا على الإختفاء من أمامنا.

***

لقد شاهدناهم يركضون أمامنا كأننا لسنا مقصدهم، أوووه اللعنة!!لقد نجونا ذلك اليوم!!سوف نسير فوق تلك البقرة إلى ما لا نهاية، حتى يأتي الصباح ونأخذ سيارة، سيارة !!؟لماذا لا نرى أدنى ظل لها!؟لماذا الطريق صامت قامط لا يغيره سوى عاصفة بسيطة من الهواء، ذلك الطريق الذي يشبه الطرق السريعة التي أعلمها، مرصوف بعناية إلى ما لانهاية، على جانبه الأيسر، جبالاً طويلة ممتدة، لم أدرك نهايتها بعد .

البقرة المكسينة تسير بهدوء مُمِل، الفتاة خلفي تتحاشى التمسك بي، أدركت أخلاق تلك الفتاة، ليس كل رجل غريب يمكنها التمسك به حتى وهي تسير أسفل مظلة الخوف، الفتاة جميلة بالفعل

قلت لها :

- من أين أنتِ؟

تصمت بخوف أقدره، ثم تجيب :

- أنا من الزمالك.



- زمالك!!!حسناً، لماذا أتيتي إذن إلى المنصورة؟

انفجرت في البكاء، حتى أصبح الطريق يعيد لنا صدى صوتها الباكي، قلت :

- أوووه ، حسناً سيدتي هل يمكنك الكف عن البكاء حتى لا يسمعونا، ويأتوا لمسح دمعتك الحزينة بأنفسهم؟

قالت بجدية مخلوطة بنبرة باكية ثم تسحب الهواء ممزوج «بشحتفة»:

- كيف تمزح!!؟ألا تدرك ما وقعنا فيه تواً!؟

يجب أن أقول لها إبتعادى عن الحديث مع الفتيات الحسناوات أنساني الإحساس قليلاً، يجب أن أقول لها «الشاب الناعم»الذي تود أن يُرْبِط على كتفها ويقول «لا تقلقي أنا بجوارك، سوف أدافع عنكِ حتى مماتي» ويشعرها بالأمان، لا لا يتهمني أحد بعدم تقديري للرومانسية والإحساس بالطبع!!لو كشفت غطائي لوجدت طفل خائفًا يود الإحتماء خلف ظل الكبار، لكن أنا «الكبار ذاته»، ولكن أين استمعت إلى تلك الجملة من قبل؟من أحد الكتاب الكبار بالطبع!!، قلت بهدوء خالٍ من «السخرية»:

- حسنًا، لا تنسي أنكِ من دلني على ركوب تلك السيارة لا تنسي، وتلاشيتي معرفتي فور دخولنا تلك السيارة ولا تنسي أيضاً أنكِ



اخترتـي المكـوث بجـواري، هيـا قولـي لـي مـن أوقعني فـي تلك الورطة؟

قالت بإعتراض باكٍ:

– لقد سألتني في بداية الأمر عن عربات ذاهبة إلى القاهرة، مثلي مثلك تماماً!!لم أكن أدري شيئاً عن السائق وهؤلاء القوم.

قلت في سخرية وددت لو قطعتها من الحديث:

– أااااه، ألـم تـري ظلها بعد!؟، ألم تري أنها لـم تجذب أياً من هؤلاء البشر سـوانا!؟، لا أدري كيف إمتلأت السيارة فجأة لقد كنت أدس حقيبتي وأطمئن على كتبـي، عزيزتى!!قولي لي أن الأمر كله مجرد خدعة!ها، قولي لي وسوف أسامحكِ.

ضربتني على ظهري بقسوة أنثوية، لولا جمالها اللعين لضربتها بقـوة ورميتهـا بيدٍ واحـدة وأوقعتها على الطريـق وذهبت وحدي، قالت :

– لااااا أعرف شيئاً، قلت لكَ لااااا أعررررف شيئاً...

– حسـناً، لم أعتـاد أن أُضـرب من أنثى، سـوف أرمي مـا فعليته وراء ظهري، وأعتبرك كالأطفال.

– لست طفلة أيها الوغد .

ثم همت بالنهوض من خلفي وسارت أمامي في كبرياء وتعالٍ، رغم دموعها، تبالغ في الكبرياء!!قلت لها:



- أتدركين ماذا فعلتي؟

قالت بصرامة:

- لا تتحدث معي من فضلك.

الجميلة لم ترى أشباح آتية تركض على «الأربعة»، تأتي من أمامنا، ألا تلاحظ!!؟مسرعون نحونا...المعذرة «نحوها»في نهم، المئات منهم، كقطيع كامل من الماعز يركض، لا يهم أنا في أمان على «ظهر البقرة»، لقد أصيبت بالفزع وهرعت نحوي كالأطفال، أوقفتها في هدوء:

- لا عزيزتي فأنا وغد «كما وصفتني»منذ دقائق، سيري وحدك البقرة لا تتحمل سوى شخصًا واحداً؛ثم رتبت على ظهر البقرة، حتى شعرت أنها توافقني الرأي، الفتاة ترتعب تكاد تتوسل :

- أرجوووووووووووك إنهم مسرعون نحوي دعني اركب...

أبعدت يدي، وأنا أمسك يدها لتجلس خلفي «كفرسان القرون الوسطى»ولكن تلك المرة فوق البقرة وليس الحصان؛شاهدت القطيع يسير نحونا، لقد رأينا عيونهم البيضاء تلتمع بالقطط، وألسنتم طويلة مثل الكلاب فصيلة «بول دوج»، تتمسك في ظهري في خوفٍ، وتخفي وجهها من أصواتهم اللاهثة، تحاول نسيان هيئتهم، قلت بهدوء:

- لا تخافي، المصير واحد، سوف يدركنا الموت في أي لحظة، لا تتمسكي بالحياة إلى تلك الدرجة مثلما تتمسكين بي الأن.



لقد إزدادت تمسكًا وبكاءً كأنها لم تسمعني، لقد ذكرتني بتمسك «أخر حبيبة لي»، ثم تركتني أبكي على أقرب رصيف، أطالبها بالرجوع المستحيل.

كلا، لن أتعاطف مع الإناث، هؤلاء أشد قسوة من أصحاب «العيون البيضاء»، على الأقل هؤلاء ينهشون اللحم، أما هؤلاء الفتيات ينهشون القلب بدون رحمة، يدسون ذلك السم ويرحلون، لا لست معقداً، لا أبالغ ، كنت كالغر الساذج الذي وقع في حب فتاة، وَقَعَتْ في حب أخر، وأنا أضمد لها جراحها، وبعد أن شُفيت، تركتني وذهبت إلى أخر مناسبًا لها!!تباً لهن.

***

سرنا وقد تلاشى معالم الخوف والإثارة، لقد نجونا من الموت تلك المرة، أسير كالملوك وخلفي الحاشية، ملك يسير فوق بقرة!!وخلفي أجمل أنثى، سوف يحسدونني عليها لو قصصت على مسماعهم تلك «القصة السخيفة»، عن تلك السيارة وهؤلاء القوم، وموقفي البطولي، لا لن أذكر بالطبع ذلك الموقف السخيف الذي أوقفتها فيه وهي تندفع نحوي للحماية، ذلك سيرسم لوحة ملعونة من أجلي، أود الظهور دائماً في دور «البطل»قلت لها:

-لم تقولي لي بعد، لماذا أتيتي إلى المنصورة؟

قالت في إستسلام:



- لقد وعدني الوغد بالزواج، أعد لي كميناً متقن، ونجوت من «الاغتصاب»

«اللعنة !!ذلك الوغد اللعين، كيف أضاع فتاة مثلك!!» قلت:

- هل كان يحبك؟

- لا يوجد مغتصب يعلم ما هو الحب.

- هل فعلها!؟

إرتبكت الفتاة وقالت :

- فعل ماذا!؟

- هل قام باغتصا..

قاطعتني:

- كلا بالطبع.

- اشرحي لي الوضع بهدوء فالجو العام يحتاج للحكايات الكئيبة.

أخذت نفسًا عميقًا، وقد فكت عقدتها حول ظهري، كأنما تتحاشى أن تحكي تلك القصة وهي «تلتصق بي»:

- قال لي إنه متعب، ولا يوجد سوى أمه المريضة طريحة الفراش، يحتاج إلى معونة ما، يحتاج إلى طعام، وأنه لا يستطيع الخروج من منزله، سافرت له وأحضرت له كل «ما يحتاجه»بسذاجة غريبة!!

قاطعتها في سخرية، لا أحاول منعها:

- كان بالطبع جائعًا!!، أكملي أكملي .



أخذت نفسًا عميقًا وهي تكمل وتتجاوز سخريتي:

- أحضرت له اللحم والمؤن، وأخذت قطاراً وذهبت إلى «المنصورة»حيث منزله و ...

قاطعتها :

- كيف كانت وسيلة التعارف؟

- عبر صفحتي على «الفيس بوك»

- أااه ... هكذا .. أكملي.

استنكرت ذلك السؤال وأكملت :

- وجدته وحده، بمفرده!!لا يوجد أم أو شخص بالجوار، لقد حاول «تقبيلي»ارتعدت وسلمته نفسي كجثة، لا تحمل أدنى مقاومة ضده، هَمَسْتُ في أذنهِ وقلت أني مريضة أو ...

- أفهم أفهم.

- تركني ورماني بعيداً، وفتح كيس الأكل، وأخذ يدس في فمهِ الطعام بنهم، عرض عليّ الأكل؛ لقد كنت في حالة من المرض، تصببت عرقًا وأنا أقول له «أريد الذهاب»النذل أشار نحو الباب وقال «اذهبي»، فتحت الباب ولا أدري إلى أين اذهب، ذهبت وأخذتني قدمي حيث ذلك «الموقف»، كنت في «حالة الإعياء»، لقد لملمت نفسي، لقد خنت أبي وأسرتي بأكملها من أجل وغد!!لا يريد مني سوى جسدي، خنت ثقتهم، أنا خائنة.



أووه..لا تبكي عزيزتي، فأمامنا يوم طويلٍ، حتى الصباح

لستِ أولهم ولا أخرهم، هؤلاءً الحمقى الذين فقدوا"حنان الأب"منذ الصغر، "وإحتواء الأم"، يبحثون على "الشخص الخطأ"كي يعطيهم الإهتمام والإحتواء، وبالنهاية يكتشفوا أنه كاذب و مخادع وبعدها يستمعون إلى الأغانى الحزينة ليلاً على ضوء القمر، وينظرون له ويقولون «لماذا..لماذا» أااوه تباً! لكم جميعاً، أنا لا أحتمل فتاة وقعت تحت تاثير صدمة عاطفية، «اهبطي وسيري كي يلمحوكي وينتهي الأمر»، فليذهب جمالك إلى الجحيم، قلت لها بهدوء :

- لا تبكي، فقط اذكري الزمن الذي كشفه لكِ في الوقت الباكر، هؤلاء مثل ذلك الشخص يأخذون ولا يعطون ويبحثون عن الكمال، يمرح مع هذه وتلك، ثم «يذفر بذات الدين»!!!ها ها هاها، لا تقلقي عزيزتي ، سوف تعرفين شخص ما ويتعلق بكِ وبجمالك، ذلك لو قُدر لنا الفرار من ذلك المكان!!، ستجعليه يتعلق بكِ كثيراً، سوف تنتقمي من الآخر في ذلك الشخص المسكين، وبعدها سوف يصبح مثلك، أااه..بالطبع مثل حالتك الأن، ستجعلين هؤلاء الشباب مثل الخاتم بإصبعك يوماً.

قالت بصرامة:

- ماذا تقول، مستحيل أن أفعل ذلك الأمر أنا لست مثله.

قلت ساخراً :



- حبيبتي، ستكونين.

- أنتِ تحت تأثير الصدمة الأن، وبعدها وبجمالك الفتان سيقع في حبك كالغر الساذج؛الألف من الشباب الذي يريد الأنثى الجميلة المتكاملة، ستنظرين في مرآتك طويلاً، ستثقين في جمالك مرة أخرى، وبعدها ستفتحي عقلك لتجربة أخرى أكثر إمتاعًا، ستجعلين الرجال يحبونكِ وأنتِ لا.

قالت بنفاذِ صبرٍ:

- لست مجروحة من الشخص، بل من الموقف نفسه.

- قولي لي، ما مدة الإرتباط التي كانت بينكم؟

قالت بتوتر:

- سنتان أو....

- كفى كفى كفى، ستكونين تحديداً ما قلته منذ ثوانٍ، لذا أنصحك وبشدة أن تدعي جرحك يجف، ولا تفكري في ذلك الشخص أو في غيره، أو في جمالك، ولا في عمرك الضائع، لا تفكري في أي شيء، سوى الوصول إلى منزلك سالمة...

أرأيتم!!، لقد أخذنا الحديث ونسينا الطريق وأننا جالسين «فوق بقرة»، لاحظنا تلك «اليافطة» التي رُسم على وجهتها كلمات عربية تقول «كفر الهلع»، أتلك مزحة!!؟، البقرة تجرنا جراً إلى الداخل، شيء عادي للغاية، أرض زراعية خضراء، ينتصب فوقها نبات الذرة،



طريق طويل ممتد، أخذنا نسـير ونسـير، أاااه ها قد أتى باب النجاة «دار مـن طابق واحد»به بـاب هش صغير، كيـف نطرقه ونحن جالسـان، لا يضحك أحد!!لقد حاولنا السير بالبقرة نحو الباب، وكلما اقتربنا البقرة تبتعد في مشـهد كوميدي يستحق التسجيل، نخشى أن نهبط منها ويأتي «ذو الأربع»من العدم كي ينتقموا وحدث مفاجأة غير متوقعة....

***

فتح لنا الأبواب «أحد الفلاحين» بوجه مستدير وعينان يمتلك أعين مثلنا، تحتها أنف دقيقة نمت لحيته بشكل كثيف يبدو صغير السن، قال لنا في هدوءٍ شديدٍ :

– هل فررتم منهم!!؟

يا لكَ من ذكي!!الذكاء ينفجر من رأسـك ويهبط علينا كشـلالات، بالطبع نجونا منهم، وفي انتظار دهشتك، لقد أتت سيدة ترمقنا من خلفه قائلة:

– أرني هيئتهم؟

أسرع يقول :

– ماذا تريدان؟

قلت بتلقائية:

– نريد مكان نبيتُ داخله للصباح ونذهب.



حـدث شـيئًا جلل، لقـد نظرا الإثنيـن في وقـتٍ واحـدٍ، وإنفرجت أسـاريرهـم بالضحك الهسـتيري، قال الرجل حتى ظننت سـيربت على كفتي من كثرة (الأفيه) الذي ألقيته :

- معذرةً!!

قالت الفتاة التي كانت خلفي:

- لماذا تضحكان!؟أنتم تعلمون هؤلاء القوم، وتدركون ما نعانيه هنا، دلونا على الطريق ولا تسخروا منا أرواح الناس أصبحت لعبة وو...

أخرستها قائلاً :

- أيمكنك الصمت ودعي الحديث للرجل الذي أمامك؟

لفـت زراعها حول صدرها وكتمت إنفعالهـا لدقائق لأواجه الرجل بصرامـة وحزم وأحذره من أنه يتعامـل مع رجل ناضج وكاتب ومؤلف وعلى دراية تامة بكل الاشياء...

- مَن هؤلاء القوم؟!، ولماذا آتوا بنا إلى كفركم المصون؟

أخـذ الرجـل البقـرة، وقـام بجرهـا إلـى الأمـام، أدخلهـا إلـى منزله..!!الـذي كان يتسـع للبقـر، داخل المنزل وجدنـا غرفة بها ثلاث بقرات، أَخَذَنا جوارهم، ولا نهبط منها، قال الرجل :

- اهبطا منها، أنتم هنا في أمان.

قالت الفتاة بعنادٍ يشوبه الخوف وهي تتمسك بالبقرة:

- لا لن اهبط منها.



لقد أنزلني الرجل، قلت ساخراً :

- لها تجربة وقحة في ذلك الشأن هاهاها.

***

أحضرا لنا الطعام، ورأينا فيه كرم بالغ، مع أكواب الشاي، وأجلسنا حول المائدة المستدير أرضًا قال الرجل:

- انظر إلى ساعتك كم الوقت الأن؟

نظرت لها بروتينية، وجدتها السابعة والنصف ضربتُ عليها يبدو أن أصابها عطبٍ ما، أخرجت هاتفي المحمول، أووووه..!!!، لقد نفذ شحنه، وأصبحت شاشته مثل سماء ذلك المساء، وقبل دليلي على معرفة وقت الساعة، قلت :

- أريد فيشة، أريد شحن هاتفي.

قال الرجل في عجب :

- تشحن هاتفك كيفٍ!!؟

ينظر إلى هاتفي في عجب، أاااه...تبدو كمن أتى من الماضي، لقد سارت سنين عديدة وأنت قابع هنا، لا أُخفي عنك لقد توقعت ذلك الأمر، تقدمت العلوم كثيراً يا رجل حتى أصبح يمكننا حمل هواتفنا في أيدينا ونريد أيها «المتحزلق»فيشة نضع الشواحن ونخرج سلك ونضعه بالهاتف، أفهمت!!؟

علمنا مفاجأة لا أستبعدها كثيراً.



بل كارثة ...!!!

***

- «نحن هنا منذ عام ١٩٩٢، أخبرني في أي عام أصبحنا!؟».

بالطبع نظرنا إلى بعضنا طويلاً، أنا وهي.. «الفتاة الحسـناء»، بالنسبة لي أتوقع أي شيء ولا يعنيني، أما هي فقد أصابتها صاعقة وخوف، لقد أحتمـت داخل ذراعيها مثل الأطفال وإنزوت بعيداً عنا، سـوف تنتحب وتلعن ذلك الشخص الذي أتى بها إلى هذا المكان، قلت بهدوء:

- حسناً...نريد فيشة.

قال بتلقائية:

- لا يوجد عندنا فيش، فالمصابيح تضاء بالشموع ووو...

- كفى كفى..ليتني وجدت غيرك.

قالت زوجته التي لم أكن أشعر بوجودها:

- انظـر يا أسـتاذ...أنت هنا حيث «أرض الهلع»نحن أسـميناها بذلك الإسم، ووضعنا اليافطة التي تدل على اسم المكان، ارتضينا بحالنا، نخرج بالصباح على متن البقرة نحضر الطعام والمؤن وبعدها نغلق الأبـواب بحيث يتوقـف الزمن داخله، لقد سـمعنا صـراخ من أحد الأفـراد كل سـاعة، بالطبـع لـم يقتنعـوا بركـوب البقـرة وظلو على عنادهم حتى أتى قوم «النمرد»وظفروا بهم، إنهم في البداية فقط... سـوف يظهر لك داخل القريـة أعاجيب لم تدركها منـذ يوم مولدك



ولـو حاولت الهـرب أو حتى التجـول، لقد إخترنـا المكوث داخل الدار؛هـو زوجـي وأنـا أحبه أعلـم أن الزمن متوقـف لكلانا ولكني أتقبـل ذلك الأمـر، لا أَمِل منه وهـو لا يمل مني، لقـد توقف عمرنا تقريبًا في سـن ٣٢ فقط، ويزداد كلما خرجنـا لإحضار المؤن فقط، ولا نزيد سوى قليلاً جداً.

أيها المخابيل، كيف ارتضيتم بذلك الأمر البشع، أين المقاومة!!؟أين الحرية!!؟أن تعيشا للأبد وتستمعا ببلوغ أرذل العمر!!؟، كيف ارتضيتم بالـذل والمهانـة والخـوف، لن أكـون مثلكم قـط حتى لـو كانت الذي هرعـت خائفة، حبيبتي وزوجتي، لن أقبل أن أظل حبيسًـا في انتظار أن يأتي «فرسـان النجاة»، أنتم قوم ضعفاء منكوسـين الـرأس، أخجل من وجودي معكم، قلت :

- وأين سنمكث الليلة؟

قال الرجل في ترحابٍ:

- يمكنكما أن تعيشـا في الدار المجوارة، لقد حاولا الهرب أشخاص قد مكثوا بها قبلكم مثلما سـتفعلون واختفوا!!ولا نعلم عنهم شيئًا، أه..لقد سمعنا صراخ.

صراخ!؟ومنطقـة خـارج الزمـن، أمقتنعـون بحديثكـم هذا!!؟مـن المفتـرض بعـد غلـق منزلكـم يتوقـف كل شـيء و تنفصلا عـن العالم أجمع!!قالت زوجته :



- عندما نفتح ذلك الباب، نكون قد اتصلنا بأرض الواقع والزمن العادى!؟طرقوا الأبواب قبل الرحيل، كي يعطونا حافز قوي للهرب، وعرضوا علينا الهرب معهم ولكننا لا نفعل، الدار أمان هنا.

ظهرت معالم الإستنكار على وجهي!!!كفي عن الحديث، ألا يوجد «فأسًا»هنا حتى أصوبه في منتصف رأسك ليقسمكِ لجزئين، جزء أضعه بالخارج، وجزء هنا أمام ذلك المعتوه، قلت لهم وأنا أقوم وأنفض يداي من أتربة الأرض التي لا تنظفه تلك الذكية:

- حسناً..حسنًا، سوف نذهب إلى الدار المقابلة كي نسترح قليلاً فنحن متعبان جداً، نشكركم على حسن الضيافة.

ينظران نحوي برضا، قال الرجل :

- هل ستهربان؟

قلت في سخريةٍ:

- كلا بالطبع، فنحن لن نخسر جيران كرماء مثلكم، سنمكث معاً إلى أخر العمر بالطبع.

سَقَفَ الرجل مثل الأطفال وهو ينظر إلى زوجته في رضا والتي قامت بدورها بالابتسام بنفس الرضا البلهاء وهي تقول:

- خيراً فعلت..خيراً فعلت، لقد أحببتكما كثيراً.

رتب الزوج على كتفها، وذهبت أنا لأحضر تلك الحسناء التي لاتزال تبكي بحرقة، وقفت أمامها فيي شموخٍ قائلاً :



- هيا سنذهب من هنا.

قالت الفتاة في سرعة ونست البكاء:

- هل تقصد أننا لن نمكث هنا طيلة العمر؟

لم أتمالك نفسي وأنا أضحك غصبًا:

- لا يا عزيزتي سوف نذهب إلى دار بالقرب، مثلها تمامًا لا تقلقي ستمكثين فيها أنتِ طيلة العمر هاهاهاها.

قالت الفتاة وهي تعاود البكاء:

- كفى..كفى أرجوك، أنت لا تحسن معاملة النساء الخائفات أبداً أرجوك اصمت.

كيف جَرُأت، هل أنا بالفعل لا أجيد معاملة النساء!؟هل لكِ بسؤال «حبيبتي السابقة»وهي ستخبركِ كيف كنت أعاملها «كالأميرات فوق العرش» ؛أخرج لكِ هاتفي وأعطيلك رقمها كي تسأليها بنفسك؟أخذت نفساً عميقاً وأتخلى عن كل شيء، عجباً!!كيف أكون كاتبًا ولا أجيد التصرف مع إمرأة خائفة تريد الشعور بالأمان!!

- لا تقلقي عزيزتي، سوف نخرج من هنا، لن يقدر مخلوق أن يمسسك وأنامعكِ، أعدك .

لقد تعلمت تلك الكلمات من أبطال رواياتي، لكن غريبة أن تصدر مني بكل هذه المصداقية!!ولا أدري لماذا قلت تلك الكلمات!!، تنظر



نحـوي الفتاة وتمسـح دموعها بكفهـا الرقيق، أمسـكت يدها كي تقف وذهبنا معًا إلى الباب، أوقفتها قائلاً:

- ذكريني بمكان ذلك «الحقير»عندما نعود سالمين، كي أطعمه بيدي الدواء الذي يريد، اتبسـمت الفتاة رغم عنهـا، امتطينا البقرة، وألقينا تحيتنـا على هـؤلاء الجيـران الذين وقفا أمـام الدار ينظـرون نحونا بحـب وود، فتحـت البـاب وأدخلت الفتـاة، انظر للزوجيـن الذين يراقبانـا، هناك شـيئًا غريبًا يحـدث، لو قلته للفتـاة لصعقت وذهبت كلماتـي التـي وعدتها بها منـذ دقائق في الهواء، لقـد اختفت حدقتا الزوجيـن، وقد خرجا مـن منزلهم «علـى الأربعة»متوجهين نحونا، المرعب أنهم فعلوا بمنتهى البطئ، وشعييرات الزوج تنتصب وفمه يتدلى منه مياه لعابه وزوجته مثله، يتوجهون نحونا وأسرعا يركضان في جنون...

***





أغلقت الباب في سرعة، تأكدت من ذلك قفل الباب على الموضوع، وأغلقت النافذة الحديدية جيداً، لقد شعرت بالخوف، رعب نظيف خالي من الجرأة والبؤس، لقد انفصلنا عن الأرض الخارجية كما قال الزوجين ، لماذا تحولا!!؟لماذا أصحبت هيئتهم مثل هؤلاء القوم المخابيل!؟هل ضايفنا الوحوش أنفسهم، أغلقت الفتاة باب الغرفة الوحيدة التي يستكين فيها فراش ناعم، أما أنا ففي صالة بها ثلاث كراسي فقط ومنضدة وأريكة موضوعة على الأرض



دون قوائـم، يمكنها تحمل ثُقلي، أرغب في النوم، ثم النوم، وأتمنى أن يصبح كل هذا مفعول نومي داخل «المشـروع»، صفعت نفسي مجدداً، لا الوضـع حقيقي، أراقـب بابها، أطمئن عليها وعلـى وعدي بحمايتها «كحارس»وُضِع على أبواب المملكة يمنع دخول الجواسيس والقتلة، أُمسـك هاتفي الصامت ، أحاول أن أضيئه مرة أخرى، أاااه...حسـناً... لقـد أضاء بالفعـل، حمداً لله...حمـداً لله، فتحت صفحتـي عبر موقع «فيـس بوك»، كتبت «بوسـت»طويلاً لقد وقعت فـي أرض بها وحوش «تسـير على الأربع»، المدينة تجـاور محافظة «المنصورة»...(إبعتو أي نجدة)

انتظرت حتى أجد أي رد، أها، لقد بدأ التفاعل...

- هههههههههه احترس من القطط...

- هاهاهاها التقط معه سيلفي فأنا أعشق الوحوش.

- هل له أعين مثل الأفاعي؟أعشق تلك الوحوش هاهاها.

الملاعين..كيـف يسـخرون مني!!؟؟السـخرية في تلـك الأمور لا تصلح، أنا أموت يا أغبياء...هنا شـعرت بشـعور الفتاة عندما مارسـت سـخريتي، تباً لـي ولهـا، أااه، صديقي، سـأجري إتصالـي به،كي يهرع لإنقـاذي، لقـد فصـل الهاتـف بـلا رجعة...كأنه أخـرج لسـانه لي مثل القرود.

***



لقد حاوطتني أبخرة النوم أشمه الأن، لا استطيع النوم وسط ذلك الخطر..أي خطر تتحدث!!؟أنت هنا في أمان، لا تسمع حتى الأصوات، إنه هدوء، هدوء!!! لكنه مخيف...

أنت تحتاج إلى الهدوء..

تحتاج أن تنم..

يجب أن أنام بالفعل.

وفي الصباح يحلها ألف حلال.

عن أي صباحٍ تتحدث!؟

نم...

نم..

***



أضغاث أحلام..

وجوه مرعبة..

أغير موضع نومي ناحية اليمين لأغير مجرى أحداث الوجود، الشعور بهبوط الدورة الدموية يعود مرة أخرى ، ألم في صدري لكني تجاوزته، لا أفتح عيني، أسير داخل دهاليز غابة وأتلمس الحشائش بيدي، الزرع يحاوطني من كل صوب.

ها هي الشمس تسطع وتلوح في كبد السماء، ثم صمت...لماذا أشعر بها تربط على جبهتي!؟لماذا تطمأنني!؟، ليست الشمس تلك المرة، فلا أستطيع تمييز ملامحها، لكنها مريحة، فتاة تتخلل داخل ثنايا روحي تلمس برقة على قلبي، تُهدأ من روعته، لازالت تربط على جبهتي بحنان كأمي الحبيبة تطبع «قبلة»على جبهتي، تهبط دمعة على وجنتيها لتسقط على وجهي، تحاشيتها وأنا أغوص داخل الحشائش حتى تختفي الشمس ويعود الظلام.

قطيع من الأغنام يسير نحوي بشراسة..إنهم هؤلاء القوم أهرع بالفرار مجدداً...أقع أرضاً حتى وصلوا نحوي فأحاول النهوض ولا أفعل، شعور العجز يشملني، يدهسون وجهي يدهسون على ظهري، الألم يحاوطني، دقات قلبي تزداد رويداً، رويداً..أفقد الوعي وأذهب في نوم أخر أكثر عمقاً..





فتحت عيني بتخاذل، لو كان هناك صباح لرأيت الضوء، لا شمس هناك، أشعر كأني نمت يوماً أو بعض يوم.

لقد رأيت الفتاة، تستند على الحائط وبيدها إحدى رواياتي، كانت مندمجة إلى درجة مدهشة، تكاد تكون قد وصلت إلى نهايتها، قلت لها :

- ماذا تفعلين!!؟

انتبهت لوجودى أمامها، فتبسمت لأول مرة، لم أراها بهذا الإشراق منذ أن التقينا!!قالت:



– ها قد افقت أخيراً...

حاولـت الإعتـدال، ظهـري يؤلمني كثيراً، اسـتندت علـى الجدار، وقلت :

- ماذا حدث؟

قالت بحنان :

– لقـد إرتفعت حرارتـك دفعة واحـدة، أحضرت لك كمـادات حتى هدأت الحرارة قليلاً، لقد كنت في حالة يرثى لها.

أسـرعت وأحضـرت شـريط دواء يبـدو مسـكن، إخطتفـت منـه «برشـامة»بيضاء، كنت آخذها وقت الشعور بالمرض أو البرد، وضعتها دون إسـتئذان داخـل فمي وأعطتنـي «قلة»، أخذتها بضعـف وأنا أجرع الماء، وبعدما امتلأت معدتي بالماء، تناسيت إحتياجي للماء تماماً:

– أشكرك.

– أنا لم أفعل شيء، المهم أن تكون في خير حال .

هـل كانـت هـي الشـمس!؟هل عقلـي الباطـن جعـل كل شـيء منطقياً!؟هـل هؤلاء الأقوام «السـائرون علـى الأربعة»هم الألم!!؟هل ألـم البرد برره عقلي الباطن بدهسـهم على ظهري!؟هـل عقلي الباطن جعل كل شيء منطقياً حقاً!؟ قلت في سرعة:

– هل طبعتي قبلتك على جبيني؟

إرتبكت الفتاة وقالت في سرعة وخجل:



- كلا لم أفعل بالطبع!!ماذا تقول!؟

ابتسمت داخلي ولم أفصح، تقيس حرارتي عبر «شفتيها الوردياتان»، شعرت بأمان وأنا معها لسببٍ مجهولٍ!!!، أنا لا أعلم شيئاً عنها، وأريد معرفة كل شيءٍ عنها.

أن تعلم ماضي فتاة في مثل هذه الظروف نوع من أنواع «الحمق»... لكنك تقبل، سوف أسلمها مقاليد الحكم"أن تصبح هي الراوية"

سوف تحكي هي، سوف أدعها تطلق ما في جعبتها من ذكريات،

نحن في الأبدية هنا.

لذلك فالإستماع يؤنسني كثيراً..



حكايتها

تحاشيت النظر إليهم وأنا أحَضّر الحقيبة وأهبط على الأدراج، تلك هي المرة الأولى التي أنوي فيها فعل شيء يهدني إليه إحساسي، الذهاب إلى مدينة يعيش فيها حبيبي، لم أعتد أن أسافر مطلقاً دونهم، فهم أماني وحمايتي، أمتلك من الأخوة ثلاثة ذكور، أحدهم هرع لتأدية «الخدمة العسكرية»، والباقون لا يهتمون بي كثيراً رغم «الغناء الفاحش»إعتدت تجاهلهم رغم إنتمائي وحبي لهم.



سافر أبي وترك أمي وحيدة، لكنها لاتُشعرنا بذلك، تبتسم من آنٍ لأخر، تَسُب أبي عدة مرات فنتحاشى ذلك الجزء، وفور رؤيته تأخذه بالأحضان وتطلق بعض النكات المرحة، أمي متناقضة وأبي كذلك، رغم علمي بزواج أبي من أخرى وجهل أمي لكنها تشعر بالتأكيد، لقد حفظنا مسرحية «العيال كبرت»، يمكنك إعتبرانا كذلك، نخفي على أمي «زواج أبي»من شابة نضرة، تتمتع بحيوية لا تمتلكها أمي، فقد أمتص نضارتها وتَشَبَع أبي برحيقها منذ سنين، حتى أصبحت كشجرة جَفَاء يتاسقط أوراقها حولها في يأس، لقد علمنا أنه تزوج وذلك هو الأهم، وتركنا أمي بسذاجتها، مللناها هي وأسألتها المتكررة التي لا تنتهي، عن أبي وأين ذهب؟وماذا يفعل؟؟، كنت أفر منها على صوت حبيبي، الذي وبرغم «الفارق التفكيري»الذي بيني وبينه كنت أذوب في عشقه، لم يحصل على الثانوية العامة وقد كان يعمل في ورشة أبيه «كعامل ميكانيكي»لا أدري كيف جذبني إليه جذبًا، أنا «خريجة الجامعة الأمريكية»بوسط القاهرة، أجيد التحدث بأربع لغات حية، أدفن نفسي داخل بلوعة تسمى العشق إنتقاماً من «أبي»لست أدري فهو شيءٍ لم أذقه بعد.

لا تسألني كيف وقعت في حبه!؟، كان شابًا وسيمًا، وذلك يكفي، يمكنني أن «أتظاهر به»أمام الزميلات الحاقدات.

لو تخطينا تلك الأمور الفرعية، وانتبهنا إلى لهفتي للذهاب إلى «المنصورة»لم أراها من قبل، كنت أعشق المغامرة، ذهبت خلف أبي



لـدول أوروبيـة كثيرة، ولم يتسـنى لي الوقـت لرؤية بـلادي عن كثب، وهـا أنا أخوض مغامرة جديدة، حبيبي جائع لم يعمل طيلة السـبعة أيام الفائتـة «كما قال»، ووالدته مريضة «كما قال»، وأنه وحيد ولا يسـتطيع أحد مساعدته «كما قال»!وجدته حيوان، ألقى أحدهم بقطعة من اللحم أمامه ، ينهشـني كالمحروم، تتسـقاط كلماته الحانية أرضًا كالمطر، لقد خدعنـي، كنت أفتقد حنان أبي، لإحتوائه، ولم يفعل و الغريب أنه يريد أن يعوضنـي بذلـك الأمر، ولكـن بطـرق حيوانية و خالية مـن الصدق مخلوطـة بماء الخـداع والشـهوة، أتدري!؟لـم يعتد أبي دس الشـعور بالأمان داخلي.. لم يأخذني في أحضانه سـوى مرة أو إثنين وأنا طفلة، إخوتي يشغلهم عقلهم فقط، أما أنا فمجرد عالة، لاشيء.

أخبرتـه أنـي لا أصلح فـي ذلك الوقـت، وتركني مثلمـا يترك القط الفـأر بعـد تعذيبه ورميـه، أصبـح لا يثير شـغفه، وها هو يـدس الطعام داخـل فمه يقول لي أن أشـاركه، لكنني ظللت واقفـة جامدة، خالية من أدنى مشـاعر، أتصبب عرقاً وفيراً حتى بللت صدري..وتلك هي المرة الأولى التي شـعرت فيها أني موضوعة داخل قفص مع أسـد، لا أقوى علـى المقاومـة، هـل ينوي التحاشـي عن ذلـك الأمر ويقبلنـي فقط؟، هل يريد أن يكشـف سـتري؟، لا أظن!!، فقط جـررت قدمي وإتجهت نحـو الباب ولم يتحـرك، بل ظل يأكل ويأكل، أغلقـت الباب خلفي ثم لم أتحمل، بكيت، و بكيت، رتبت على ظهري «سـيدة مسنة»وسـألتني مـن أنا؟!وكيـف أتيت إلى هنا !؟وجئت إلى هنـا من أجل مَن؟وبعد أن

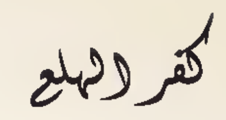


هـدأت أخبرتهـا أن العنوان خطـأ ووصفت لي موقف السـيارات الذي قابلتك فيه هناك ، ذلك كل شيء.

هل تريد المزيد!؟

هـل تريـد السـؤال عـن طفولتي؟تعرضـت في سـن الحادية عشر للتحـرش ولـم يدافع عني أبي!!، كنـت متفوقة في الدراسـة، لا أمتلك الصحبـة، فالجميـع يتحاشـى جمالـي حتـى الفتيـات، فلا يسـتطيعون منافسـتي، كنـت أمتلـك حبيبـاً وقـد ذهـب بـلا رجعـة، أمتلك شـركة صغيـرة «لبيع السـيارات»يعتقدون أني «مريضة نفسـية»وتحتاج لرعاية طبيب نفسـي شـهير، وقـد فعلت وتعرضـت «للتحرش»من نـوع أخر، هـؤلاء القوم هم المرضى!!ها ماذا تريـد أن تعرف؟قل ولا تخجل فقد صارحتك، فنحن هنا في الأبدية.





لقد ظن صديقي أن جميع الجميلات مصابة بداء «الكبر والغرور المفرط»

أما تلك الجميلة فمصابة بمرض أخطر !

فقدان الأب، وحنان الأبوة.

وسوف تكون ما قلتُه بالسابق..

مجرد «منتقمة»

تبتر ولا تلتفت.



ما إن فَرَغَتْ، حتى قامت وذهبت إلى غرفتها، أظنها ليست مسكينة، سوف تحتاج لمن يضحك عليها طيلة العمر، وبالطبع ليس أنا، لا أتعاطف مع الجميلات مثلها، أين يذهب الجمال في قلب محروم؟؟سوف يأخذ بنهم ولا يعطي، ذلك هو إعتقادي، ولا أدري إعتقادكم!!لست رجلاً قاسي القلب، أمتلك مشاعر بالطبع، لا لا لا لست معقداً فقط هي الخبرة الحياتية التي تحكم، دعنا منها فلتذهب إلى الجحيم، رغم وعدي بالإنتقام لها، ذلك لو خرجنا سالمين من هنا.

شغفي يأخذني لفتح الباب لأنظر إلى العراء، لأجعل الدقائق تمر داخل الدار، صمت ذلك الدار مميت، قمت وأمسكت «كالون»الباب وفتحته، فتحت الباب كي أجد باب أخر، السيدة تقف وشعرها مشعث منتصب، دون حدقة، البيضتان تشع بياض وكأنها متصلة بالكهرباء، تبتسم في جنون، أغلقت الباب مرة أخرى و كأن شيءٍ لم يحدث!

شعرت بالخوف..شعرت بالرعب..أود الفرار...أود الصراخ... ولكنني هنا الرجل.

ماذا لو رأت تلك الفتاة هذه السيدة؟ماذا لو علمت أنهم من قبيلة الذين «يسيرون على الأربعة»؟

تماسك، تماسك يا «حازم»..

سوف تفر من هنا قريباً..

سوف تصل إلى بيتك.

سوف تنام على فراشك..

سوف ينتهي ذلك الكابوس.

حتماً سينتهي..

أو ننتهي!!



قلت لها :

- من أين جئتي بهذا الطعام!؟

لقد خلدت للنوم لإستعادة طاقتي المهدرة، وكلما صحوت وجدت أشياء مختلفة، لقد عنت بي جيداً كأمي، رغم أنها عاشت في بيئة مختلفة، بيئة نظيفة من التعب والإرهاق، وتلك المرة أحضرت لي الطعام، شعور أخذ يتسرب داخلي بالشك..فأراً بدأ يعبث داخل صدري، قالت بهدوء:



- طرقت الأبواب على هؤلاء الجيران وقد أحضروا لي قالب من الجبن وشطيرة بالسمن البلدي وعسل أسود.

اقتربت منها وقد شعرت بالخوف، قلت لها بصرامة:

- ألا تعلمين من هم هؤلاء أيتها الحمقاء!؟؟

ارتعدت الفتاة قائلة:

- لقد ضايفانا ولم نرى منهم سوء!!!

اللعنة على تلك الفتاة ورِقتها المصطنعة التي لا تصيب أوصالي سوى بالتوتر والعصبية فقط، سمحت لتفكيري أن يمتطي داخل المركبة ويسير نحو البر الأخر بهدوء، لذلك استعدت هدوئي قائلاً:

- كيف خرجتي؟

قالت وقد حاولت السخرية مثلي:

- امتطيت البقرة بالطبع وذهبت نحوهم، لقد إستعبت ذلك الدرس جيداً.

ركوب البقرة يمنعهم من التحول إذن، وعندما فتحت الأبواب ووجدتها بقربي لم أكن فوق البقرة، شيء يدعوا للضحك حتى الموت، دخلنا دارهم فوقها وخرجنا فوقها، وكنت أنا بكل سذاجة قد نويت الخروج دونها، يبدو منطقيًا، الفتاة ذكية لا محالة، لماذا البقرة!؟لماذا البقرة!!؟لن أجد إجابة بالطبع لا يوجد هنا شيئًا منطقيًا، لذا قلت :

- أسرعي يا...ما اسمك!؟



قالت بكل استنكار :

- هل تذكرت الآن أن تسألني ما اسمي!!

- ما اسمك ؟

قالت ببساطة :

- نادين منصور.

قلت لها وأنا أمد يدي:

- حازم شريف.

وبعد السلام الذي جاء متاخراً كالعادة، قلت لها :

- لن نأكل من ذلك الطعام، سوف نهرب اليوم.

قالت وقد عاودها الخوف :

- نهرب!!؟كيف!؟

- سوف نركب البقرة ونسير ونتخطى كل شيء؟

- هاااا... ان غيرك أشطر !!

قلت بحزم:

- ماذا تقولين!!؟

قالت ببساطة:

- لقد أخبرتني السيدة أن لتلك البقرة حدود لو سارت داخل القرية، و هؤلاء الذين «يسيرون على الأربع»..لديهم حدود، وبعدها سوف يظهر غيرهم، سوف يأكولنا وقبلها سوف يأكلون البقرة أولاً.



كيف؟!أيوجد مرحلة أخرى غيرهم!!؟أليس هم المتحكمون بالمدينة!؟ قلت لها بنفاذ صبر:

– قولي لي ما قالته لكِ تلك اللعينة.

قالت معترضة:

– لا تسبها من فضلك!!لم تحاول أن تسبك بل ضايفتنا وكانت كريمة معنا.

– ضايفتنا!!، ضايفتنا!!، قولي لي أخر ذلك الحديث وكفى.

قالت وهي ترفع حاجبيها في إعتراض، ولم تلبث أن قالت:

– هنالك قبيلة أخرى، أكثر خطورة تأخذ الدماء، سوف يضحي أي مننا «بلتر من الدماء»لهم كجزية للعبور، ذلك لو سرنا بالبقرة، وإذاسرنا على الأقدام سيطارنا «ذو الأربع»وسيقفون خلف الأبواب.

– علمت علمت..أكملي.

أخذت نفسًا عميقًا ثم أكملت:

– لو تخطيناهم بسلام ودفعنا لهم الدماء، سوف نجد أكليّ « الأقدام».

نعم كيف!!؟أقدام من!!؟؟لن أتخلى عن قدمي مطلقاً، ما هذا الهراء!!؟لقد انتاب أوصالي اليأس وأنا استمع ، وبدأت أقتنع بحديث الزوج والزوجة الذين وهم في الأصل من قبيلة «السائرون على الأربع»، لقد فهمت مضمون حديثهم أنه لا فرار من هنا، وذلك المكان



هو المنزل الأمن، يجب أن أتخلى عن شيء لو أردت الفرار من هنا؛لن أخلد وأذهب في نوم سليم، معافى كامل الأطرافِ، هيا أكملي.

- وبعدها، وذلكً علىً «سبيل المثال»بعد تخلينا عن أرجلنا سوف نج..

- تخلينا عن أرجلنا ماذا!!؟وجزية الدم!!ذلك كله هراء، سوف نهرب من حيث أتينا سنعود من الطريق لقد حفظت الطريق، سنسير بالبقرة و....

- نسيت أن أخبرك أن مفعول البقرة سينتهي قريباً عند خروجك من القرية، لو عكست الإتجاه وحاولت العودة، ستجد الرفاق «ذو الأربعة»ينهشونك دون رحمة ...

غريب أمر تلك الفتاة حقاً، هل أصبحت تنتمي إلى ذلك المكان!؟هل أحبت البقاء في النقطة «صفر الزمنية»!!؟لقد كتمت غيظي وأن استمع لها:

- هؤلاء الجيران سوف يؤنسونا، وسوف نجد معهم طريق للخروج من تلك المدينة.

- أأاة ذلك الفلاح وزوجته!!أأاةةة ، أرأيتي نسيت أن أخبرك، إنهم ينتمون إليهم.

قالت كالمشدوهة:

- ينتموا لمن!!؟

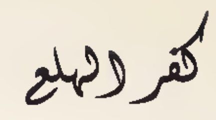


- إنهم من قبيلة «السائرون على الأربعة»عزيزتي.

لن أذكر ذلك الصراخ، ولن أذكر فيضان الدمع الطفولي الذي صدر منها، ولن أذكر محاولاتها لضرب الحائط فبكت، لا لن أذكر تلك الأشياء.

***




كفر الهلع



ليتني قابلتك منذ طفولتك، لمارست دور الأبوة معك.

ليتنا التقينا في ظروفٍ أكثر رقة.

هل وقعت في حبها!!؟

لست أدري!!!

فأنا في أكبر المواقف تعقيداً...

يجب أن أنجو بها، ومعها من تلك البلدة.

–



- قومي يا نادين لقد أصبحت فتاة بالغة، لا تمارسي دور الطفولة هنا!!

لقد جلست مستندة على الحائط، دفنت رأسها داخل ركبتيها وبعد أوقاتٍ، حسبتها مرت كالدهر تبكي، يجب أن أخاطبها برقة، لابد من دب الأمل داخلها من جديد، أنا الأب أو الأم، لست بذلك الحبيب الذي يتوجب عليكي النظر إليه تلك النظرة!!

جلست بجوارها وقلت بهدوء:

- حتى «هؤلاء»منهم، أود أن أضحك، كلما عثرتي علي أملٍ، اختفى وتناثر حولك، هاهاها..

- أرجووك كفى!، دعني وشأني من فضلك!

صدمني رد فعلها، حقاً كنت أتوقعه، لماذا لا يتميز المؤلفين بالحس الإنسانى في الواقع!!؟

لذ قلتُ بهدوءٍ:

- حسنًا سوف أدعك وشأنك، لكن قولي لي، ما جدوى الحياة؟؟، ما جدوى الأزمات؟، ما جدوى الوقوع في الخطأ؟؟، ما جدوى أن نخطئ ونفقد الأمل؟؟، أن تنقطع كل السبل للنجاة!!، كلما ضاقت حلقاتها فرجت، وأنا أرى الضوء يتسرب عبر تلك الأمور أجمعها، لم أفقد الأمل مطلقاً.

قالت بإستسلام :



- أنا فقدته وفقدت نفسي لذا دعني وشأني ، اتركني وأغلق الباب خلفك، اتركنننني.

نظرت لها بكل ود وقلت:

- خذي وقتك، سوف أنتظرك بالخارج، وحينها سوف استمع إلى جملة واحدة «أنا مستعدة للهرب».

قمت من جلستي وبداخلي شخصان يتنازعان، ولا أدري سبب لذلك النزاع!!

شخص خائف من الأهوال والأخر لا يبالي!

واضح أن الأمر يروق لي!!

إنها تروق لي.

***



صف لي شعورك عندما تُسْجَن مع فتاة إلى الأبد!!

صف لي شعورك وبالخارج تتصارع الوحوش حولك، تريد نهش جسدك بفمها في تلذذ!

وحوش تريد أن تلعب معي لعبة الذكاء المعهودة،

وفتاة مرهفة الحس بالداخل، تحمل مشاعر طفلة صغيرة.

إختبرت شعورك!؟

قل لي ما هو العمل الأن!؟؟

ماذا أفعل؟!



الباب يطرق..

لا لـن أفتح، هنـاك على البر الثانـى يوجد فلاح وزوجتـه يتغير لون حدقتهـم «للـون الأبيض»و «يسـيرون علـى الأربعة»، كن لهـم ضيفًا، سيرحبون بتلك الفكرة، واتركني وشأني!

لايزال الباب يطرق...

أيها المعتوه قلت لك ابحث عن مكان أخر واتركنا نحن هنا لا نعرف بضعنا البعض، ولا يربطنا صلة نسب، لا نريدك أيها الوغد، لن افتح .

الباب يطرق..

أاااةة هـل أخبـروك بوجودنـا هنـا، أيهـا الملاعين ، لا تأمـن للجار الخبيث أبداً.

قلت أخيراً :

- من على الباب.

أحدهم يهمس في أذن من معه قائلاً:

- هناك أشخاص بالدخل، افتح لنا الباب سوف يقتولنا!!

صوتهم مألوف للغاية، أين استمعت لتلك الأصوات، صوت الرجل بالنسـبة لي يرعبني، رغم أنه صوت إنسـان عادى!!، لقد اسـتمعت إليه عبر المسـجل، وأنا أقص لأحد قرائي قصتي الجديدة، حيث كنت أريد جـس نبضه عن الأحداث ووو.... خيالي متسـع للغاية ألا يوجد «عين سـحرية «كـي أرى من بالخـارج، أةةة البقرة، اسـرعت بإحضـار البقرة



من الغرفة التي خصصت لها فقط وتقدمت نحو الباب وأنا فوقها، لقد تعلمت الدرس جيداً تلك المرة، بالطبع فتحت الباب، وجدت شخصين «رجل وفتاة»رجل يحمل حقيبة بها رواياته بالطبع، والأخرى هي ذاتها التي تجلس داخل الغرفة حبيسة بإرادتها بالطبع، يجلسون فوق البقرة، الرجل ثابت مثلي ، والفتاة مرتعبة، يبدو أن موقف هبوطها من البقرة أصابها بالرعب، لم يتفاجئ الرجل بوجود شبيهه، أخفي لك مفاجأة كبيرة هنا، شبيتها بالداخل!!قال الرجل وهو يتأملني جيداً:

– من أنت؟

البائس، كيف تطرق الأبواب وتقول بكل جدية من هم أصحاب الدار!!؟أنت الذي أتيت وليس أنا، كنت أظن أنني لن أرى شبيهي أبداً!!، أعتقد انه أحد أنواع «الغرور المفرط»، لا يوجد لي شبيه، تباً للشيطان التعيس، الذي أخرجنا من الجنة بهبوطه عنوه معه على الأرض، يحاول زرع الغرور داخلنا، يوجد بشر يجبروك على ممارسة الغرور والتعالي معهم، يجب أن أمسك كل شخص أقابله وأردد في أذنه «أنّ ما بي مجرد ثقة وليست غرور» قلت :

– اهبطا من البقرة وأدخلا..

ما أفعله هو نوع من أنواع «السذاجة»، وأنا في انتظار أن تتبدل «أعينهم ويسيرون على الأربعة»، ها هم يمرون إلى الداخل، أغلقت الباب، اجلستهم بالطبع، طرقت على باب المسكينة الباكية أقول لها:



- عزيزتي لقد جائنا ضيوف هيا أخرجي، فأنتِ في شوقٍ كبيرٍ كي تريهم.

قالت بصوت أشبه بالأصوات الآتية من أمعاء بئر عميق:

- دعني وشأني.

- تلك المرة يجب أن تخرجي، فما هو بانتظاركِ مذهل.

استمعت إلى صمتها، أنا أراقب الضيوف ودون إستأذان يجلسون، ويصنعون فرشهم للجلوس أرضاً، الفتاة تبتسم لي، أقصد للشاب الأخر بنعومة وحنان، ماذا حدث لهم!؟

شبيهي يتحلى بذوق رفيع وهو يضع أحد «المراتب» لها كي تجلس فوقها بنعومة، وتتمسك بيده كى يجلس جوارها، يقول الشاب «شبيهي»:

- نشكرك على حسن الضيافة، لقد نجونا منهم بأعجوبة!!

تقدمت بعض الخطوات وأنا أجلس فوق «مرجيحة» القلق داخلي، فكل ما يحدث لا يمت للمنطقية بأدنى صلة، كأنه إختبارٌ لنا، وفي ردود أفعالنا، لقد شاهدت العديد والعديد من الأفلام الغربية التي تشبه تلك الحكاية، وقرأت العديد من الروايات التي يتواجد بها شبيه للبطل، ها أنا اجلس لاستمع إليهم.



"قليـل الذوق" يتمسـك بيدهـا ويقبلها!!كيف يجـرأ!!!، أاااةة لقد نسـيت ليسـت هي، الأخرى بالداخل تنعم بالبكاء على الأطلال، قلت لهم وأفصل حزمة المشاعر التي تسربت حول محيط مجلسهم:

- قل لي كيف أتيتما إلى هنا!؟ما اسـمك وما اسم الفتاة؟هل أتيت في حفـل توقيع هنا بالقرب من «مدينة المنصـورة»؟، هل تلك الحقيبة بها رواياتك؟تشبه إلى حدٍ كبيرٍ حقيبتي!!وتلك الفتاة يوجد شبيهتها بالداخل!!!هـل ضايفكم ذلكً الفلاح وزوجته!؟، هل طاردكم «ذو الأربعة»؟

تعجب الشاب كثيراً تعجب شبيهي من ذلك الأمر وهو يقول:

- لا أدرى عـن مـاذا تتحدث!!؟وليكـن سـوف أقـول لك مـا حدث تحديداً، هذه زوجتي وأتينا إلى «المنصورة»كي نطمأن على أبويها، «ينظر إليها بحنانٍ»أمائت برأسـها في تفاهم ثم أكمل، أنا من شاربي الدماء و بلعت شـيئًا ما كان طعمه أشبه بالماء، لقد فرز لعابي الكثير منه.

أين أهرب؟؟وحشان دخلا الدار بإرادتى، وها هم سيقتلوني، كنت أريد ميتة أقل بشـاعة، أريد الموت على ضفاف بحيرة، على أثر «سـكتة قلبيـة»، أريد الموت داخل جزيرة ينمو حولها النخيل والأعناب وتلمع الشـمس بضوء مجامل عسى أن أتفهم وأموت وأترك أرثي لمن سيأتى بعـدي، أريد الموت وأنا أنتحب، أو أتـوب وأعود إلى الله تائبًا، وأدعو



اللـه أن يغفر لي جميع ذنبـوي، طالما كنت أعتقد أن الموت بعيد، لكنه قريب للغاية، قالت الفتاة:

- لكننا لن نمتص دمائك اطمئن.

لا ليـس الفتـاة التي بالدخل، سـوف أموت من أجلهـا، لقد وعدتها ولـن أخنث وعدي أبداً، لا أخشـى الموت، ليس مـن أجل الفتاة، أمت كرجل ولا أعيش بعدها وأنا أتمسك بظلال الرجولة وأنا أحاول الفرار، لا أدري ماذا قلت بالسـابق!!النلقي نظرة والشـاب يفرد يد الفتاة، كيف نمـا ظافرك فجأة يا شـبيهي، لقد دس ظفـره بذراع الفتـاة، وأخذ يجرع ويجرع المزيد من الدماء.

الفتاة تبتسم وتقول لي، خذ المزيد يا حبيبي..

المشهد مقرف، مرعب.



صحوت فجأة، اجلس وحيداً على تلك الأريكة، انظر إلى الباب التي تستكين خلفه الفتاة، كان حلمًا!!أشبه بالحقيقة، وقد بلل العرق صدري، أمسكت «القلة»الموضوعة أرضًا وأشرب الماء بنهم، أين «دواء الضغط» الخاص بي، بدأ عقلي بطرح الأسئلة، ما عدد الساعات التي نمت!؟لا أتذكر، !!لكنها ساعات كثيرة قد تتجاوز الست ساعات كاملة، حلمًا مزعجًا، لكن قابل للتحقق داخل تلك «الأرض الملعونة»، لن أبقى هنا إلى الأبد، لن أقبل بهذا المصير أبداً، وقفت منتصبًا، أطرق



الباب، فلا يصح أن أقتحم غرفتها، فما الفرق بين الرجل وال...
استمعت إلى صوتها :

- أنا آتية!

لن أقص عليها حلمي، لكني أريد وبشدة، أريد أن أشاركها أدق التفاصيل، أريد أن أقص عليها طفولتي حتى مطلع الشباب، أريدها أن تستمع إلى أول قصة حب وقعت بها في الماضي، كيف سار الأمر، وكيف فرقنا النصيب، وعلى الأخرى، وعلى الأخرى، ماذا يروق لي في الملبس وما أفضله في الطعام، أحب الشيكولاتة كثيراً، فَتَحَت الباب تغيرت نظراتها تماماً تلك المرة قالت مبتهجة:

- هيا لنهرب.

يا للنساء، كيف لكتلة تكورت من الخوف منذ ساعات، كيف تغيرت!!؟؟، ولماذا أشرق وجهها فجأة!!؟قلت لها بحذر :

- أموقنة أنكِ بخير!؟

- في خير حال، أنا جاهزة تماماً.

تخيلت هيئتها وهو يمتص دمائها ذلك الوغد شبيهي، كيف كانت تبتسم، وكأنها تعطيه الحلوى، قالت قاطعة لسيل أفكاري:

- لديّ خطة كنت قد درستها وكنت أعتقد أنها الحل.



ماذا!؟خطة!؟ وأين اختفت «قيمتي كرجل»؟واضع للخطط والأهداف مُحَنَّك، أين ذهب خوفك؟لماذا تغيرتي ؟ هل راق لي كونك خائفة، هل راق لي أني الأقوى هنا، قلت بهدوء:

- ذلك ما كنت أتوقعه منكِ، هيا قولي لي ما هي خطتك؟

قالت ببساطة وهي تشير إلى الأعلى:

- سنهرب من خلال تسلق المنازل الصغيرة، أقصد «الدور الصغيرة»، فإنها تصطف خلف بعضها في نظام شديدٍ، وبذلك سنهرب من «ذو الأربع»، لقد قالت لي زوجة الفلاحً «إنهم يلاحقون الذين يسيرون على الأقدام فقط»، سوف نشق طريقنا متسلقين المنازل المكونة من «دور واحد»، إلى أن نصل إلى البر الثاني و قد علمت بوجود بر أخر يفصل تلك القرى عن باقي المدينة.

- كيف علمتي؟

- قد لمحت وأنا أسير بالبقرة أخر الطريق و وشاهدتها، ومن خلالها سوف ننفصل عن تلك القرية الصغيرة.

قلت حائراً :

- قلتي لي أن هناك قوم يأخذون «كارتة» لتر واحد من الدماء.

- لم أنسى بالطبع، لو قابلناهم سوف تعطيهم أنت دمائك، لو كان حديث السيدة صحيح!!



أاااه، أي لعبـة هذه!؟أتختبـري رجولتي في ذلك الشـأن؟بالطبع لن أدع فتـاة مثلـك مرهفة الحس تعطـي «لتر كامل من الدمـاء»، أعاني من الضغـط لا أنكر، أُصبـت بفقر الدم لا أنكر أيضـاً، أُعاني وأُعاني ولكن بالنهاية لو طلبوا مني «لتر دم»سـوف أضحي، لا يوجد سـبيل أخر فهو قـدري، حتـى لو أدى إلى مماتي، أحضرت كرسـيان ومنضدة واسـعة، وَقَفَـتْ عليهـا ووضعـت قدمها بجـرأة فوق الكرسـي!!فتحت سـقف الدار، تنظر لي و تقول بإهتمام:

- ألن تذهب؟

- أه، أااه بالطبع من بعدك.

وضعت قدمي على المنضدة التي تهتز ، لماذا تحركتي أيتها التعيسة معي!؟ ولماذا لم تفعلي معها ذلك الأمر!؟

، الخلاصة...صعدنـا إلـى السـطح"كالقرود"، نظرنـا إلى"المدينة المظلمة"والسـماء زرقـاء، يتلألأ نجومها كلأحجـار الكريمة، أعطتني القليـل مـن الأمل، بل حقـاً أعطتنـي الأمل، نظـرت إلى منـزل الفلاح وزوجتـه، وددت لو بصقـت عليه ولم أفعل، محافظةً على مظهري أمام الفتاة لا أنكر.

سـرت أنـا بالأمـام، امسـكتُ يدهـا كـي لا تقـع، أسـطُح المنـازل مسـتوية ومتقاربـة لأبعد درجة، لقـد تخطينا الوقوع، دارنـا الذي حمل لـي المزيـد من الذكريات، كنت قد نسـيت «رواياتـي» هناك عن قصد، عندما يقع أحداً غيري هناك عسـى أن يجد شيئًا يسليه، وضعت «هاتفي



المحمول»الـذي فقـد بريق الحياة في جيب بنطالـي وهذا كل ما أريده، منـازل تحتمي ببعضها البعض، في كل مـرة نتخطى أحد المنازل، انظر إلـى الخلف، أقيس المسـافة، قالت الفتاة وهي تهمس حتى لا يسـمعنا مجتمع «أسفل سقف البيت»الذي نحن فوقه:

- بقـيَّ القليـل جـداً، كنـت أعتقـد بأننـا قـد علقنـا في...اللعنـة لقـد سَـقَطت!!، لم انتبه للفراغ الذي يفصل بين منزلين!!، فقدت الوعي ...كنت بالمقدمة، أظلمت الدنيا.

***



عالم أخر...

عالم أخر لم أقرأ عنه بالروايات الخيالية حتى،

يتواجد على سطح الواقع!!

عالم غير منطقي بالمرة مثل الأحلام لكنه حقيقي!

كابوس بإمكانه أن يعيش إلى الأبد،

ليته يصبح حلم، آتى وراءه كابوس،

وحينها سوف نفيق على أرض تتسم بالواقعية.



دار أخرى!!أكثر رقيّ من الأخـرى، لون الغرفة بيضاء تماماًأعطتني ترياق الأمـل، طبق من الفاكهـة موضوع أمامنا، الفتـاة تجلس وعيونها متشحة بالسواد والإرهاق، تمسك ذراعها في ألمٍ، وقفت منتصباً ذهبت إليها قلت لها بلهفة :

- ماذا حدث؟لماذا تمسكين بذراعك هكذا؟

قالـت بإرهـاق شـديد، حسـبته أخر حديث لهـا قبـل أن تذهـب إلى العالم الأخر:

- لقد أخذوا مني «الدم»، لقد دفعت لهم أجرة يوم كامل للمبيت هنا.

أيتها المسكنية!!، لماذا لم تعطيهم دمائي لماذا!؟قلت لها بحنان:

- لماذا لم تأمريهم بأخذ الدماء مني؟

حاولت أن تبتسم قائلة بإرهاق:

- لم أجروء!

أمْسَـكْتُ طبـق الفاكهـة الموضوع أمامـي، حاولت إطعامهـا لكنها رفضت بإنهاك، دسست الفاكهة داخل فمها، يجب أن تُنهي ذلك الطبق لتعوضي الدماء الذي قد أخذوه منكِ توا .

أحدهـم يتمتع بالإحترام والذوق الشـديد، يطـرق على الأبواب!!، اسـمح له بالدخول، يدخل رجل ذو"بشـرة سـمراء داكنة"، حالكة في السواد الشديد، الشيء الملفت، "أسنانه الحمراء"، تصطك، كأنه يأكل



شيئًا مجهولاً، "حالة مرضية"على ما أتعقد، له عينان، لكن يرتدي منظاراً طبي أسود اللون، له أنف دقيقة، شعره قصير ، طمأنني بوجود تشابه بينه وبين البشر العاديين، قال الرجل وهو لايزال يصطك على أسنانه:

- الليلة «بلتر من الدماء»لليلة فقط.

دخل صبي صغير، مطابق اللون والصفة، كأنه شبيه الصغير، يتمسك بطبق يحمل فوقه دجاجة مشوية، يحوم حولها الأرز الساخن، يضعه الطفل على المنضدة ثم يهرع ويفر بعيداً عن الغرفة، يقف الرجل يتأملني كثيراً، فلم يعد يدهشني شيئًا مطلقاً، بل أتوقع الأسوأ، لا أجد كلمة تقال سوى:

- أشكرك يا فندم وأتمن...

- ما دمت تدفعون الدم نحن ما سوف نشكركم، والأن سوف اذهب.

قلت مندفعًا:

- أين فيشة الكهرباء؟

توقف الرجل قليلاً، يبدو أنه لا يفهم، لذا أشرت إليه، وأنا أضع يدي بالحائط، الفيشة يا رجل لا تكن غبياً مثلهم، قال الرجل وهو لا يزال يصطك على أسنانه الحمراء الغريبة:

- تجدها خلفك.



مهلاً، الساعة تعمل الأن!!إذاً هؤلاء القوم يتمتعون بالتحضر مثلنا، وأن الوقت هنا يسير إلى الأمام ولا يتوقف، قلت للرجل الذي أوشك على الخروج بعيداً:

- توقف قليلاً ، أريد طرح بعض الأسئلة؟

شعرت بأن صبره قد نفد وأستحق دفع القليل من الدماء له قال الرجل:

- قل ما عندك!

قلت في سرعة مستخدمًا الحكمة الشديدة مع ذلك الرجل مرعب الهيئة:

- أين تقع تلك القرية تحديداً، ولماذا أهلها يأخذون من المارة الدماء!؟

قال الرجل وهو يهز رأسه في تفاهم، يبدو حكيماً ذلك الغبي، فقد تقدم وكأنه سوف «يلقي خطبة أمام العامة»ويتمسك بالميكروفون، ويغني «جبار»، تقدم وجلس بالأريكة التي كانت بالجوار «كالعمدة»، الذي يود الاستماع إلى مشكلات وتعثرات الخلق، ويجد لهم حلول جذرية، قال وصوت أسنانه حمراء اللون، غريبة جداً تلك الأسنان، فحتى أسنان الأسد بيضاء، والفيل بيضاء، والفأر بيضاء، وحتى لو دَبَبن نملة تحت الميكروسوب سنجدها أيضاً بيضاء، الأسنان بطبعها بيضاء، وليست حمراء، يثير في نفسي القشعريرة:



- ماذا تريد أن تعلم؟

انتبهت لنا الفتاة وهي تحاول مضغ ما بفمها، انتبهت لحديثي مع الرجل، قلت:

- منذ ولوجِنا عبر الطريق، والأحداث أجمعها غير منطقية بالمرة، وحوش على هيئة بشر «تسير على الأربعة»!!يجب أن نمتطي بقرة كي لا يرونا!!!منازل منفصلة عن الزمن!! أناس يأخذون مننا «ضريبة الدم»تغيرت ملامح الرجل عند ذلك تلك النقطة تحديداً توقف عن تحريك فمه وذلك أيضاً صب داخله قلق مهيب، حركها ولا تلتفت لساذج مثلي...معذرةً!!، علمنا أنهم سوف يلاقونا بعد مرحلة أخذ الدماء، ولا أعلم ما يوجد بعد كل هذا!!؟

قال الرجل بنبرة حازمة:

- أين السؤال؟

لم يفهم بعد، يجب مخاطبة الناس على قدر عقولهم، يبدو أنه عاش حياته أجمعها على «ضريبة الدم»لا يعلم بوجود ناس أسوياء يدفعون المال فقط كي يبيتون داخل ذلك المنزل، قلت بهدوء:

- أقصد هل كنتم مممممم...

قالت الفتاة مساعدةً بإرهاق:

- يقصد هل أصيبت القرية بلعنة ما!؟، كل جزء منها يتعايش بلغة حياتية مختلفة عن الآخر!!



- هل يتوجب عليا شكرك على المساعدة!!، كنت سأقول تلك الكلمات.

قالت الفتاة وهي تهمس في أذني كطفل صغير يحتاج لمشورة أمه:

- لا تقل أحوال هو يعلمها اطرح السبب فقط، انتبهنا للرجل الذي سوف ألقبه ب «النوبي» بجلبابه المحبب وداره شديدة الإتقان والذوق، رغم هيئته المرعبة ورغم عطشه للدماء ومخالفة أسنانه عن الطبيعة، لكنه يبدو رجلاً طيب القلب، عاد يصطك بأسنانه، ها قد عاد إلى طبيعته، قال الرجل بجدية:

- لقد كنا بشر عاديين للغاية.

أااااةة حقاً!!!، كنت أعتقد ذلك الأمر، لقد أسعدني الاستماع إلى تلك الجملة، أين الفيشة إذن؟ وأين التلفاز!؟ وأين نشرات الأخبار!؟ هل انفصلت عن أرض الواقع، أنا سعيد جداااً، كانوا «بشر عاديين» يا نادين ألم أخبرك!!؟؟، أوووه لنستمع إلى ذلك الرجل وندعه يكمل:

- حوادث طرق، حوادث قتل، مجزرة حدثت بقرية تابعة «لمحافظة المنصورة»، حوادث الإغتصاب والقتل الدموي، قتل الأب لولده الطفل الرضيع، قتل الزوجة لزوجها وهروبها مع العشيق، بيع أعضاء بشرية للأجانب الخونة والجواسيس، القتل، القمع، الخوف من قلوب البشر، أَخْرَجَ تلك القرية من باطن الأرض «كوليد جديد» يريد أن يحبو هؤلاء الذين يسيرون على «الأربع» عصبة



المغتصبـون، المقصـود منها الفتـاة التي معك بالتأكيـد، لو لم تكن معك لم تكن لترى السيارة.

التفـتُ إلى الفتاة بجدية، ارتفع حاجبـاي بجدية، وددت لو اقتلعت جمجمتها وأعطيتها عن طيب خاطر للرجل، كي يعدها لنا على العشاء، ارتعـدت الفتـاة لحديث الرجل، ولـم تلتفت إلى نظراتي، لنسـتمع إلى الرجل الذي قال:

- الفتاة كانت معرضة للإغتصاب، وقد أنقذها شيئًا ما لا أعلمه، الذين «يمتطون سـيارات الأجرة»، لابد أن يكونا رجل وفتاة، يمكنهما أن يصبحا عاشقين، خائنين، المهم يريدون فعل «الحرام»فقط.

قلت في سرعة:

- الفتـاة لم «تتعـرض للإغتصاب»، بل كانــت «معرضة للإغتصاب»، لكنهـا ذهبت إلى «منزل الشـاب»وذلك يعد وحـده في حكم القرية مغتصبة حتى لو لم تكن!!كان يمكنني تغيير السيارة ولم أفعل.

شعرنا أنه يحاول الضحك:

- إنه قدرك وحَذَرَك لا يمنع قدرك.

- ماذا لو لم تركب الفتاة السيارة، لقد وضعت حقيبتي داخل السيارة.

قال الرجل ببساطة :

- كنت سـتجد حقيبتك «واقعة أرضاً»وينتهي كل شـيء وسـتعود إلى دارك سالماً معافاً.



أُلقي بنظرات اللوم أجمعها على الفتاة، التي قالت بنبرة خوف لم أكن أدري أنها «تَنمْ على ذراعي الأيمن وأنا أضع الطعام داخل فمها»:

- لم أكن أعلم!!!

قال الرجل :

- لا تبكي على الأطلال، وتقبلوا الأمر كما هو، هؤلاء القوم قاموا «بإغتصاب فتاة»داخل سيارة «الميكروباص»القديمة ورُميَّ الرجل الذى كان معها أرضا ودُهس بسيارة مسرعة، أما هم فقد مر قطيع من البقر أمامهم، وإنقلبت السياراة أرضًا ومات كل ما فيها، قد هبت داخل أجسادهم القرناء، فأصبحت جثثهم «تشيع في الأرض فساداً»، حكت لي الفتاة عن الزوج والزوجة التي أصيبت بالرعب فور علمها بأنهم ينتمون لقبيلة «السائرون على الأربعة»، ليست زوجته بل عشيقته، وكما تعلمون تَلَبَسُهُم القرناء، ذلك الطريق جرت به عدة حوادث، انتشلت جثث الحمقى والمغتصبين والقتلة بعناية وتجمعو داخل تلك القرية، التي هي عالم أخر لا يمت بصلة لأرضكم ، «أرض الواقع والمنطقية».

خذلك جانب واصمت يا رجل، واسمح لي بالتفكير، دخلت تلك الورطة عن طريق فتاة، ثم حاولت الأخرى كسري، ثم أعطتني أخرى الأهتمام والحنان، هن أسباب الخراب داخل تلك الدنيا، اللعنة!!ابتعدت الفتاة عن سكونها، لقد ظهر غضبي ولم أحاول إخفائه، لم أعتني كثيراً وأنا أطرح سؤالي على الرجل:



- كيف تتحرك الأشباح، كيف يكستبون صفة آدمية «أعني من لحم ودم أقصد».

- لا يا ولدي، لقد صعدت أراوحهم في السماء والذي تبقى فقط أتربة، تحولت وأكتسبت «صفات آدمية شريرة»، لقد رأيتهم بالطبع!!

تباً لم أسألك من أين جئت، أنت مثلهم بالطبع:

- أتحدث إلى قرين!!؟أليس كذلك!!؟

- بالطبع!

لقد دخلنا عش الدبابير يا عزيزتي الحمقاء الوردية صاحبة العيون البريئة، ولا مجال أن نعود إلى أرض الواقع، دخلنا ذلك الطريق عن طريق المغتصبين وسوف نموت هنا لا محاله، الفتاة عادت تحبس رأسها بين قضميها، قال الرجل وهو يعاود أن يصطك بأسنانه مجدداً:

- «أنا وقبيلتي هنا» لن تجد لنا مثيل، نحن «بائعوا الدم»، كنا نسير ونترجى المارة أن يتبرعوا بالدماء، ونبيعه، كان مكسباً ذهبيًا، إختلفنا في الحساب أنا وزملائي، فقتلنا بعضنا البعض ، نمتلك هنا خمس بيوت على الأقل، نتغذى على الدماء وتلك هي «لعنتنا»يا ولدي.

- وماذا عن الطفل الصغير الذي وضع لنا الطعام وذهب.

- لقد كان ولداً طيباً، لقد «صفينا دمه»وتلك كانت نقطة الأختلاف بيني وبين زملائي، وقتلنا بعضنا البعض بسببه.



كيف جرأتم؟، أيها المخابيل!ألم يحن قلبكم وأنتم ترون طفل يفقد روحه!؟استمعنا إليه:

- لقد أخذته أنا وربيته كولدي، إلى أن تقوم الساعة سيظل هكذا، مطيعًا لي.

أخرجت الفتاة رأسها من داخل أحضان قدمها:

- وما الخطوة الثانية التي بانتظارنا؟

شعرنا أنه أحنى حاجبيه في تأثر ، النظرة أخفت تعابير عينه!!

- «بائعوا الأعضاء»وهؤلاء مهرة، محنكين، سيأخذون منكم أي شيء، كلية، طحال، قدم، يد! ولكن تلك المرة سيأخذون «منكماأنتما الإثنان»كل واحد سيعطي ما بحوذته، كل واحد يضحي بشيء، أعلمتم لماذا أنا أرحم وأرق من الجميع!!؟

ارتعشت الفتاة طويلاً بخوف أما أنا فقد أُصبت بالبلادة «التناحة»، فكل خطوة بألم جسدي، تضحية ما، الفتاة تتألم لفقدان دمائها، أما أنا فلم أملك سوى طرح «سؤالي الأخير»:

- هل من طريق للعودة من جديد إلى عالمي.

نفت رأسه وهي تتحرك يميناً ويساراً:

- لا يمكنكم العودة مع الأسف، تلك المدينة لا تحمل إلا أرواح القرناء فقط، ستسيرون و تضحون بأجسادكم إلى أن ينتهي أمركم.

قالت الفتاة وهي تستعطفه:



- تبدو رجل طيب، هل يمكنني البقاء هنا حتى أتعافى قليلاً.

- لتر واحد من الدماء، تلك كانت «لعنتي» يا بنيتي وبقائكم هنا الليلة يتوقف على دفع الدماء، آسف بنيتي.

قلت بصرامة:

- سنبقى لليلة أخرى، خذ دمائي أنا، الفتاة تريد إستعاده عافيتها.

- ذلك شأنكم.

قام الرجل وتركنا وحدنا، انظر طويلاً نحو الباب، انظر إلى الفتاة قائلاً بصرامة:

- كُلي الطعام.

***



الصمت...

يتحاشى كلانا النظر إلى الأخر!!، الفتاة أخرجت أحد «رواياتي» من ظهرها، السارقة، لم أبالي كيف فعلتها، لكنها فعلتها، وأنا أفتح هاتفي المحمول بعد وضع ذلك الشاحن بفيشة ذلك «النوبي» لم ينفصل عن أرض الواقع، يبدو متحضراً رغم رغبته في الحصول على الدماء، قد علمت بسقوط هاتفها أثناء الفرار، فرارها من ذلك الوغد، لم أصدق قصتها، لا يمكنني بالطبع الولوج عبر «الإنترنت»، لقد خرجنا من «النطاق الطبيعي»، لذا فتحت إحدى الألعاب وأدس جم تركيزي للفوز، وأخسر، كل شيء ضدي، استمعت إلى همها، حاولت الهمس مرة أخرى:

- أتريد معرفة ما حدث؟!

انتبه لها رافعًا حاجباي كبرياء ونظرت مرة أخرى إلى هاتفي، استمعت لها وهي تقول بهمس:

- لقد وعدني بالزواج، علقني عبر شماعة وتقبلت أن أتدلى منها عن رضا، قال لي أنتِ لي وأنا لكِ، لن يفرقنا أحد.

قلت لها بغضب وبنفس الكبرياء:

- ليس ذنبي أنكِ غبية!!

تنظر لي كالأطفال، انظر لها بجدية، لا تتحديني بالنظرات، بعيونها تطالبني أن أكون إنسان، اتسعت بؤرة عينها متسائلة، من أي نوع من البشر أنت، تلتمع ثم يخرج منها دمعة حارة، سقطت أرضاً، إنها مثل



القطط، لو أطعمتها ووضعتها بالخارج، سوف تجد لها صاحب، تستدرج منه الطعام، تلتمع عينها كي تزبحه بتعاطف، ليس أنا يا هذه، لقد وقعت مع الشخص الخطأ هنا، لذ اصمتي وابتعدي بوجهك الجميل المسموم عني، لقد تسببتي بوضعي داخل بوابات الجحيم، كلما ظننت بوجود مخرج، تأزم الأمر ويزداد صعوبة، وتأكدت أن كل بوابة مجرد بوابة لأخرى، ها أنا استمع رغم رفضي لها:

- لك كل الحق في الغضب، أنت لم تعش حياتي؟، لم يصفعك أبيك وتضطر للعيش كاتمًا صوتك، كاتمًا صراخك، تريد الإحتماء خلف صوت حنون، الإحتماء خلف ظل رجل، يقول لك أحبك!

- تلك ليست بحجة مقبولة، ابحثي عن غيرها.

رفعت روايتي أمامها وقالت بحزن مخلوط بنبرة بكاء، كادت حينها أن ترق قلبي:

- أتلك روايتك؟

قلت بحزم:

- طبعاً!

قلبت إحدى رواياتي الثلاثة دون خجل، رواياتي التي تقبع داخل الحقيبة وامسكت إحداهن بيدها ووجَهَتْهَا نحوي وكأنه دليل جديد لإتهامي يفيدها في قضيتها نحوي عنوانها «صرخة بريئة»، إلى أن جاءت عند الصفحة الثالثة والسبعون وقرأت جملة بالتأكيد أحفظها عن ظهر قلب.

رواية

صرخة بريئة

حازم شريف

«نحن البشر يمكنك أن نخطئ دائماً، نزلنا من الجنة إلى الأرض عن طريق الخطأ، الإنسان داخل «مدرسة من الأخطاء»، يُحَسّنْ من نفسه دائمًا ويتخطى الأخطاء بالتعلم منها، يخرج من خطأ ثم يدخل في أخر، المهم أن نتعلم من الخطأ نفسه، وأن يحاول تدوين أخطائه عبر الورق ويعلمها لغيره، ولا يتكبر على الخطأ، ولا يسخر من أخطاء أحد من بني جنسه، فيمكنه أن يصبح أفضل منه، يجب أن نغفر «ذلات الأخرين»، يجب أن نسامح دائماً، فالدنيا ليست باقية لأحد، ومن يطمع



بها، يغمز داخل الأتربة، يطمس غروره، يجب أن نغفر للأخرين عسى أن يغفر لنا الله، نغفر ونسامح ونغفر ونسامح، حتى مع الأخطاء التي لا يسمح لها بذلك، يجب أن ننظف قلوبنا من «كل غل وذرات الكبر».

قالت:

- أليست تلك كلماتك؟

- ماذا تريدين!؟

- أين صدق كلماتك؟

قلت لها بإستنكار:

- خطأك أوقعنا جميعاً داخل حديقة الأموات، خطأ لا يغفر.

قالت بنبرة أكثر حزم:

- لكنك قلت أننا بشر ومخطئين دائماً، أليس تلك كلماتك!؟

- لا ليست كلماتي، قالها بطل الرواية فقط، وليس أنا!!

نَـوَتْ أن تقذفني بالكتاب، قد تحولت القطة الوديعة لأسد هادر الغضب أخيراً، لقد أغضبتها بحق، قالت وهي تبتسم في سخرية ونبرات البكاء لا تكف عن الإختلاط بصوتها:

- روايتك جميلة بحق، لقد ابكتني، رواية إجتماعية عن التعايش مع أخطاء الغير، هاجمت من خلالها المرأة بشكل وقح على لسان أحد الأبطال، وأظهرت المرأة بشكل وحشي، وصفتها بالقطط



البريـة، التي تأخذ ولا تعطي، تداعب من أجل المال، تمرح بالرجل كالدمية، وصفتها بالخائنة، أما الرجل، لقد وصفته كالرجل، إختلت الموازيـن عندك أيها الكاتب الشـهير، رواياتك غيـر موزونة بالمرة، كتاب مليئ بالغل والتناقض، أين كفة الميزان؟!أين الشـخصية التي يمكنـك من خلالهـا أن تصف عقلك «بالمتزن الرشـيد»؟، لا يغرك رفاهيـة معيشـتي وفـي بعض الأحيـان يمكنـك وصفي بالسـطحية الجبانـة، لكنـي قارئـة بارعـة، أقرأ منـذ نعومـة أظافـري وأعدك لو خرجنا من هنا سـالمين، سـوف أخبر الجميع عنك، وأخبرهم أنك في الحقيقة إنسان بشع، تقول بلسانك ما ليس بقلبك، تريد أن تكون قدوة وأنت لست أهل لها، أنت بالحقيقة جبان متكبر مغرور .

انظر لها، اختفت معالم الصرامة التي كانت تحتل وجهي منذ دقائق، أود أن أصبـح طفل، واتمسـك بها كي لا تتركني وحيـداً، تهديد خفي، عبـرت عنه بحديثها الغليظ، أنتِ أيتها المتحزلقة لا تعلمين شـيئًا عني، سـوف أداري شـعوراً كاد يفتك بي، وحديثها مثل السـيوف، التي تهبط على جسـدي بلا رحمة، يخترق قلبي وينتزعه بقسوة قلت لها وأنا أغير ملامحي فى صرامة كأنها لم تقل شيئًا، كأنها لم تزبحني وتسير بأقدامها فوق دمائي:

- قولي لي الحقيقة إذن.

قالت، بعد مسح دموعها التي سقطت على وجهها الوردي:



- نعم لقد حدث، اغتصبني «أحنت حاجبها في تأثر»وبعدها!

فتحت صنبور البكاء الذي لا يهدأ، قالت وقد رق قلبي بالفعل:

- ضربني ضرب مبرح، ثم طردني من منزله بكل قسوة، وقد وصفني بالعاهرة!، أخذ مني هاتفي وكل أغراضي تركتها عنده، لم أكن أتخيل مطلقًا حدوث ذلك الأمر، لم أجروء على طرق بابه لأطلب منه إعطائي هاتفي المحمول، أو حقيبتى وما بها من أموال ومتعلقاتي الشخصية!

قلت في تأثر حقيقي:

- لماذا لم تقولي لي الحقيقة؟

- خفت منك وخشيت أن تطمع بي وبجسدي، أنا لا أعرفك حقاً!

- أنتِ لا تعرفين شيئًا بالمرة.

- قاطع حديثنا عم «النوبي»بوجهه الذي أصبح مألوفًا، وهو يفتح الباب دون إستأذان وفي يده محقن قائلاً:

- لقد أتى الميعاد، إما أن تذهبا أو تطعوني الدماء.

قلت مبتسماً :

- عم النوبي قد حسبتك خلدت إلى النوم!!

- أنا لا أنام!

- قد حسبتك خرجت تحضر بعض الطعام!!



- انا لا أخرج!

- قد حسبتك في غرفتك تتفرج على نشرات الأخبار المضللة!!

- لا أشاهدها!

- قد ...

- لا ..هل ستعطيني الدماء أم أخرجكم من هنا.

انظر لها مبتسماً، وأنا أفرد ذراعي لعم «النوبي»وأقول بودٍ شديدٍ كأني معتاد على ذلك الأمر:

- عم النوبي، لقد أحببت طلتك كثيراً.

ابتسمت الفتاة وضحكت رغم عنها، قلت وأنا انظر إلى وجه الرجل:

- في المرة المقبلة، أطرق الباب قبل أن تقتحم الغرفة!

- لا أطرق الأبواب.

- لو يمكنك حتى.

- لا.

وهنا ضحكنا أنا والفتاة، والدماء تخرج من ذراعي وتنساب داخل الكيس قلت للنوبي في خفوت:

- ما مقدار الدم الذي ستأخذه يا عم نوبي؟

قال بروتينية:



- المقدار الطبيعي ٤٥٠(*) مللي لتراً فقط يا ولدي.
- لماذا قلت لها واحد لتر فقط؟

يصمت ثم ينظر إليها ويقول:

- بعض الناس في حاجة للخوف، وهي تحتاج للخوف، أما بعد فأنا آخذ الدم بعناية حتى لا أعرض الشخص للخطر، وذلك ما يميزني عن غيري.
- أنت مغرور يا عم النوبي.
- طبعاً.
- أتعترف!
- بالطبع، ولماذا أتيت إلى هنا؟

(*) التبرع بالدم هو إجراء طبي يكمن في نقل دم من شخص سليم معافى طوعاً إلى شخص مريض يحتاج للدم. يستخدم ذلك الدم في عمليات نقل الدم أو تصنيع الأدوية؛ وذلك عن طريق عملية تسمى التجزيء.يتم اجراء التبرع بالدم عن طريق جمع الدم في كيس طبي يحتوي على مادة مانعة للتجلط متصل بأبرة معقمة تستعمل لمرة واحدة فقط توصل من الوريد في الذراع، وتتم عملية التبرع بالدم في فترة زمنية مدتها بين ٥ إلى ١٠ دقائق في هذه الفترة يكون المتبرع تحت الرعاية الطبية المباشرة.يتم أخذ من ٤٠٠ إلى ٤٥٠ مليلترا، وهو ما يمثل حوالي ١/١٢ من حجم الدم الموجود داخل جسم كل إنسان، والذي يتراوح بين ٥ إلى ٦ لترات. يمكن معاودة التبرع بالدم بعد مرور ٦ أشهر من أخر تبرع بالدم في حين أن لتكرار التبرع يمكن التبرع بالدم قبل ذلك في الفترة من ٣-٤ أشهر، ولكن يجب أن يكون المتبرع في وضع صحي لائق. يجب أن يبقى المتبرع على سرير التبرع لمدة ٥ دقائق تحت الملاحظة الطبية ويسمح له بالجلوس بعد التأكد من حالته الطبية.


ساحر
الكتب



بعدما أعطيته الدماء الذي يريده!

اقتسمته بيني وبينها..

ها قد جاء وقت كي أنبش ذكرياتي الدفينة لها،

سوف أفصح لها عن تلك المؤامرة التي أعدتها حبيبتي الحقيرة.

لذا **انصتوا** جيداً لما سأقول..

فهو مفاجأة لكل من سيقرأ تلك السطور القادمة!



قـد دخلـت البوابة..بوابة نادٍ رياضي شـهير، لأجدها تجلس وسـط زميلاتهـا الإناث، اتخطى المسـافات كي أقف على تلـك المنصة التي تراصـى الحاضريـن أمامها، كمنصـة المسـرح لكنها جوار الجالسـين تعلمـون ذلـك الأمـر، «حفل توقيع روايتـي الجديـدة»، أجدها تهمس فـي أذن زميلاتها وتنظر لي، تتحدث بشـأني أي حشـرة تمـر يمكنها أن تلاحـظ ذلك الأمر، أقف وأتحدث عن مضمون «الرواية»أمام الجميع، الذيـن كانـوا يجلسـون، يشـاهدوني «كبطـل فيلم»يتحدث عـن فيلمه الأخير، وبعد أن فرغت، جلسـت على تلـك المنضدة، أوقع لإحداهن عليهـا، وآخـذ بعـض من الصـور التذكاريـة، إلا هي!!لقد جلسـت في انتظـار زميلاتهـا، الذين أخـذوا توقيعي، وبعض من الصـور التي أبدوا داخلها مبتسم، لقد تحدثت لأحد الصحفيين، بسعادتى لرواج الرواية، ونجاحهـا الـذي لـم أكـن أتوقعه!!كانت تجلـس، معهـم، تنظر نحوي بفضـول، هي فتـاة جميلـة، جذابة وذلك يكفـي لن أصفهـا، تتمع برقة مصطنعة لأكثر حد، لقد اختفى الجميع، وما تبقى أنا وهي، التفينا حول منضدة واحدة، لست أدري كيف تم الأمر، لكنه تم، قالت بدلالٍ:

-لم أقرأ لك من قبل.

شـعرت بالغيظ، كيـف لا تعلمني وتواجدتي وسـط الجمع، حفلة توقيع داخل نادٍ شـهير، كيـف أَخَذَتْنِي، لقد كنـت بالفعل أحمل موعداً مع أصدقائي القدامى، لقد عزمني أحدهم على مشروب القهوة الطازج في قهوة شـهيرة «بوسـط البلد»، أغلقـت هاتفي وأنا اسـتمع إليها، إلى



قصـة حياتها، تفخر بعدد الرجـال الذي أوقَعَتْهم فـي غرامها، تلك هي المـرة الأولـى التي تقع في غـرام أحدهم، وهو أنا بالطبـع، ومن وقتها، اقتحمـت حياتـي فجـأة، تنظـم لـي مواعيـد العمـل، تنظم لـي مواعيد الكتابـة، تعلم «دبة النملة»وبإرداتى، وكان الأمر يسـعدني في الحقيقة، إهتمامها المبالغ بي بلغ أقصاه، كنت اسـتمع إليها، وعندما إقص شـيئًا يجتاح مشاعري، تصدني وتلومني كثيراً ، تلوم تخاذلي، تلوم، ثم تلوم، ثـم تشـكو وتشـكو، تضحك، تتمسـك بيـدي، أوقعتني فـي حبها تلك المشؤمة، تقول لي إنها «برج الأسد»، هي قائدة، وسوف أكون محظوظًا بحبهـا، لقد تمناها الكثيـرون، وهي لم تتمنى سـوايا، ثم لاحظت على صفحتهـا «فيس بـوك»، صورة عبر بوابـات «قلعة محمـد علي»وتقول أسـفلها «هنـا وجدت نفسـي» وأحـد الرجـال يعلـق «وأنا أيضـاً»، نار الغيرة استشـاطت داخلي، وارتفعت كفوهة قطار مسـرع، كنت مسافراً حينها، أجرى مهاتفة عبر تليفونها المحمول، مشغول، مشغول..مشغول، ها هي تـرد، وتقول بـكل ود، إنها عند أبيها، وشـقيقتها أخذت الهاتف تحدث صديقتها، أوووووة اللعنة كدت أشـك فيكي يا معشوقتي، قلت لها كيف وجدت نفسـك عبر أبواب محمد علي، أكان جدك أحد المماليك ولم أعلم؟ قالت بمرح:

- إنـه صديق قديم أعادني إلى الزمـن القديم حيث كانت إيام الجامعة نجتمع هناك مع الشلة القديمة، بإختصار، كان لها حجج مقنعة جداً، لا تنعتيني بالمغفل، أخذتها وذهبنا إلى الملاهي المزدحمة، أخذتها





وذهبنا إلى تلك الأرجوحة التي تقلبنا رأساً على عقب، ولحظها العاثر، وقعت أرضًا، ليُكسر لها ضلع، وجزء من الجمجمة، ظللت جوارها بالمشفى، أراعيها أيام وأيام، وهي تحتمي بي، كمظلة في ليلة ممطرة، كمركبة تشق طريقها وسط بحيرة تعج بالتماسيح، أو، أو، أهملت عملي، صببت جم إهتمامي بها، أقمت بالمشفى لشهر كامل، أراعيها، وأُحمِل نفسي مسؤلية ذلك الحادث، كنت أنا سبب إقتراح أن نذهب إلى الملاهي، حَملت نفسي المسؤلية بأكملها، نمت لحيتي وأشيحت عيني بوشاح أسود، كنت أدس لها الطعام، كنت أسندها كي تقف على قدميها، أشجعها، أحمسها، هي مسؤليتي، وبعد أن أصبحت في تمام الصحة والعافية، أخذتها إلى منزلها، حيث أبيها وأمها، واطمأننت عليها، وقبلتُ رأسها، ثم ذهبت كي أستريح مثل الجثة على فراشي، نمت يوم ونصف يوم تقريباً، امسكت هاتفي المحمول، اطلب رقمها المميز، تجيب بخفوتٍ شديدٍ، قلت لها سوف أفعلها بالغد، سأتقدم لخطبتك، قالت لي بكل وضوح:

– لا أريدك بحياتي منذ تلك اللحظات.

– ماذا كيف؟

– لا تتعجب، لقد أحنيت رأسي ونظرت لك من القلعة، إلى شاب عادي، أريد أحداً يمتلك قلعة مثلي، لا ينافس أحدنا الأخر!!

– لقد ظللت جوارك إلى أن أتممتي شفائك!!أتلك هي جزائي؟



صمتت برهة ثم قالت:

- من صاحب فكرة الذهاب إلى الملاهي، أنت ها..أنت.

تباً لكِ!لقد دمرتي قلبي، لا أصدقك، لابد أن تلك مزحة سمجة لا تليق، هيا فلتقو لي أنكِ تمزحين معي!؟

- بالغد زفافي، أدعوك للحضور لو شئت.

***



ومن وقتها ولم آمن لفتاة.



«لماذا لم تخبرني يا ولدي عن ذلك الأمر».

«عـم النوبي»، فتح الباب مرة أخرى دون إسـتأذان، تقدم بخطوات مسرحية، يضع يداه خلف ظهره ويتقدم نحونا، وأسنانه تصطك، قال:

– هكذا علمت لماذا أتيت إلى هنا؟

قلت بغضب هادر :

– وما شأنك أنت ؟.

– لا يـا ولدي طالمـا أنتم في داري فكل ما يجري من شـأني، وعندي لك تفسيراً مدهش لأمرك.

بـدأ يغضبنـي صاحب الجلبـاب الصعيـدي، أود طرحـه أرضاً، من يتدخـل في ما لا يعنيه سـمع لا يرضيه هكذا تعلمـت، لكني بمنزله، لذا سـوف استمع إلـى كل مـا لا يرضيني، يجـب أن نخرج من هنـا فإلتزم الصمت واسـتمع إليه، نراقبـه وهو يقترب منا، يجلـس بالقرب منا، ثم يقول بحزم:

– لقـد قامت من كنت تحبهـا بعمل عملاً على يد سـاحراً كبيراً، عمل أسـود، هو من جعلك ترى السيارة وغيرك لا يراها، وفعلة الفتاة هو من جعلها ترى السيارة، أترى كل شيء منطقيًا الأن.

أشرت للفتاة أن تصمت تلك المرة وأنا أقول:



- ما ذنبي أنا!!، لقد فعلت اللعينة ذلك العمل، أنا مظلوم ولا أدري شيئًا عنه بالمرة، أيفترض أن لا أرى السيارة وأنا مجرم مثلاً أو مغتصب!؟

- لا يا ولدي، ذلك العمل يضعك في حيزهم لا تقلق، لكن مصيرك أخف وطئه من مصير الفتاة الجالسة أمامك، لقد أحبَبْت فتاة تدرك أنها لعوب!!، ولذلك وقعت في حبها «كالتيس»، لا تقلق، سوف تنجوا، أما تلك الفتاة فلن تنجو، سوف تهلك، سوف أعطيك شارة يمكنك حملها، ترفعها أمام «السائرون على الأربعة»، سوف يدعوك تمر في سلام وهناك سوف تجد سيارات «المشروع» تقلك إلى المدينة، وتعود من حيث أتيت.

هل نجوت بالفعل؟؟، هل انتهى ذلك الكابوس، انظر للمسكينة، توشك على البكاء، تنظر لنا برعب ولا تنطق ، قلت:

- أيمكنك إعطائنا تذكرتين لنعبر أ وسوف أعطيك دماءً كفديه.

قال بآسف:

- لا يا ولدي، لقد نجوت أنت، أما هي فقد هلكت.

الفتاة يوجد مثلها الألف، بل الملايين، لكني لن أتركها وحيدة هنا، قلت له في ضيقٍ:

- لا سوف أبقى معها ، ولكني سوف أحتفظ بتلك التذكرة؟



- لا يمكنك أخذها يا ولدي إلا لو قررت الذهاب الأن، فالخطوة القادمة لا تسمح بمثل هذه «الكروت».

اللعنة، لن أدعها هنا، سوف آخذ قرار لا رجعه فيه:

- حسنًا أعطيني ذلك الكارت، سوف أعطيها أياه وتَفِر هي، وأنا سأبقى لأواجه مصيري.

شعرت أنه ينوي الضحك، لقد تحرك فمه كثيراً دون أن يصطك، لذا قال:

- العابرون لم يرتكبو ا خطيئة بل أوقعهن إحداهن في الخطأ، لم تخطئ يا ولدي، تلك بلدة «للخطائون»فقط.

- لن أتركها؟

- ذلك شأنك أنت وحدك.

اللعنة، أريد دخول دورة المياه فوراً.

***

"على لسان الفتاة":

قد خفت كثيراً، عندما ظننت أنه سينجو ويتركني، بعدما وجدت أخيراً ذلك الرجل، الذي اخفى داخله طفل مسكين، يتوارى خلف الرجل الصلب الساخر الذي لا ينحني لأنثى، رأيته وهو يدخل غرفة المياه، قال "النوبي"مشيراً نحو الباب:

- ذلك الشاب يحبك.



قلت بتوتر :

- كيف علمت؟

- أدرك مثل هـذه الأمور، إنه يذوب في عشـقك يا أنسـتي، وسـوف أتـرك لكـي نصيحة غالية جـدا، لن تجدي من يحبـك أكثر من ذلك الشـخص، ذلـك لـو كتب لـكِ النجـاه، يبدو متسـامحًا رغـم هيئته الصلبة، يحمل داخله طفل وديع، ويحتاجك.

أفرحني ذلك الخبر لسـبب مجهول بدأ ينتشـر داخلـي الأمل، على الأقـل أدركـت مدى سـذاجتي، عندما أحبت شـاب شـهواني، وبدأت أقتنع بوجود خياراً، وسـألت نفسي سـؤالاً، هل اسلمته نفسي رغبةً في الأنتقـام من أبـي؟؟ وليس حباً فيـه، بدأت أعجب بذلك الشـاب الذي هرع منذ ثوانٍ، قلت «للنوبي»:

- هل تملك لي كارنيه للنجاة!؟

- أصدقتـي يـا فتاة!؟لقد كان الأمـر مجرد مزحة!، إختبـاراً، لأطمنك فقط، سوف تغامرين وتهربين مع رجل يحبك وذلك لو تعلمين أمر بالغ الأهمية والضرورة، لا يوجد مخرج من هنا للأسف!

ابتسـمت رغماً عني، رغم بشـاعة الأحداث، ابتسـمت، ها قد جاء، حازم كعادته، ثم قال:

- سوف أعطها ذلك الكارنية اللعين، سوف أعطيك دماءً إضافية.

ضحكت داخلي.

ونظراتي تختلف تلك المرة.



نظرات من وجد فارس الأحلام يمتطي البقرة...
أضحك ولا أظهر ذلك الأمر.

***

كنت أحلم في الماضي، أن أعيش داخل جزيرة ومعي فتاة،
لا أدرك أن الأحلام يمنكها التحقق على أرض الواقع!!،
وتكون أبشع من الأحلام و الكوابيس،

كنت أريد جزيرة تنمو بها الخضرة والفواكه والأعناب وحبيبتي بجواري..
يأتي الواقع الصادم، كي يضعني جوار تلك الجميلة،
وداخل أموات تريد أن تضمنا للفريق.
اختفت الجزيرة، تلاشت أحلامي.
ها أنا سوف أواجه مصيري معها!
ترى ما الخطوة القادمة؟؟
أهي أشد قسوة،
أم؟!..

أشعر بالتعب، والإرهاق يتملكني ولكن يجب أن أنقذها، يجب أن أصبح على قدر المسؤلية، يجب أن أظهر لها أني نوع مختلف لم ترى مثله، يجب أن أظهر لها شجاعتي، وها هي تقول متسائلة:



- لماذا لم تأخذ التذكرة وتذهب؟

انظـر لها وحاجبـاي يرتفعان معاً، هل تريـنـي جبانًا؟هل تريني صبي يريد أن يذهب إلى أمه فوراً؟؟، هل ترين رعديد يخشـى على نفسـه من الزومبـي وقاطعي الرؤوس والسـفلة مصاصي الدمـاء الذين يبيعوه في الأسـواق السـوداء!؟؟، هل تريـنـي «النوبي»الذي يأخذ أجـرة المبيت، أُبعـد رأسـي عن رؤيتها، لا اسـتطيع رؤيتها في ذلك الوقـت، وفي أثناء الإجابة التي لا أجد لها إجابة ، نطق فمي بشيءٍ لم أفهمه بعد:

- قـررت إنهـاء حياتي لسـبب وجيـه، وهـو «حمايتك»، لقـد فضلتي التبـرع بالـدم بالنيابة عنـي، وهذا هو رد الجميل وفـي كل الحالات سوف أموت، أموت لسبب وجيه أفضل.

لا التفتُ إليها، وقد تبدلت نظراتها نحوي بشـكل غريب، لم تهابني مثلما كان الأمر في البداية، قالت هامسة:

- فعلته من أجلنا، كان لابد أن أفعل.

انظر لها بحزم، وقلت :

- وأنا لابد أن أبقى، لست جبانًا .

- أمتاكد من ذلك الأمر؟

- ماذا تقصدين؟



- أنت قلت «لابد أن أبقى»، بعد أن جاءتك النجاة، لماذا ترهن حياتك بفتاة مثلي!؟، سوف يتحاشاها المجتمع لو علم خطيئتها، سوف يكرهها أبويها وأخوتها و ...

- كفى!، قلت سوف أبقى معك وذلك يكفي «انظر إلى ساعتي التي اشتعلت محركاتها من جديد» لابد لنا من إعداد أنفسنا للرحيل.

تلتفت نحوي بوجهٍ صامتٍ، خالي من الحزن كعادتها، أعلم أنها تود قول شيئًا، تخفي شيئًا لا أعلمه ولا يعنيني، ها قد استعادت عافيتها، وأصبح وجهها أكثر نضارة وجمال، عيونها الواسعة تلمع بوهج محبب إلى النفس، تريد لف الكون بأكلمه ووضعه لها في صندوق، وإعطائها لها كهدية، لم ينظر لي أحداً من قبل حتى «حبيبتي الحمقاء» بتلك النظرات، الخالية من التمثيل، أقوم من جلستي، أحضر حقيبة كانت موضوعة بالفراش، أضع داخلها الطعام الذي تبقى، قامت بمساعدتي، وإرتديت الحقيبة خلف ظهري، قلت لها:

- هيا سوف نرحل.

يدخل عم «النوبي» ومعه الطفل الصغير ، يقول في ودٍ:

- هل سترحلان؟

قلت ساخراً:

- لم يعد في جسدنا دماءً للبقاء، لذا سوف نتبرع بجزء أخر من أجسادنا «لبائعي الأعضاء».



قال عم النوبي مشيراً إلى الحقيبة التي في ظهري:

- دفعت ثمن تلك الحقيبة يا ولدي؟

انظر له في عجب، ثم بنظرات متسائلة:

- أتريد ثمن الحقيبةٍ!!أين كرم الضيافة؟

أُحنـي رأسـي يميناً ويسـاراً ترجمتها بالرفض، أضـع يدي في جيبي وأخرج بعض النقود الورقية:

- كم تريد، هذه حقيبة قديمة لا تقدر ب ١٥ج.

قال الصبي في براءة:

- نريد دماء في المقابل.

قالت الفتاة بفتور:

- لكنها حقيبة لن ننم عليها ولا نأكلها!!

قال النوبي:

- ١٠ سم من الدماء كافية لها عزيزتي.

- أيها اللعين المستغل، فردت ذراعها وتقدمت نحوه قائله:

- خذ مني أنا.

امسكتها من ذراعها، وأبعدتها عن مرماهم قلت لها بصرامة:

- لا تفعلي ذلك الأمر مجدداً وأنا على قيد الحياة أفهمتي!!

أواجههُـم وأفـرد لهـم ذراعي هيا خـذ مني في سـرعة، فلابد لنا من الرحيل، أسرعا.

***



حقاً!..

هل نسير في وضح النهار !؟شيئًا مبهجًا في الواقع، مدينة عجيبة، وغريبة، ومختلفة الأطوار!!، قرية مألوفة للناظرين، هنالك بحيرة، يسبح داخلها حشرات البلهارسيا، والضفادع الصغيرة تنبح وتخرج ألسنتها للذباب ، ضفادع في حجم "عقلة الأصبع"، سارت بجانبي الفتاة، كان ذلك الأمر ممتعًا، الخضرة والوجه الحسن، أين الخطر إذن!؟، رغم وجود ظلال تحاوطنا، ظلال أدمية فارعة الطول، أقتنعنا أنه ظلّنا يحاول أن يكون كبيراً ، لقد كانت الشمس ساطعة، لقد كبر ظلنا أكثر وأكثر، أشارت للفتاة أن تتوقف، وقد التفتنا إلى الخلف!!كان هناك سائرون خلفنا!!يفوقونا حجماً، وجوه مهشمة، أحدهم لا يوجد له أعين لكنه يسير ويصر على أنه يرانا ، والأخر لا يمتلك ذراع أيمن، وجه مقطع بمطواه بيد عارية متحفزة للإنقضاض في أي دقيقة نحونا، يمتلك لحية خفيفة غير مهندمة بالمرة، وأخر و الأكثر حجمًا، كان وللحق أكثرهم طولاً وحجماً، يحمل أسفل صدره بلونة، "كرشة" متدلي، المعالم الرئيسية في الوجوه، الإصفرار، وجههم صفراء، كأنهم موتى، هم بالفعل موتى، ذلك هو الإختبار المرعب، للمرحلة القادمة، أشرت نحوهم بإصبعي:

- هل أنتم تجار الأعضاء؟



كانوا مكونون من «عشـرة أفراد»، بأحجـام مختلفة، لكنهم وبالطبع يفوقونا في الحجم، «نظرتُ إلى الفتاة كي تجاريني فيما سـأقول»، قال أحدهم يبدو قائدهم على ما أعتقد، يحدث قومه ولا يحدثنا:

- ها قد وقعا في أيدينا إثنان آخران.

ابتسم لهم رغم عني وقلت بود:

- مرحبًا يا رجال، كيف حالكم؟

ينظر نحوي كبيرهم في استنكار ثم يقول بروتينية:

- هل أخبروك؟

- من هم؟

- المرحلة الثانية، آخذي الدماء، هل أخبروك بمطالبنا؟؟

أُحني حاجباي في تأثر، أتقدم نحوهم رغم خوفي، واضغط على يد الفتاة لتنتظرني، ولتثق بي، قلت لكبيرهم:

- هـل يمكننـا الحديـث في مـكانٍ ما، فما فـي حوزتي يعـد في نطاق السرية المطلقة؟

ينظـر نحوي في ذهول!!!، ينظر إلى الرجـال، يهرش في معدته، ثم ينفجر ضاحكًا، وكأنها موجه لم تلبث أن التقطها الجميع فسار الجميع يضحكون أمامي، قال كبيرهم:



- لا يوجد في أرضنا أسرار، أو سرية يا هذا!!فالجميع يعلم القواعد هنا، ومثل ما ترى، فتلك الأراضي مقسمة للمغتصبين والقتلة وسافكي الدماء والزاون، هاهاهاها، لا يوجد أحد يكتم سراً هنا.

سرت نحوه وهمست في أذنه التي كانت شبه مكتملة وقلت:

- الزاون وأخذي الدماء يودون الإطاحة بكَ. بكم.

وانفجر ضاحكاً، كاد يتمرمغ في الأرض من الضحك، يبدو أن قاونينهم لا تكسر ولا يستطيع أحد ممارسة الدهاء معهم، لكني سوف أحاول معهم، قال الرجل بغضبٍ:

- لا تحاول خداعنا يا هذا!!، فلو كان للخادعين أرض فلتكن هنا، سوف تعطينا قدم أو يد أو قلب أو كبد، أو أمعاء غليظة، أو، أو، لقد أخبروك لا تتفلسف علينا، إما أن تعطينا ما تريده، أم نأخذ ما نريده فالإختيار لك.

قلت بهدوء مستفذ:

- بالعكس تماماً، يمكنني إعطائك كليتي عن طيب خاطر.

- جميعهم قالوا مثلك وأخذنا الضعف!!

استمريت وقلت:

- حسنًا!!فليستمع إليّ الجميع..إذا كنتم تعتقدون بأني كاذب، فاذهبوا مع الكاذب إلى باب الدار كما يقولون، «فردت يدي بأداء



مسـرحي شـهير»، فلتقولـوا لي لمـاذا هذا الرجـل تلقبـوه بالزعيم، فلينطق أحدكم!؟

ينظرون إلى أكبرهم البدين، في تعجب، قال كبيرهم بغضب وهو لا يلتفت إليهم، كأنهم أصيبوا «بالعتة»دفعه واحدة:

- لا تحـاول يا هذا، بذلك تحكم على نفسـك بالموت وسـوف نأخذ منك ما نريد.

انظر إلى الفتاة التي كانت قلقة، لكنها وفي تلك الأثناء تثق في ذكائي أخيراً، ثم التفت إليهم وأنا أقول:

- أليـس هذا مـن وَضَعَكـم داخل «صهاريـج المـوت»، ويعود فضل عودتكم إلى الحياة كأموات سـائرة تنهم من أجل الفوز بأعضاء بعد البشر..لكني لن أتحدث عن ذلك الأمر، ذلك شأنكم وحدكم.

قال كبيرهم بغضب هادر، وبيده هرواة لا أعلم من أين أتت:

أكمل ماذا تريد؟

لقد فعلتها ولفت انتباههم، قال «النوبي»مسـتحيل أن يتحدثوا معك فـي أمر ما إنهم يأخـذون الأعضاء بلا نقاش، ومـن الصعب مواجهتهم ومقاومتهم، أغرب عن تفكيري يا «نوبي»ولاتشـتت تركيزي في جملي القادمة:

- حين جئنا إلى هنا، وجدنا رجل وامرأة، أول دار يمكنك رؤيتها فور ولوجك إلى القرية.



- نعلمهم نعلهم..أكمل.

- قالوا لنا طريقة للتخلص من «السائرون على الأربعة»، معهم تدمير بائعي الدم، الذي كان وبالطبع معترض على تلك الجمل!!، لكنه قال لنا ندعهم وشأنهم لن يستيطعون كسر الميثاق الذي كان قد وقع عليه الجميع قبل أن تسكنوا تلك القرية العجيبة، والذي ينص على إقتسام الأرض بدلاً من نهش بعضنا البعض، والجميع سوف يقتسم رزقه من القوم الذين ضلوا طريقهم نحونا، سوف نبدأ ببيت خارج الزمن يمل منه الجالسين فيرحلون، ليجدوا منزل يأخذ الدماء وإلى «تجار الأعضاء»وفي الأخير القتلة والسفاحين.

اتسعت عيون الجميع، توقف عن تحريك الهراوة، وهو يتأملنا في توتر، وجوه مرعبة مخيفة، أكاد أخشى أن يهبط علي كتفي لينزعه من مكانه، أخشى لو بصق بصقة سيحترق جسدي!!، أُبعد تلك الخيالات عني الأن، ذلك ليس وقته، انتبه بكل كياني نحوه وهو يقول في تفكير:

- معرفتك بذلك الأمر يكسر جميع القواعد، هناك من خالف الميثاق ويجب معاقبته.

- ولا أخفي عليك الأمر، لقد قال لي ذلك الرجل الذي يتحلى بالسواد الحالك، وأسنانه التي لا تتوقف عن « الإصطكاك»، أن في حوزته سراً سوف يدمر «تاجري الأعضاء»حتى النخاع، وأنه ينتوي الخلاص منهم في أقرب وقت، وأمرني أن أذهب إليك لمراقبة الأحوال عندك، «أخرج من حقيبتي هاتفى المحمول»، وأبلغه بما



يدور «أفتح الشاشــة..الصور»ها هوانظر له، ها هو يبتسـم معنا ذلك هـو اللعين الذي سـوف يسـاهم في كسـر الميثـاق، ويحاربكم أنتم وقومكم.

- الرجـال من الخلف يضربون كفًا على كـف، في عجبٍ، ويتعجبون من»الخونـة وكاسـري المواثيـق»، يتحدثـون فيمـا بينهـم، الزعيـم لا يلتفـت إلى أي شـيء سـواي، كأنه فـي انتظـار أن تتغير ملامحي المتماسـكة، وأن انفجـر وأقول لا كنت أمـزح معك خذ ما تريد من جسـدي، لازلـت أتحلى بالثبـات، وأنا التفـت إلى الفتـاة ، وللحق مظهرهـا أذهلنـي حقًا، لقـد وضعت يداهـا حول صدرهـا، وتحني رأسـها يمينًا ويسـاراً فـي تأثـر وكأنها تواسـى الرجـال، وكأنها فرد منهم، أكتم ضحكي وأنا انظر إلى الرجل مجدداً، اقترب مني في قوة وصلابة، لقد وصلت جمجمتي إلى كرشه المتدلي، قال صرامة:

- أعطني دليلك.

ابتعـدت عنه قليلاً، أخرجت مـن الحقيبة جورب صغير مصنوع من القماش، تعجبت الفتاة لوجوده داخل الحقيبة، قلت له:

- مد لي شيئًا بجسدك لا تحتاجه..

قال الرجل في عجبٍ:

- جسدي بأكمله أحتاجه!!

إذن فلمـاذا تطالبنا بالتخلي عن أشـيائنا أيهـا اللعين، أكمل وكأنه لم يقل شيئًا:



- أريد من الحاضرين التخلي عن أي قطعة.

قال هو في محاولةً منه للتذاكي:

- فلماذا لا تتخلى أنت يا هذا؟

- أنا لست قرين، بداخلي روح تحميني من «المسحوق»، هيا مد لي إصبعك أو حتى ظفراً منه.

- جربه على نفسك أولاً.

ببساطة شديدة، وضعت القليل من المسحوق في يدي، ولم يحدث شيئًا، فقال الرجل:

- أهي خُدعةً ما!؟؟سوف أقتلك.

- ألا تفهم؟قلت لك لا تؤثر عليّ!

قال هو في ابتسامة واسعة:

- لو لم يحدث لي شيئًا، سوف أقلتع رأسك من مكانها، وأكلها أمام تلك الأنسة.

ارتعدت قليلاً..لا أنكر ذلك، لازلت أتحلى بالثقة، ويدي ترتجف تلك المرة، اللعنة لو لم يؤثر عليه ذلك المسحوق، فَرَدَ لي أمام رِجاله اصبع الإبهام:

- خذ هذا وأريني ما بحوزتك.

فردت القليل من المسحوق بإصبعه.

وانتظرت رد الفعل..

ولم يحدث شيئًا!!!



الصبر الصبر ..

هـا هو إصبعـه يتطاير ويتحـول إلى تـراب، أما الرجل فصـرخ أمام رجاله، كالصبي الصغير الذي لسعته أمه بالكبريت.

والجميع ينظر له بذهول!!!

ويضربون بالأكفف في عجبٍ..

***



أَخَذَنا الرجال بعيداً عن تلك المنطقة، سرنا ورأينا كم هائل من «الماعز والبقر»، تنتشر من هنا وهناك، ورائحة تلك الحارة الصغيرة «تزكم الأنوف»، حتى الفتاة لم تتحمل، كادت تسقط من الدوار، لكني أخمدت ضعفها، أمرتها أن تتحمل قليلاً، ذهبنا وهرست أقدامنا فضلات الأبقار، بالنسبة لهم الأمر عادي بالطبع!!! حارة كاملة تفترش بفضلات الأبقار والماعز، سرنا والرجال يطوقونا، ها قد دخلنا دار أخرى، مطلوة بالدماء، الدماء متناثرة في كل مكان وكل شبر، دماء يبدو وأنها حديثة، أغلقوا خلفنا باب الدار، وسمعنا صوت غلق الباب من الخارج، حبسونا مؤقتًا، وقلبي لا يطمئن، ماذا سيفعلون؟لكزتني الفتاة وقالت بتوتر:

- لماذا لم تخبرني بالأمر؟لماذا أخفيت عني الأمر بأكمله؟!

أقول بعدم إكتراث:

- كل هذا حديث بالمصادفة؟
- كيف أخبرني فوراً!!؟
- سأخبرك بعدما استرح في ذلك قليلاً.

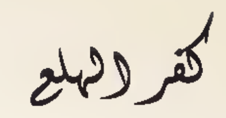
قالت بإستنكار :

- كيف تسترح ورائحة المكان مقرفة؟
- سيعتاد عليها أنفك بعد لحظات عزيزتي.

قال بغضب:

- أخبرني بالأمر، فأنا حقاً لن أتحمل المزيد.
- حسناً سوف أخبرك.





أشار نحوي أن آتي..

ذهبت إليه وأخبرني بالأمر كله،

وقال لي أن أحاول التخلص من «النوبي»ومن هؤلاء القوم.



عندما أخبرتكم بذهابي إلى دورة المياه، ظهر أمامي الصبي من بعيد، وقال لي أن آتي إليه دون أن ألفت الانتباه، جلس جوارك النوبي، وذهبت إلى الصبي الصغير، كان خائف يبدو أنه يرتعد أيضاً رغم من أنه مجرد قرين!!!، قال لي أنهم عقدوا معاهدة تنص بإلتزام كل منهم في مكان محدد، ولا يمكن لأحدهم أن يتخطى حدوده، من يتخطى الحدود هم الضحايا فقط، وأعطاني «المسحوق الأبيض»، وقال لي بخفوت أنه يريد التخلص من «النوبي»، يعمل «كعبد»عنده، ويريد الخروج من سيطرته أو الفناء، قال لي كيف هو السبيل للخلاص من كل هذا، قد أقسموا على عدم إفشاء سر المعاهدة للضحايا وإخبارهم فقط «بالمسرحية الهزلية»، حتى يستسلموا لمصريهم المظلم، فإفشاء السر يعد مخالفة للقواعد، ومن هنا تبدأ «حرب علنية»، يتم التخلص من «السائرين على الأربعة»ومن «سارقي الدماء»ويتحدوا فقط مع القتلة كي يسود نظام جديد موزون منقسم ما بين «سارقي الأعضاء»و «القتلة»فقط والتخلص من البقية، إنهم في السابق يريدون الزعامة بكل إصرار، لكنهم ارتضوا بالمعاهدة فمنعتهم، أخبرني الصبي أنه سوف يختبئ ولن يراه أحد في تلك الدار، حين يأتي لقتل «النوبي»وسلالة «سارقي الدماء»أولاً، ثم يأتي الدور على «العاشقين وذو الأربعة»ويجب أن نختفي حينما يعودوا مجدداً، وعندما يعودوا سيبدأ «عهد جديد»، وتوزيع مختلف للأدوار، ومن هنا تأتي خطة النجاة، سوف نذهب إلى الطريق مجدداً ونسير عائدين إلى ديارنا سالمين، سوف نعود للصبي، ليغير ملامحنا، ويجلعنا نشبه «سارقي الأعضاء»، وحينها لن يقدر أحد على منعنا من الفرار عزيزتي.



فتحـت الفتـاة فمها فـي ذهـول واسـتنكار، كلما وددت قول شـيءٍ صمتت وفتحت فمها في استنكار، قالت:

- لماذا لم تقول لي في البداية، كنت على الأقل سوف أسعدك.

- أااه بالمناسبة تجيدي التمثيل كثيراً هاها.

قالت بإهتمام:

- ذلـك الصبي مظلـوم، يبدو ظريف، لقـد أعتقدت أنه ولـده، وكنت أظن الأمر بأكمله تمثيل من أجل الحصول على الدماء، النوبي وقح



فعلاً. «ابتسمت في سعادة» أخيراً سوف أذهب إلى أبي وأمي من جديد، سآخذهم في أحضاني، سوف أكون فتاة مختلفة، سوف أفعل كل شيء لأرضيهم.. فقد لو كُتب لي الخروج من هنا، يا ربااااااااااه نجني تلك المرة، وأعدك سوف أكون فتاة مختلفة، لن انظر إلى الوراء أبداً.

أتأمل ملامحها، رغم تلك الرائحة الكريهة، لقلتُ أني أستنشق رحيق الياسمين من حديثها، أشعر بأني جالس في حديث ممتلئ بالورود، بجوارها لا أشعر بالخوف أو الرعب، مهلاً !!! وما عن ذلك الوغد الذي أنقذك من بتر أعضائك، وأصر على البقاء معك، حقاً الفتيات الجميلات حمقاوات، أبعد وجهي عنها، قالت برقة:

- ما بك؟

- لا شيء مهم.

قالت بنفس الرقة، أخشى أن أقع في حبها فجأة وحينها سوف أكون أضعف الرجال، رجل هوائي يمتطي كل كلمة ويسير خلفها كالحمار، لا لن أقول السبب:

- قل لي ما بك من فضلك!

- هل تكترثين؟

- بالطبع أكترث، لن أنسى نكرانك لذاتك ورفضك أخذ البطاقة للفرار، أتعلم أنا لن أنساك طيلة عمري، سأتذكرك بكل خير .



أااه ها ها ها ستتذكريني، هذا ما كنت أريده حقاً أشكرك!!

تغيرت ملامحها وأحنت حاجبيها، و شعرت بلمحة ابتسامة على شفتيها الورديتان وقالت:

أنت لن تُنسى أبداً...

أريد حفر حفرة بتلك الأرض المتشبعة ببراز البقر ودفن رأسي فيها، لن انظر إليها، لا أريد سوى ملامح جامدة تقابلها، لا تعطي للفتاة أبداً ما تريد، قطع سيل من الإحراج صراخ أتى من الخارج!!!وقفت ووضعت أذني على الباب وتبعتني الفتاة، صوت يقول «لقد قُتل زعيمنا، قتله بائع الدم وأزابه، إنها الحرب، غارات...غارات، فليجتمع الجميع...الأصوات تقترب من بابنا، نظرت عبر ثقب الباب، أرى شابًا سقط ذراعاه، لا يحمل أذنان، ولا منخاراً، أبعدت الفتاة حتى لا تراه، لن تقدر على النوم عندما تذهب إلى أبيها وأمها، فهيئته مخيفة، يردد «أحضروا الأسلحة..إنها الحرب..إنها الحرب»، التفتت نحوي الفتاة وقالت هامسة:

ماذا نفعل الأن!؟؟

سوف نفر من هنا فورا.

***





أحضرت فأسًا، وابعدت الفتاة التي كانت ملتصقة بالباب، تتابع دبيب الأقدام، هناك بالفعل حربًا، لن يستمع إلينا أحداً، فصوت العراق أعتى من صوت تهشيم ذلك الباب، أتوقف عن التهشيم و انظر من الثقب مجدداً، أرى أعضاء تتناثر، ذراعًا ما، قدمًا ما، عينًا ما، كلها تثير المعدة، تود فض محتوياتها فوراً من المشاهد ، الفتاة محظوظة، ها قد تهشم الباب، ابعدت الفتاة وفتحت الباب برفق، هؤلاء كانوا كُثُر، ينبشون ببعضهم البعض بكراهية رهيبة، امسكت ذراع الفتاة..لنفر تحت سمع «القتلة وبائعي الأعضاء وتجار الدماء»، لا تسأليني..فقط كان الأمر مرعباً، تلك هي المرة الأولى التي نرى فيها حرب إبادة!!، ظللنا نركض..حتى وصلنا للدار الفارغة المملوكة ل «النوبي»وبحثنا عن الصبي.



من داخل الظلمة يأتي النور..

وخرجنا أخيراً من فم الأسد..

إلى أحضان الطريق مرة أخرى.



ها قد جاء الصبي..

من داخل الدولاب الموضوع بغرفة «النوبي» الذي لا ينام، فعلاً أمر غريب بالنسبة لي، على الأقل أرتمي في أحضان الفتاة في لهفة، ذلك الأمر كان عجيباً، هل كان يحتاج لأحضان أنثى!؟ هل كان يحتاج لحنان أمه التي فُطِرَ قلبها من أجله ومن أجل فقدانه، ترمقه الفتاة وهي تتأمل وجهه قائلة:

- أنت بخير؟

أماء رأسه بالموافقة، قالت في خفوت:

- تعلم أننا لا يمكننا إنقاذك من هنا، فهذا منزلك، وعلى الأقل تستطيع العيش في حرية بعيداً عن ذلك الرجل، أليس كذلك!؟

أماء الطفل برأسه، الذي تسبب في فوضى عارمة داخل تلك القرية، والذي كان وبسببه أزاح بائعوا الأعضاء والقتلة الباقون، قلت له متسائلاً:

- أين ذهب القوم لا نسمع لهم خبراً؟

التفت نحوي كأنه انتبه لوجودي قائلاً:

- لقد قتلوا «العاشقان»، وقتلوا «السائرون على الأربعة»، ولم اسمع لهم خبراً مثلك، فقد كنت مختبئاً مثلما اتفقنا!؟

أعلم أن الفتيات يعشقن الصغار، الفتاة تربط على شعيرات الصبي المتهالكة وقالت له:



- هل تحضر لنا المزيد من «المسحوق المزيب» يمكننا مقابلة المزيد منهم في طريق عودتنا

أسرع الصغير، واختفى عن أنظارنا، ذهب إلى غرفة أخرى، تاركني أقول لها:

- أدهشني موقفك من ذلك الصبي!

- لماذا؟

- لقد أخذتي قرين شيطاني في أحضانك ألا تري الأمر غريباً بعض الشيء!!؟

- إنه جميل ألم تراه!!؟ لقد ساعدنا في القضاء عليهم!!

ها قد أتى الصبي حاملاً معه حقيبة صغيرة مملوءة بالمسحوق، قد ربتت على رأسه، وقالت:

- فلتختبئ أنت هنا، حتى يقيموا تحديد قانونهم الجديد.

قلت في عجبٍ:

- هذا المسحوق يؤثر على القتلة فقط أم على الباقون أجمع؟؟

قال الصبي:

- يؤثر على الجميع عدا «بائعي الدماء»، لا يوجد عليهم تأثير، لقد صنعه «سيدي» من أجل القضاء على الجميع، كان يطمع في السلطة فقط.

- فهمت.. فهمت!! اللعين كان يطمح في ذلك الأمر كنت أعلم.



- امسكتني الفتاة بيدها الباردة، يبدو أنها تشعر بالخوف، مثلي وقالت محاولة منها لدس دماء الشجاعة داخلها وداخلي:

- هيا فلنخرج من هنا..فلنسرع!

أوقفتها:

- لماذا تملكك الشجاعة فجأة!؟كنتِ منذ ساعات خائفة ترتعدي!!!

- من يجاورك يشعر بالأمان ياحازم وجودك جواري أشعرني بالأمان والشجاعة، فلنذهب قبل أن يأتوا هنا.

شيءٍ غريب!!!

يا للنساء حقاً!!

***

أخذنا نركض..

وابتعدنا رويداً رويداً عن القرية، وأصبحنا على الطريق...

ها قد بدأ الأمل وطريق النجاة أمامنا.

أوقفتها، ممسكاً ذراعها، محاولةً مني لالتقاط أنفاسي، أو هكذا أشعرتها، توقفت الفتاة تقول:

- هل أنت بخير ؟

- أحاول فقط التقاط أنفاسي..

صدري يعلوا ويهبط، رغبتي في البوح لها بما «في داخلي»، يلهب صدري أكثر من ركضي، سوف أقول لها بما أشعر وليذهب هؤلاء إلى



الجحيم، فلا يعنيني مطلقًا، أموت هنا أو هناك، فيكفيني الموت معها لذا قلت:

- نادين، سوف أخبرك بأمر هام جداً بالنسبة لي «أنا أحبك»وقد كنت أكابر في بادئ الأمر، لا تعني لي قصتك سوى أنها أصبحت في الماضي، ونحن في الوقت الحالي، أحبك وأريد أن أموت جوارك وذلك يكفي.

أحنت حاجبها في تأثر، لمحت في عيونها دمعة لم تلبث أن تلاشت وهي تقول:

- كنت أعلم ذلك الأمر!، حازم يجب أن تعلم أمر بالغ الأهمية.

- لا انتظر منكِ جملة أخرى، الموت ورائنا والأحتمال الأكبر أن يكون أمامنا، لقد شعرت بحبك وأنا لا أكذب شعوري أبداً.

قالت:

- حازم أنت رجل تختلف عن جميع الرجال الذين قابلتهم، تستطيع التضحية بروحك من أجل شخصٍ لا تعلم هويته، من أجل إنقاذ غيرك عن طيب خاطر .

- لا تصفي شخصيتي أنا أعلمها جيداً أكثر منكِ، قولي لي هل تبادليني نفس الشعور!!؟؟

أحنت حاجبها في تأثر شديدٍ، وبالفعل دمعت عيناها على خديها الورديان، امسكت يدي، ثمّ قَبَلَت باطن كفي في حنانٍ...



استمعنا إلى صوت أجش يقول من خلفنا.

- «قد انتهت الحفلة».

نظرنا خلفنا، وجدنا الهلع ذاته!!

فجميعهم قد حضروا "تاجري الأعضاء و القتلة"، يسيرون في هدوء، طوقونا، يستعدون للإنقضاض على أجسدنا، سوف يظفرون بنا، بدمائنا وأجسادنا..

لا مفر الأن.

الموت في انتظاري وانتظارها ويفتح لنا الأبواب للعبور.

***



لم يجتاحني الرعب من قبل!، رغم رؤيتي لأكثر الأشياء فزعًا، لم ينهار قلبي، لقد إنهار قلبي بالفعل في تلك اللحظات..ولن يعود كالسابق...لن يعود.



انظر إلى الجميع، في صرامة وكبرياء ولا أهاب أحداً..

لقد طوقوناً من كل ركن، وفعلوا أكثر الأشياء العجيبة هنا، لقد أنحنوا لها!!!لا لم أخطئ، لقد «انحنوا للفتاة»!!جميعهم!!، وأتى الصبي وانحنى هو الأخر انحنى الجميع لها في إحترام وتقدير، انظر إليها، ووجهي لا يحمل أدنى تعبير، وهي تطلع نحوي، ولا تجد سبيل لحديث مقنع، لا تجد مبتدأ للحديث، لأعطها بالمقابل خبراً مقبولاً، مرت ثوانٍ معدودة على ذلك المشهد، حسبته ساعات وساعات...

استعدت ذاكرتي، وجهها التعب البريء، وجهها الذي كان على صدري ينام كالأطفال ويطمآنها، وأنا أدس في فمها الطعام، كي تستعيد طاقتها وعافيتها، استعيد ذاكراتي لم يمضي عليها بضع دقائق، امسكت يدي وهي تطبع قبلتها في باطنه، دموعها الغزيرة التي نشبت داخلي شعوراً بالحب نحوها، شعوراً رقّ له قلبي بعدما كان حجراً صوان لا يلين لأي أُنثى، أتطلع إلى وجهها وأفكر مليًا، هل كنت أعرفك منذ سنوات وسنوات!؟؟، هل كنت أعشقك منذ مولدي!؟، هل كنت أسير معك على جنبات النيل!؟، وأخذ يدك وأقبلها برفق، هل حسدت ذلك الشاب الذي قام بخداعك!؟، أغيرُ من شاب خائن كيف يأخذ منكِ سنين من العمر، كيف ولماذا سمحتي لغيري أن يذوب في عشقك!؟، لماذا لم أكن أنا منذ البداية!؟، لماذا لم تأخذيني في أحضانك مثلما فعلتي مع الصغير ، هل أغار من الصغير!!؟

هل خدعتني!!؟



هل أنا مجرد عابر سينتهي أمره فوراً على يد هؤلاء الرجال!!؟

هل لبيت رغبتها!!؟؟

في الواقع لا يهمني أمري كثيراً..

بعـد تلك الخدعة لا أقبل أن أعيش لحظة مثـل القرد الخائف الذي يضحك عليه الجميع.

انظر لها ولا تتحدث، توجه نحوي نظرات لا أفهمها!!!

قلت وأنا أحاول البلع غصة:

- الأن ماذا!ماذا سيحدث !؟، هل انتهيتي!؟ هل أعجبك الأمر؟

لا تنطق..وقفت تُشبع كيانها من النظر إليّ والجميع محني رأسه ولا ينظرون نحونا، قلت بغضبٍ:

- كل شيء يحدث بلا منطقية، كل هذا وَهّم، قوووووووولي لي؟أكل هذااااا وَهّم؟؟؟

قالت بخفوت لا يليق بها، بعدما علمت بالأمر، أنها زعيمة هنا:

- ماذا تريد أن تعلم؟

- كل شـيء عزيزتـي..كل شـيء، كنـت أعتقد أنـي ذكـي، هههههه أوقعـتُ العصابـات ببعضهـا البعـض، أتعلمين الشـيء الغريب في الأمر، أني لم أرى جثة واحدة، كيف أرى جثة وهُم بالأصل أموات، الأمـوات لا يموتون، انظـر إلى ذلك البدين، ألـم أُذيب إصبعه!!؟، كيف عاد إليه سالمًا.



- لقد لاحظت.

- بالطبع لااااااااااااحظتي، وذلك ما يؤلمني، أتعلمين!!لم أشك بكِ مطلقًا!، أعتقدت لوهلة أنكِ «بشرية»، ومن واجبي حمايتك، يجب أن أوصلك إلى أهلك سالمة، حتى لو تكلف الأمر موتي، لم أطمع ولو لحظة فيكِ أو جمالك، بالمناسبة لم يلفت انتباهي، حاولتي معي وعرفت من أي بذرة كنت، ولذلك لجأتي إلى خدعة أن تكوني طفلة، حسنًا فعلت.

قالت ببراءة حسبتها مصطنعة:

- هل انتهيت؟

أحمل كمية لا بأس بها من الغضب، لا يوجد كلمات يمكنها التعبير عما أشعر به...لذ قلت:

- الميكروفون معك، تحدثي ولسوف اصمت سوف استمع كالأبله لحديثك.

قالت:

- لم تكن الأول!!وأنت لست الأخير!!

***

منذ دخولنا تلك الأرض ونحن نمثل، لكل شخص دور يتقنه جيداً، حينما يأتي الإنسان الذي بداخله روح نقية، يمارسون معهم أدوارهم حتى أنا، قال لي ذلك الرجل الذي لقبته «بالنوبي»الواقف هناك، أخبرني



فـي تلك المرة أنـك أحببتني بصـدق، قال لي أنك مختلـف عن هؤلاء الرجال الذين أمامك، كانوا يطمعون بي وبجمالي فقط، وكل ما يريدوه الظفر بي وبجسـدي، بالمناسـبة صحبتهم من الموقـف، ذلك الموقف الكبير «بمدينة المنصورة»، وأوقعتهم ببراثني، وفي النهاية يموتون ولم يتبقـى فقط سـوى «قرينهم»، الذي يلبـس ذلك الجسـد الميت، نخدع الجميـع وهذا ما نتقنه، نقنعهم بأن هناك «تجار أعضاء»و «تجار دماء»و «قتلـة»، ولكن بالنهاية، يأتـي مثلما أتيت بصحبتي فـي الطريق، وأدس ذلـك الخنجر في قلبه حتى يصبـح مثلهم، أنا لم أكذب مطلقًا، كنت قد وقعت في حب شـاب قـام بإغتصابي عنوه ودون إرادتـي، ومن حينها، بـرز لي ذلـك الصبي الصغيـر ، وقد أعطانـي ترياق يجعلنـي أقوى من البشر ، وأقوى من الأموت الذين أمامك.

قلت ساخراً:

– هل أنت قرينة، أم ميتة أم....

– أنـا «ملعونـة»، ولعنتـي جلـب الرجـال إلى هنـا، كي تنمـو الأرض الأخرى برجال أخرين أكثر فسـاداً ، ليزدادوا قوة وسـطوة، ومن ثم مهاجمة البشـر في المسـتقبل، تلك هي النبوئة، والأمر ليس بيدي، لقد أُقحمت في ذلك الأمر عنوه، وتلك ليست رغبتي

– كفى ألاعيب.

– لا ألعب، لقد انتهت التمثيلة.



قلت ساخراً:

- وماذا تنتظري، هيا أقتليني كي انضم إلى مجموعتك...

قالت وقد نبتت دمعة كاذبة بعيونها:

- أنت لم تفهم بعد..

- أريدك أنتِ أن تفهمي شيئًا، لو انتهت الأرض، لو بدأت الحرب العالمية الثالثة والرابعة، لو اختفت المخلوقات من على سطح الأرض لو!!لا أدري. لن أحبك، الروح فقط هي من تحب ، سوف تظفرين بالقرين.

- هؤلاء التماثيل أمامك، تماثيل تنفذ وتطيع فقط بلا أرواح، سوف تظفرين بالتمثال، لن تستطيعين الظفر بروحي، التي كانت قد اعترفت لكِ منذ دقائق بحبها، لن تجدي الحب، ستلتفين حول الحلقة إلى أن ينتهي أمرك.

قالت وقد إنسالت دموعها أكثر:

- لا تقارن نفسك بهم أرجوك.

- ماذا تنتظري، هيا أقتليني إذن ولا تطيلي الأمر فقد سئمت.

***

هنا تقدم الرجل صاحب «الجلباب»..



الذيبأطلقت عليه من قبل «النوبي» يصطك على أسنانه مجدداً ولن آبه كثيراً لوجوده، لا يعنيني أمره وأمري بعدما خُدِعت، فكل شيءٍ سوا، قال الرجل:

- كان لابد لنا من كسر لعنتها، الفتاة لعنها أحدهم و...

- لا أصدق شيئًا، وفر حديثك.

قال لأول مرة بغضبٍ هادرٍ:

- يجب أن تسمع يا هذا، وإلا سوف أقتلع جمجمتك من رأسك وألقيها علي جنبات الطريق

- لم أخف، وهو يتقدم نحوي يقول بأداء مسرحي مللته بالفعل:

- لعنة الفتاة قد كسرتها بحبك لها، دون «أطماع»، أطماع جسدية، أو تنبهر بجمالها الأخّاذ، أو تنحني لها، لم تفعل كل هذه الأشياء لأن بداخلك إنسان نقي، لقد أحببت الروح الوحيدة التي كانت تعيش في ذلك المكان روح الفتاة، أحببت روحها!!رغم صلابتك لكنك أحببتها وكنت مستعد التضحية بحياتك من أجلها بعدما جاءتك فرصة للفرار قد بقيت من أجلها ، هؤلاء الرجال قد أتتهم فرصة للفرار وفروا جميعًا، وقتلوا، وما تبقى منهم ما تراه الأن، بحبك لها تم كسر لعنتها إلى الأبد، فكل هؤلاء الرجال بمختلف أشكالهم، كانوا طامعين، الشهوة تأكلهم حتى أصبحوا ا مسوخ تسير بلا وعي، ولم يتبقى داخلهم سوى قرناء، كنا بانتظارك حتى تكسر لعنتها



لنتحرر من ذلك العذاب الأبدي، ولنعد كما جاءنا، لقد مللنا من كثرة التمثيل كأننا بالفعل تماثيل منزوعة الإرادة.

ماذا يقصد ذلك الرجل؟، هل جميع من هنا وقعوا في حب جسدها فقط!!؟، هل قررو النجاة بأرواحهم وترك الفتاة هنا وحيدة!!؟، لا أفهم سر تلك «التمثيلية باهتة الرؤية» أكمل هو:

- المقصد أن تجد الفتاة من يحبها بصدق حتى تنفك اللعنة، حقد عليها إحداهن، وجعلها هنا تحاول التخلص من تلك «اللعنة»، في بادئ الأمر جاء بها أحد الرجال، وحاول أن يظفر بجسدها ومات، ومن بعدها ومن بعد تلك اللعنة أصبح كما ترى مجرد مسخًا، تذهب الفتاة إلى الموقف لتأخذ رجلاً أخر، إلى أن جاء رجلاً مثلك، كانت في انتظار رجلاً مثلك يحبها، ويستطيع التضحية من أجلها بروحه، بصدق وليس نوع من أنواع التمثيل،

- يمكن لأي شخص التضحية بنفسه من أجل فتاة!!

قال معترضًا:

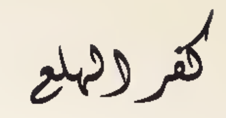
- لم يأتي غيرك ليفعلها، ولن ننتظر غيرك، أنا لست مثلك!!؟ليتني كنت..

وفي تلك الثانية، ذاب جسده، وتحول إلى «كتلة من الرمال»، وتبعه الباقون، أطارتهم عاصفة من الهواء كانت شديدة، أخفيت وجهي متحاشيًا ذرات الرمال المتطايرة، الفتاة كانت أمامي، حاولت حمايتها

من عاصفة الرمال ..العاصفة كانت شـديد للغاية، تضرب في أضلعي، لا أرى شـيئًا أمامي، العاصفة حجبت أمامـي الرؤية وبعدما هدأت..لم يعد هنالك أي شيء..

اختفت الفتاة!!؟

***



أَخَذتُ أسير..

أسير وأسير..

ساعات وساعات وحيداً..

الرمال تغطي جسدي، ولا **استطيع** نفضها،

أسير كطائر شارد لا يعرف أين يضع قدمه،

«دش كامل «من الصدمة،

يغطيني.

التفت إلى الوراء ولا أجد شخصًا حيًا يرافقني...

ولا أجدها!!

اللعينة والمسكينة..

التي أوقعتني في حبها،

أين أنتِ؟



بعد مرور

ثلاثة أشهر تقريباً ..





أقف على تلك «الفراندا» أسند ذراعي على سوره وأتامل السماء بنجومها اللامعة، يأنسهم وجود القمر بينهم ، لا يستطيع أحد أن يعيش وحيداً، لكني آنست الوحدة بشكل رائع، داخل منزلي، أعيش في «الزمالك» حقًا!!، ولم أخبر الفتاة كبريائي اللعين كان يمنعني، لم تكن لتمانع إعطائي عنوانها، لكني لم أطلبه منها مطلقًا، كنت أود قول فور قولها «أنها من الزمالك» بأننا جيران، أين منزلك في الزمالك لقد أصبحنا جيران، ولم أفعل، وما أدراني عسى أن يكون الأمر كله كذبة، لمجرد ذكر اسمها «نادين»، تساؤلات تمطر فوق جمجمتي ولا تتوقف، أين هى؟ وحقًا!! أدرك أن أمرها لا يعنيني، لكن ذلك لا يمنع التفكير بأمرها، هل هي تقف الأن في انتظار أحدهم، لا يلتفت إليها مثلما فعلت!!، هل سيرق قلبه من أجلها مثما فعلت!!؟

أتذكر مولدها على ذراعي، وأنا أطعمها في فمها الصغير، لولا وجود عم «النوبي» لكان الأمر أكثر رومانسية، المدهش في الأمر ، أني اشتاق لكل تلك الأحداث، رغم رعبها في البداية. ذلك الأمر سوف يرهق تفكيري لعدة أيام وسوف يزول ويختفي، لكن لا يمنعني من التفكير... التفكير في تلك الأفعى الجميلة.. اشتقت لها..انظر إلى كف يدي، التي طبعت عليه «قبله حارة»، قبلة إعتذار، قبلة حب، وابتسم، لا لم تحبني!!، فقط كانت في انتظار رجل يحلها من تلك «اللعنة» وقد



وجدت!!أعيد تكرار المشاهد، كيف كان التمثيل متقن لهؤلاء الزومبي، كان وجهها أمامي لا يفارقني أبداً، يعطي للشكل المرعب رونق خاص ومميز، ليتني طِحت بأنف أحدهم أمامها، صورة لبطل مغوار أمامها، ليتني لطمت عم «النوبي»فور دخوله الغرفة علينا دون إستئذان «أي موقف أكشن»، يظهرني أمامها كبطل أو كرجل أو ....

استمع إلى مزيكا هادئة، فنجان القهوة أخذته وجلست على ذلك الكرسي، المنطقة هادئة بشكل مريح، والساعة تقترب من الثالثة فجراً، أراقب السيارات القليلة التي أخذت تسير من هنا وهناك.

نادين..لا تفعلي ذلك الأمر مرة أخرى، لا تأخذي رجلاً وتذهبي به إلى هناك!!

كفى كفى أيتها الأفكار السوداء؟

لقد انتهوا جميعًا وذابوا وتحولوا إلى رمال وقد رأيتهم بنفسك!

إلا هي..

لم تذب معهم!!

فقط اختفت.

كفى كفى..

سوف أنام.

بالغد هناك «حفل توقيع» روايتي الجديدة، التي كانت بحوزتها.. الرواية التي أبكتها، ترى كيف حالها؟



كفى ثرثرة!!

كفى ثرثرة أيها الغبى قلت لك.

اذهب للنوم.

وانساها..

اذهب للنوم.

وماذا عن الإنتقام؟

هل أفكر في الإتنقام؟

هل أنوى الإنتقام منها فعليًا؟

كفى!ثم كفى ونم.

***

اجلسي معي على تلك الطاولة...

اصطف الجميع في انتظاري..جالسين على تلك الكراسي بشغف، أخرج بعضهم دفاترهم الصغيرة، ها قد بدأ الأمر ، أحد المؤلفون، أحد الزملاء الذي يدير تلك الندوة قال:

- معنا اليوم الأستاذ حازم شريف، كاتب رواية «اللوحة السوداء»، بعد قرأتها توقفت كثيراً أتخيل ذلك الكم الهائل من المشـاعر الإنسانية،



المتناقضـة في بعض الأحيـان، القضية بذاتها تناولهـا بطريقة رائعة بحق، الشـخصيات حية تعيـش وتتحرك أمامـي، أظهرت الجوانب الإنسـانية، أعجبتنـي شـخصية «رقية»، وذلـك الكم مـن التناقض، وحـب «هالة» ل «هثيم»وتضحيتها التي كانت بإعتقادي الشـخصي مبالغ فيه وتضحيته وتحليه بالتسامح الكامل لها!!

مهـلاً !كيـف تقتل فتـاة مثـل «نادين»؟كيـف قتلت كل هـذا الجمع مـن الرجـال وحدهـا، كيـف قتلت «النوبـي»؟ هـل كان البائـس اختار حياتـه وضحى بالفتاة!من بدأ اللعبة؟كيف قسـمت الرجال إلى تاجري الأعضاء وبائعي الدماء!؟

- «شـخصية رقية»قابلتها في الحقيقة فعليًا وهـي في الواقع صديقتي المقربة، أخذت منها الجوانب الانسانية «.

هـل تملـك تلك الفتـاة الـذكاء الخـارق!؟، هـل إختبـرت الرجال وأعدت لهم المراحل، هل كانت سعيدة؟

قال أحد القراء :

- أعتدنا منك دائمًا على نوعية مختلفة من النهايات، لماذا كنت تسـير علـى «وتيرة واحدة»، حتى توقـع معظمنا النهاية في أواخر رواياتك أجمعنا واتفقنا على توقع النهاية!!!
- أصور مشـاهد إجتماعية مختلفة حية من المجتمع، أعطيك مشكلة وحلها، الأمر بسيط جدا الروايات الإجتماعية خالية من اللألغاز.



هـل كانـت تفعل مـع الرجـال مثلما فعلـت معي؟هـل كانت؟وهل كانت؟

قاطعتني إحـدى القارئات، وقفت الفتـاة التي كانـت مرتدية نظارة "سوداء اللون"، ملامحمها ليست غريبة!!:

- هل تسامح في حياتك الواقعية مثل البطل «هيثم»!؟

ذلك الصوت، أعلمه جيداً، قلت:

- هل يمكنك الوقوف كي أراكِ؟

وقفـت الفتـاة التـي كانـت بالصـف الرابـع تقريبًـا، أخفاهـا ثـلاث أشخاص يتحلوا «بالبدانة المفرطة»، حاولت التملص كي أرى عينها :

- من منا لا يسامح، معتقداتي الشخصية يتحلى بها أبطالي.

- هل يمكنك أن تسامح حقًا!؟

ترى هـل هي؟صمتت وأنا انظر إليها، لقد خلعت نظارتها السـوداء الداكنة ورسـمت ابتسـامتها البشوشـة، كي أرى عيونها التي بكت كثيراً في حضوري، «نادين»، ابتسمت رغمًا عني، وقلت :

- بالطبع.

- «اجلسي معي على تلك الطاولة»

لـم أتخيل أن أقولهـا لنادين، تلـك الفتاة التي صحبتنـي في رحلتي المرعبـة، وبالنهايـة أكتشـف أنهـا صاحبـة المولـد بأكلمـه، لا أصدق وجودهـا أمامي، أتامل وجهها المشـع بالبرائة، انظر لها بتمعن، ابتسـم



لها كأحد المرضى بمشفى العباسية ولا أنطق، لقد انتهت حفلة التوقيع بسلام، وجلسنا في إحدى كافيهات الزمالك، انظر لها ولا أجروء على فتح حوار ، قالت هي:

- ما بك، لماذا تنظر نحوي بهذا الشكل ها!؟

- لا أصدق وجودك أمامي، بشحمك ولحمك!؟

ضحكت، ثم مالت مقتربة مني:

- ذهبت إلى أهلي، فرحوا جداً لرؤيتي، قبعت في منزلي طوال تلك المدة جوارهم حتى يتأكدوا أني لا أنوي الفرار هاهاهاها..

قلت في سرعة:

- لديَّ بعض الأسئلة التي تكاد يطير لها عقلي..

- سل ما بدالك..أنا معك!

أسعدني جملتها الأخيرة، وحفزني على بدأ الأسئلة دفعة واحدة:

- هل كنتِ تقتلين الشباب بنفسك؟هل أنتِ من قَسَمَ الأدوار!؟وهل فعلتوها معي فقط!، أم مع الجميع!؟؟و ..

- إهدأ.. سوف أجيب على سؤالك الأول، أنا لا أقتل أحداً، من كان يقتل الروح الشريرة التي كانت تلبسني وذلك كي يطمئن قلبك، وفوراً يكون الرجل في طوعي ينفذ ما أقول له فوراً ولا يناقش، أنا من قمت بتقسيمهم إلى أقسام عديدة، من بائعي الدماء لتجار الأعضاء إلخ..

قلت وأنا انظر في عيونها مباشرةً:

- أقبِلتي يد أحداً غيري؟، هل نمتي على ذراع أحداً غيري،

- لا بالطبع، وجدتك مختلفًا عن الجميع، لا أنكر كنت أمثل معهم! لكن بالطبع لم أدع أحدهم يمسني مطلقًا، أما أنت، فوجدت نفسي مسحورة بك، و المعذرة..

دارت خجلها مني، لابد أن يحدث ذلك الأمر، ولابد لي أن أسعد وأن أطير في مكاني كالعصفور الصغير..



- لماذا اختفيتي عندما تلاشى هؤلاء القوم؟؟
- كنت أخشى غضبك ولومك طوال طريق عودتنا!!، لكني بالطبع كنت أسير وأراقبك.
- لا كلا لم ألاحظ ذلك الأمر .
- لكل فرد طريقته وأسلوبه في المراقبة لا تقلق.

تغيرت ملامحها، أحنت حاجبها في حزنٍ عميقٍ قائلة:

- ألست غاضبًا مني؟
- أنا ....

أنا... أنا...أين أنا!!؟

لقد اختفت من أمامي، اختفى كل شيء!!، كيف وصلت إلى هناك مرة أخرى؟!أمام البوابة، وعلى تلك اليافطة «كفر الهلع»، وقف الرجل والمرأة مجدداً أمامي «العاشقان»، حدقاتهم بيضاء تمامًا، يقولان في نفس واحدٍ «سير معنا»، أسير خلفهم منزوع الإرادة، يشيرون إلى مبنى كبير، كيف بنوه إذن!؟لم يكن هناك مبنى!

مبنى طويل للغاية، أكاد لا أرى له نهاية، الشمس يداريه قمر، كانوا ينصحونا بعدم النظر إليها مطلقًا وهي في تلك الحالة، أشاروا إلى جثة، يسحبها أحدهم إلى الداخل، كانت موضوعة فوق «فراش»، يجراه إثنين، يرتدون «الزي الأزرق الفاتح»، وبنهم أدخلوها، لا أدري



لماذا أخذتني قدمي إلى الداخل، في الداخل الجو مثلج وذلك غريب، وضعوا الجثة، اقتربت ورأيتها، كانت «الفتاة»، هي ذاتها، كنت اجلس معها منذ دقائق ماذا يفعلون معها؟امسك أحدهم بسكين حاد!!ويقترب لجز «رأسها»، لا أعلم شيئًا عن ذلك الأمر، فقد تحررت الرأس من الجسد، وامسكها الرجل، ثم وضعها داخل وعاء معدني به محلول مذيب، اقتربت منه ورأيت رأسها يذوب كطقعة من الثلج، لا أحاول إنقاذها، هناك «لفحة»شعرت بها من الخلف!!يقترب مني رويداً رويداً..

إنه حلم بالتأكيد!!والحلم لا يقتل أحداً هناك، التفت ووجدت «النوبي» بوجه بشري حقيقي، ببشرة سمراء، قال بخفوت:

- جز الرأس هو الحل!!

جز الرأس هو الحل..

جز الرأس هو الحل..

***

صحوت متصببًا العرق، المكيف يعمل، كيف عرقت إذن؟!

العرق تصبب على وجهي حتى صدري متصبب العرق،

رغبة عارمة في شرب الماء!!

رأسي من الخلف يؤلمني كثيراً..

تلك اللعينة!



كيف أوقعتني كالغر الساذج؟

ألم أستفد من الدرس بعد؟

جميعهم كذلك ثعابين، وأنا كنت كالفأر الصغير الذي وقع داخل فمها، وتبلعني في تلذذ!!!

اللعنة رأسي يؤلمني فعليًا...

أحمد الله أنه لم يرى حلمي أحداً..لنعتوني بالمغفل الصغير، وأصبحت أضحوكة، لا أبداً الطفل الصغير الذي كان بداخلي يشعر بالسماح

هناك حالات تقبل أن تداري أعذارها..

وأن تقبل وتفصح عنها،

أما تلك الفتاة لا أبداً..

لقد ذهبت أرواح وأرواح بسبب طمعها في النجاة.

على حساب نجاتها من اللعنة أوقعتهم رجلاً تلو الأخر..لا آمن برغبتها في أن يحبها أحد، ومن ثم تنفك اللعنة!!اللعبة لا تنتهي بتلك السهولة! من أعد لها تلك اللعنة، يبدو أن"زميلاتها الحاقدات"من أعدوها لها، بعدما سرقت أحد الرجال منهم، وتباهت بجمالها، ومن ثم قذفته بعيداً، ولما لا يكون أحد الرجال، الذي قامت بخادعه!!أميل إلى ذلك الأمر كثيراً أتأكد من أن الأمر عاد إلى نصابه وأني لا أحلم!!!أنا على أرض الواقع، لا أشك في ذلك الأمر..



رأسي تؤلمني، افتح الستائر كي تدخل الشمس لتنير الغرفة..

افتح هاتفي لأجد عدة رسائل مختلفة من الجميع..

حفلة توقيعي الأخرى اليوم!!

يجب أن أستعد..

أيتها اللعينة..

أيتها الأفعى..

كفى تفكير ولتغمر المياه جسدك.

***



حفل التوقيع كان جميلاً بحق..

رأيت بشر طبيعيين،

أعطوني كامل الثقة!

لبدأ رواية أخرى،

أكثر دسامة من الأخيرة

بعنوان «من هي؟»



الـدرس الحقيقـي:- «هـو تعلم فنـون الحيـاة»، من الجـرح يخرج البلـوغ والنضوج، لاشـيء يبقى للأبد ، الجرح شـيئًا جيـداً، في الواقع ليـس مكروهـاً بالمرة!، فكل شـخص يترك لنا رسـالة ويرحـل، الأهم أن نقرأ الرسـالة جيداً ونسـتوعب الأمر..ومن يبقى فقـط «هو أنت»... أنت فقط إذا لم تسـتوعب جيداً، هناك مئات الدروس الأتية لا تقلق!!، حتى لو شـاركك البعض الرحلة، ومرحوا معك، وساهم أحداًمنهم في نجاحك وهتف لهم قلبك، بالنهاية من يبقى هو أنت...أنت!

***

امسح تلك الكلمات السابقة مثلما بدأتها منذ ثوانٍ «من هي ؟ «اسم روايـة مضحك، الهاتف يرن أخيراً بعد فتـرات طويلة انقطع عنه الرنين لأسباب لا أعلمها، إنه صديقي:

- ألوو..
- أيـن كنت طيلة هذه الفترة يـا أخى؟هاتفك خارج نطاق الخدمة منذ أيام!
- لو قلت لك ما حدث لي لن تصدق!!ها هي إجابة مرضية لك، كنت مريض يا صديقي لا استطيع الرد على أحد.
- ما هذا الغباء، قل لي ما مررت به، أنت تعلم من أنا؟
- تعالى إلى منزلي وسوف أخبرك بالأمر.



- أنا في الطريق من الأصل، أعطني فقط عشرة دقائق وسوف أكون عندك.

- في انتظارك.

أغلقت الهاتف، وحمدت الله على نعمة وجود الأصدقاء، فالأصدقاء سوف يسخرون منك، يمرحون معك، ينسوك همك بالتأكيد، ولكنهم لن يصدقوا حكاياتك المرعبة، سوف يقول لي بالتأكيد مخيلتك واسعة!!هل قمت بتأليف تلك الحكاية كي تهرب منا أيها الجبان!؟يجب ألا أقص ما مررت به على أي كائن حي، مرت «ساعة»كاملة، استمع إلى رنين جرس الباب..افتح لأجد صديقي، أخذني بالأحضان كالعادة، وجلسنا بعد إعداد أكواب الشاي الساخن «بالفارندا»...وحكيت له ما مريت به بالكامل.

بالكامل!

***

تطلع نحوي ولا ينطق، يتأملني جيداً، ثم قام وربت على كتفي قائلاً:

- اللعنة على «وليد»، هل أعطاك إحدى «البرشامات المخدرة»، اللعين قلت له ألف مرة سوف أدفع لك، يبدو إنها برشامة قوية ذهبت بك لعالم أخر!!

- ألم أقل لك؟لن تصدق حرفًا واحداً مما أقول..

جلس وهو يبتسم في مرحٍ:



- أتملك أي حجة مقنعة غيرها؟

- كلا مع الأسف.

تغيـرت ملامحه إلى الجدية و وضع قوص بيـده اليمنى حول ذقنه وهو يستند عليى سور «الفراندا»، قائلاً:

- سـنقول أن حديثـك صحيح وأنـك لا تهذي، وأن كل مـا مررت به حدث بالفعل!

- حدث بالفعل لماذا أكذب يا «مجدي»؟

- حسناً..حسـناً، الأحـداث كلهـا متشـابكة ومعقـدة وبها ألـف نقطة ونقطة يمكننا دراستها عن كثبٍ، كل نقطة على حدا.

- قلت لك الأمر انتهى و أن الجميع قرر الفرار ، على ما أعتقد ولذلك قد قررت قَتْلَهُم.

أوقفني قائلاً:

- كانت تَقْتُلْهُم لأنهم رفضوا الجلوس معها مع تلك الكتلة من الجمال الحي وفروا؟أم لأنها لم تجد من يحبها بصدق ويكسر اللعنة فنوت قتلهم واحداً تلو الأخر؟

- قالت لي إنها اللعنة، إنها ملعونة؟

- هـراء، الفتيـات مثلهـا تكذب وتجيـد التمثيـل ببراعة شـديدة، وقد خدعتك تلك المرأة!!مثلما خدعتك الأخرى.



شعرت بغصة رهيبة، لا تحتمل من حديثه، معه كل الحق، فحديثه صحيح تلك المرة ولا مزيد من المكابرة والعتاب، قال هو بجدية:

- طبعًا!!دعنا نتجاوز ذلك الأمر، «العاشقان»هل أحبها الرجل والفتاة مثلاً ؟لا يعقل بالطبع لماذا منزلاً خارج عن الزمن؟كيف فعلتها تلك الحمقاء؟كيف فصلت منزلاً عن الزمن؟لقد أقسمت أن ساعتك متوقفة ولا تعمل، وبعد خروجك من المنزل عادت للعمل!!!.ولماذا كان هناك طفلاً صغيراً، الأطفال بطبعهم جبناء ولا يستطيعون إخراجها من الأمر، هل إختبرت حب فطري مثل الأطفال، لا أعتقد؟أرى أن الأمر بأكمله عبث!!يمكنك وضعه ضمن «أضغاث احلام»، فذلك هو التفسير.

قلت معترضاً :

- لم أكن أحلم! صدق أو لا تصدق فذلك شأنك وحدك، فكل ما مررت به حقيقي.

قال صديق «مجدي»وهو يحاول تهدأتي:

- لا أُكذبك!!رغم أن حديثك بأكلمه يعد فيلم خيال علمي، لكني أصدقك.

- حسناً فعلت!!الأن ماذا أفعل؟

- لقد انتهى الأمر وقد عدت إلى منزلك من جديد.



- لم ينتهي الأمر، قد عاودتني تلك الأحلام من جديد، الحلم كأنه واقع مادي، حلمت أني ذهبت إلى حفل توقيع روايتي التي قد كانت اليوم، ووجدتها ضمن الحاضرين وقد قصت لك ما حدث.

- عقلك يُهيئ الأحداث فقط، لقد شغلت بالك بها كثيراً، أنصحك بالسفر خارج المدينة ...الساحل مثلاً.

- معك حق يا رفيقي، أنا بحاجة للإستجمام والراحة لمدة تزيد عن عشرة أيام كاملة، سوف انقطع عن الكتابة وكل شيء، سوف انقطع عن ذلك الأمر، رغم أنه فات مدة زمنية معقولة على النسيان.

لا أنكر أني كنت ساذج وذلك ما يضع غصة دائمة لا أتهاون في نسيانها، من التعاسة أن تقحم كلمة أحبك على كل فتاة تقابلها دون مداواه لجرحك القديم، إتهمت الفتاة في بادئ الامر بذلك الشيء، وقد وقعت فيه كالأطفال، كنت سأعترف، لا بل أعترفت لها بالوضع الذي يكمن داخل قلبي، بإندفاع شبابي لم أقم بحسابه مطلقاً!!كيف لذلك الجمال القدرة على القتل؟على إراقة الدماء دون رحمة كي تنحل عنه «لعنة ما»؟كيف هانت عليها الروح البشرية ؟ها أنا أقابل نوعاً منهم، بل وأن أعيش معها عن طيب خاطر!!لقد ذهب صديقي فر وتركني وحيداً، سجينًا لأفكاري التعيسة، لم تلبث أن تتحول لرغبات جامحة في الإنتقام، لكن أين السبيل إلى الإنتقام ؟

حقاً لا أدري!



بالغد أخذت موعداً داخل القطارات المتجهة إلى "مدينة أسوان" لماذا أسوان ؟

قد أرسلو لي دعوة في أحد "أشهر المكتبات" سيط هنالك!! رفعت سماعة الهاتف وقمت بطلبهم والموافقة على الزيارة، وقد أسعدني إستقبالهم لخبر قبولي الدعوة كثيراً.

الساعة أوشكت على الثانية بعد منتصف الليل... مدينة أسوان كفيلة بإذبة جليد تلك الذكريات المرعبة.

***

أتطلع نحو البيوت والمنازل التي تتآكل كلما أسرع القطار، أراقبهم وأحمل ابتسامة عريضة،

أسوان... تلك هي المرة الأولى التي أقوم بزيارتك أيتها الحبيبة.

حجزت بقطار النوم.. وحيداً اجلس داخل القطار، لا استمع إلى شيئًا بعد غلق ذلك الباب، رغم أكاد أقسم أني استمعت لصراخ البعض، لكني فسرته بصراخ هواء إرتطم بالنافذة، رغم أنها آمنة للغاية!! لا تحمل أدنى "خرم" صغير. قطار من الدرجة الأولى مكيف، استمع إلى إرتطام أحد البشر بالباب، أصرخ:

- قلة ذوق ماذا تفعلون بالخارج، تعاركوا بعيداً عني!!

دائما ما أجد شيئًا يعكر صفو الرحلة، أتذكر رحلة عودة من المنصورة، تباً لها!! كانت رحلة مريرة، أترى!! قرار الرحلة كان صائب،



أكاد أرى مـا مررت به مجرد ذكرى، أرى فائدة الرحلة، سـوف تنسـيني كل شيء...

طرقات بلطفٍ على بابي أتى صوت خلفها يقول:

- موعد الغداء سيدي!

كيف هذا!؟

لـم يمضـي على وجـودي هنا سـوى نصف سـاعة، والسـاعة الأن السابعة والنصف وقد تحرك القطار في الساعة السابعة تماماً.

أااه يبدو أن ذلك الأحمق قد أخطأ..

أضـع هاتفـي على ذلـك الشـاحن بعنايـة كولـدي الصغير ، أشـعر بالنعاس حقاً!!، ولا يمكنني تفويت موعد الغداء...افتح الباب بعناية.. مهـلاً!! أتاكـد أنـي لا أحلـم أولاً، لا هـذا لا يبـدو حلماً!!فقد صفعت وجهـي عدة مرات قبل خروجي مـن منزلي!!وتأكدت تمام التأكيد أني لا أحلـم وذلك للأمانة، لا يوجد أحداً هنـا!!، ذهبت إلى ذلك المطعم الهادئ، جميل بحق ذلـك القطار، أطلقت ذلك الجرس الموضوع هنا كـي يأتي ذلك الشـيف أو العامل، أتانيي صـوت يأتي من خلف الباب، باب المطعم يقول:

- حسناً أنا قادم.



غريب هل أنا المدعو الوحيد هنا فقط!؟أين البقية، القطار لا يحمل سوايا هنا!؟كلا بالطبع!!لقد رأيت رزم من الناس تتحرك أمامي وتحشر نفسها بالقطار ، كان هناك الكثير منهم!!

أتى النادل من الخلف يقول:

- معذرةً.

قلت له ببساطة :

- أين الجميع، هاهاها، هل أنا المدعو على الغداء هنا وحدي!؟

انتظرت أن يبادلني المرح نفسه، لكنه لم يفعل حيث قال برتابة:

- سوف يأتون.

ها هم أخيراً كي يرتاح قلبي، أتوا في صفوفٍ دفعة واحدة، بعشوائية، يجلسون على طاولات، يتصرفون بغرابة شديدة، هل هناك طاولة أخرى غير تلك حيث أحتسوا المشروبات الكحولية، لا هذا ليس تأثير الكحول، إنما شيئًا أخر !!

بعدما جلسوا على الطاولات، رجالاً ونساء بمختلف الأعمار، جلسوا أمام الأطباق الموضعة بعناية ونظافة أرضاً، قد امسكوا باليد اليمنى السكينة واليد الشمال الشوكة، أكره تلك العادة، سوف يأكون بيد الشيطان كما أخبرني بها "جدي الراحل"، لماذا امسكوا السكينة بتلك الطريقة الجامدة!؟، متحفزين، امسكو الأطباق في لحظة واحدة، وضربوها أرضًا!!بقسوة وقوة حتى تفتت، حاشيت وجهي عنها،



هؤلاءالمجانين!!ماذا يفعلون؟ألا يوجد بينكم رجلاً رشيداً؟التفتوا نحوي بآلية!الغريب أن حدقاتهم قد اختفت حتى أصبحت بيضاء تمامًا كالبيضة، وقفوا دفعة واحدة وينظرون نحوي، تباً!!أنا لا أحتاج كل هذه السكاكين!!تقدموا بخطوات واحدة، لم أسمح لهم، فقد إندفعت وأسرعت، وركدت نحو غرفتي..ولا انظر إلى الخلف، ألهث، وجدت بابي، فتحت النافذة..أحضرت هاتفي المحمول..تباً!! لقد وقع أرضاً، أول سكين تخترق الباب بقسوة، أحضرك أيها اللعين وأضعك في جيبي، أحاول في تلعثم إحضار أشيائي، تركت حقيبتي وملابسي، التفت نحو الباب، أجد عشرات السكاكين تظهر ألسنتها، الباب أوشك على الإنهيار وأنا أحاول فتح النافذة كي أفر بحياتي كسرت النافذة الزجاجية التي كانت محكمة الغلق..

الهواء يرتطم بوجهي يصفعني صفعًا حتى طارت شعيرات ووقفت إنتصابًا وخوفًا

قد رأيته وجه أحدهم وقد برز فجأة بعدما قطع الباب الخشبي..

النفاذة كسرتها بذراعى ورأيت دماء تتناثر في الهواء..قذفت نفسي وجسدي من النافذة..

إرتطم جسدي بالأرض في سرعة، حتى أكاد أشعر بكسر في ضلعي الأيمن، كسرٍ بليغٍ...



جمجمتي اصطدمت بالأحجار والحشائش والأتربة في سرعة..
سكن جسدي.

***

توقف القطار...الجميع ينظرون نحوي من النوافذ، يتطلعون إلى ذلك الخروف الذي هرب من الذبح في عجب ودهشة!!أتحامل على نفسي، أحاول النهوض...أحاول الركض، أراقبهم وهم يخترقون النوافذ، وقع أحدهم أرضًا يحاول اللحاق بي بجنون، وكأن هناك جائزة في انتظاره لو أحضر رأسي أولاً!!!تبعه الأخر، والأخرى في جنون أكثر رعبًا..أركض وأسرع بالهرب والفوز بالحياة..وأنا أوقن أنه لا مجال للفرار ، أسرع وأسرع في الهرب..لكنهم يمتلكون أجساد معافاة كاملة لم يتحطم لهم أضلاع مثلي ، لا يزكون برجلهم اليمنى أثناء الركض مثلي!!لا يقعون في حفرة كبيرة مثلما وقعت الأن!!القطار توقف وهبط منه كل ما كان عليه من أحياء، ويتجهون نحوي ، وبيد كلاً منهم سكين حاد لتقطيع اللحم، هبط أحدهم أمامي، وأصبح جواري أحدهم يود قتلي دون تردد بجنون ملهوف ويده تحمل سكين توجه إلى صدري...

***







(لَعْنَتُهَا) ...





بدأ الأمر بالهلع !..

وانتهى الأمر بالفزع .





بالتأكيد علمتم ما مريت به منذ البداية، ذهابي إلى «مدينة المنصورة»، وحفل توقيع تقليدي «لرواياتي الجديدة»وحين «وقت العودة»حدث أمرٌ جلل، ذهبت إلى قرية «كفر الهلع»و وجدت من الأعاجيب ما يشيب له الولدان، ورأيتها...تلك الفتاة الملعونة التي تسمى «نادين»ومن أجل أن تنفك عنها «لعنة ما!!»قَتَلَتْ المزيد من الرجال من أجل أن يعشقها أحدهم أو هكذا قالتٍ!!رغم شكي في الأمر، بالنهاية عدت سالمًا معافًا إلى منزلي، أفكر بها وكيف أوقعتني «كالغر الساذج»في أحضان حبها المسموم، وقد نويت الإنتقام...شر إنتقام، لكن كيف ومتى لا أعلم!؟

لبيتُ دعوة للذهاب إلى مدينة «أسوان الحبيبة»، وحينها تحول ركاب القطار إلى «زومبي متحرك»حدقتهم بيضاء تماماً، ذلك ليس المهم في الأمر، يريدون أن يزفروا بي، الجميع أمسك السكاكين وهرع نحوي، وقعتُ داخل حفرة..مع أحدهم وهو يوجه نحوي السكين ..

***



فلنعد إلى البداية ..

لا ليس ذهابي إلى «مدينة المنصورة» و توقيع كتابي الجديد بالطبع!

قبلها ..

ونحاول ربط الأحداث ببعضها البعض!



قالت لي بصوت دافئ ..

- لن تذهب إلى غيري مطلقاً...فيحق لي أن أحب غيرك أما أنت فلا، أنت ضمن ممتلكاتي فقط، أفهمت؟حتى لو فرقتنا الظروف وتباعدت بيننا المسافات ستظل ملكي، ملكي أنا وحدي...تلك كانت حبيبتي، بالطبع...هي التي ذهبت إلى «المشفى»بعد أصيب ببعض الكسور التي تتناثر في جسدها، ومن ثم ساندتها حتى استعادت كامل عافيتها وذهبت إلى منزلها كي تخبرني أني لا أصلح لها ولا أصلح لأي فتاة أخرى، فزرعت داخلي «بذرة الكره للجنس الاخر ..»

لم أذكر ببالغ الأهمية «أنها حاولت العودة، وقمت بالرفض»فهي قادرة على تحطيمي، لكن بقيت كرامتي سليمة...لم يصبها خدش واحد .

أجريتُ مكالمة مع صديقتها المقربة، لم أرى هيئتها لكني استمعت إلى صوتها وألفته كثيراً، حتى لم أشعر بمكالماتنا التي تخطت الساعات الأولى من الفجر، كانت معترضة على تصرفاتها ووعدتني بأخذ حقي منها، لكني لم أكن أكترث، قالت لي حديث لم أصدقه بالطبع!!عن كون صديقتها «تمارس السحر الأسود»وبعد أن أنهينا أمور الإرتباط، أصبحت كل شيء تكرهه، محبب إليّ كثيراً، حتى صديقتها التي كانت وبالطبع تكرهها وتبتسم لها كلما تواجدت معها في مكان، وعبر الأحضان الودودة تعبر لها عن حبها الكاذب «أحضان الثعابين»،



هكـذا تخيلت الأمر بعد الإنفصـال «لم أصدق!!»، هبط خبر الإنفصال علـى الجميع، قامـوا بمهاتفتي وينصحوني بالتراجـع!!، لماذا تقنعوني أنا!!؟لقد كانت «الحقير»...هي من فعلت، ولم أدري أن بداخلها سـمٌ قاتلٌ، كلا لن أعود لها، لذا لا يخبرني أحد عنها مطلقًا، فلست «جروها الصغير» تركته عند إحدى صديقاتها وتستعد لعودته إلى منزلها..!

أتحدث إلى صديقتها يومياً، رغم معاملتي لها الجافة، كانت تستقبل كل هـذا على الرحب والسـعة، رغم «نهيقي كالحمـار»، حتى قالت لي مرة أذني اليمين أصيبت بعطب ما ولم آبه!!، لذ قلت لها ذات مرة:

- سمعت ذات مرة أنكِ تمارسين «طقوس السحر الأسود»!!!

قالت بدهشة:

– أنا !!؟، من قال لكَ؟

– إذن هذاصحيح!!؟

صمتت...أتخيلهـا تتحـول إلى «أفعى»وتخرج من سـماعة الهاتف كي تدس نابها في رقبتي المكسينة.

قالت بخفوت :

– لو قصصت عليكَ الحكاية، هل تصدقني ؟

– لا أهاتف البعض في الثانية بعد منتصف الليل، اسـترحت للحديث معـكِ كصديقة، تحدثي ولا تخشـين، عقلي كبير...لا تقلقي، قولي وقصي لي الحدوتة.



استمع إلى أحادث «ممارسة السحر وظهور الجان» منذ الصغر، لم أكن أتخيل مطلقًا أن أراها واستمع إليها على أرض الواقع، إحداهن تخلت عن الإيمان واتجهت إلى «الجانب الكافر» بإختيارها وإرادتها، يجب أن استمع إلى حديثها كي أقيس مدى صدق الخيال مع الواقع، تقول:

- لم تراني بعد، وأنا أصر على ذلك الأمر، لم أرسل لكَ صورتي عبر تطبيق «فيس بوك» ولا تظهر على «صفحتي» مطلقًا، قالت حبيبتك أني «بالغة الجمال» وذلك كان صدقًا، أكره جمالي وكنت أكره نفسي عندما كان أصدقائي الشباب واحداً تلو الأخر يأتون نحوي، ويطلبون مني بكل أدب «أن نرتبط»، أرفض الأمر وأتقبل الزمالة فقط؛ الجمال له مميزاته وعيوبه، أحدثك كي ترى جمالي الداخلي قبل الخارجي.

عذراً!! وما شأني بكِ، فلتذهبي أنتِ وجمالكِ إلى الجحيم عزيزتي، لو كان حديثي اليومي معكِ أوهمك بأعجابي بكِ فأنتِ واهمة حمقاء تحمل في جعبتها المزيد من السذاجة، أنتِ لا تعني لي شيئًا، لذ وبعد إنهاء حديثنا هذا، سوف أقطع الحديث معكِ وأكتفي فقط بالزمالة أو الصداقة أياً يكن؛ تكمل قائلة:

- فعلت إحداهن بي أمراً خطيراً، دسوا لي «أعمالاً» من كل الطوائف قال لي شخص ما «التي فعلت بكِ هذا الأمر واحدة فقط»، لا أدري ماهيتها، وبعدها دخل بيتنا مئات الشيوخ كي يكسروا لعنة لن تُكسر.



- لـذ أحضرتـي المزيـد مـن كتب السـحر فقـط، علـى سـبيل الثقافة فقـط!؟لا أفهم!!ماذا فعلت بكِ تلك الأعمـال حتى تحضري كتب السحر هذه!؟

- تجعلنـي «قبيحة»، ينفر مني كل بنو أدم، وكل ما يحمل على جنبات بطاقته الشخصية لقب «ذكر»، أنت لا تدري شعور الأنثى عندما «لا تصبح أميرة في نظر الرجال»، التزين يجعلنا أميرات تسير بثقة.

بلهاء حمقاء، أكملي أكملي ..

- هل تصدقني ؟

- أصدقك حقاً، أكملي !.

- كسـرت «لعنة القبح»كسـرة لعنة لم يكسـرها الشـيوخ رغم علمهم الغزير، ومن بعدها امتلأت مكتبتي بكتب السحر والسحرة، غضبت أمـي كثيـراً أقنعتها بكل السـبل أن كل هذه الجبال من السـحر على سبيل الدراسة فقط.

كانـت حبيبتي الأولى صادقة إذن!؟رغم مقتي لها الأن، لكنها كانت على حق بشـأن تلك الفتاة، تلك الفتاة ممسوسة رغم كل هذه العقلانية البحتـة المطلة من حديثها، أود غلق الهاتف، لكنـي أتمتع بذوق رفيع، سـوف أدعهـا تكمل، وأصدق علـى حديثهـا، أُكمل حديثـي معها غداً وبعد غد، ومن ثم أصعد على جبال «الحجج المتراكمة»وأنهي علاقتي بها رويداً رويداً ... تكمل :



- أخذت إحدى رفيقاتي وذهبنا إلى «الشاليه في الساحل الشمالي» وأقنعتها أن ذلك الموضوع مجرد مزحة فقط، «قمت بتحريك خمس سيارات دفعة واحدة»، في جنون حتى أصيب أصحابها بالهلع ، ضحكنا كثيراً ذلك اليوم، لم تخشاني رفيقتي قط، بل كانت مستمتعة لأقصى درجة وأحدَثْتُ «عاصفة عاتية «أقتلعت الشماسي من على الشاطئ، وأصاحبها يهرعون نحوها في جنونٍ، ذكرته «الصحافة»فيما بعد «بالعاصفة العاتية»إهتز لها الساحل الشمالي بأكمله ، خافت صديقتي كثيراً من «قوايا المكتسبة من كتب السحر»، لذ هرعنا إلى منازلنا، وندمت كثيراً على معرفتي بها، لقد أوشت بي، فابتعدوا عني، الجميع بلا إستثناء، حتى حبيبتك قطعت علاقتها بي دون إستأذان، ابتعدت عن «كتب السحر»بل أحرقتهم جميعاً، وبعد مرور أشهر قليلة، سَكَنْتُ غرفتي وأنا أبحث عن شيء مفيد في حياتي الهشة، ولا أعتقد أنك ستقبل الحديث معي بعد أن صارحتك بالحقيقة .





معكِ كل الحق، أود غلق الهاتف فوراً، فيمكنك فعل أي أمر مريب بي، سوف أتعجب منه بالطبع!!قلتُ بدهشة :

- كلا بالطبع، لماذا قلتي هذا الكلام الخرف!؟

صمت ولا تعقيب...

- أكاد أرى عيونك متسعة من الأمر برمته، وحقًا لا ألومك لو إبتعدت فالجميع يبتعد.

- هاهاها لا بالطبع، فتلك هي المرة الأولى التي أتحدث فيها مع شخص «مارس السحر الأسود»، لا حديثك غير صحيح بالمرة!!

قالت بصوتٍ ضعيفٍ :

- لقد ابتعد عني الكثيرون وكنت لا أمتلك سواهم في تلك اللحظات.

- من ؟

- لا كفى...فعقلك وقلبك لن يتحملا شيئاً مما سأقوله لك.

- هاهاهاها وفري حديثك للغد فأنا متعب كثيراً اليوم وأحتاج وقتًا لإستعاب حديثك هذا.

- هل ستبتعد!؟

- كفى...ولنكمل حديثنا في الغد.

شعرت أنها تبتسم وقالت :

- أتعلم يا حازم...من حديث حبيبتك عنك اشتقت كثيراً لرؤيتك، كانت تتحدث عن فارس الأحلام، وعندما رأيت صورتك لن أخفي شعوري كثيراً أعجبتك بك، هاهاها .



- أريـد غلق ذلـك الهاتـف فوراً، مـن فضلـك فأوصالـي لا تتحمل، أغلقـي الهاتف أو أغلقه أنا!!، من بعد حديثك المخيف هذا لا أريد حقاً إستكمال ذلك «الحوار الماسخ».

***

بالغد ..

وجدت أنها هاتفتني ثلاث مرات قبل أن أصحوا، أرسلت لي «نصف وجهها السـفلي» عبر «واتس اب» تباً!! ما هذا الجمـال الفتّان!! أهذا هو أنتِ حقاً؟ لم أرى سـوى أنفها المسـتقيم وفمها الصغيـر الملتف حول وجه أبيض نظيف، أرسلت لها قائلاً :

- أنتِ جميلة حقاً!! ولم تذكر هؤلاء الذين تمتلكهم!!

***

في اليوم الرابع ..

أجرينا حديث ممل عن روايتي القديمة الإجتماعية وعن كذا وكذا، وحينهـا حدثتهـا عن جانب صغير عن جرحي القديـم الذي لم «يداوى «بعـد وأني في حاجـة للصداقة أكثر من الإرتباط، شـعرت أنها غضبت كثيراً لذلك الأمر، لم أتطرق في حديثي معها عن كونها ساحرة أو أو... أحدثها وكأن شيئاً لم يكن بالمرة، ورغم فطنتها أني تغيرت معها كثيراً، ولم أحدثها مثلما كنت في السابق.



قالت لي أنها اكتشفت بعد إعتزال «مهنة السحر» إنها تستطيع إخراج الجثث من باطن الأرض وتستطيع أيضاً التحكم في الزمن بمساعدة «الجن»!!تستطيع أن توقف الزمن عبر دس حجاب خفي داخل الغرفة يوقف تفاعل الزمن بها!!بمساعدة الجن كانت قوية، والأن هي توقفت عن ذلك الأمر برمته، الأن هي نوت الإبتعاد عن جميع الأشياء الحمقاء، بعدما عرفت عقلاً متفتحًا مثلي!!؟لماذاأنا؟.لا يحتاج الأمر للذكاء الشديد كي أعلم أنها وقعت في حبي.

ولم تذكر هؤلاء الذين تمتلكهم.

***



هكذا علمت بأني أود قطع العلاقات معها رويداً رويداً..

شعور الأُنثى وذلك يكفي!

حلمت بها حلمًا قصيراً..

تقول لي رسالة واحدة «أنت لي..لي وحدي».



إنقطعت الإتصلات تماماً، استمر الأمر «ستة أشهر كاملة»، أتذكرها بصعوبـة، كيف كانت هي منذ بداية الأمر حتى أتذكر كيف انهينا لقائاتنا ليلاً!!حقًـا لا أتذكرها؛كنت قبل دخولـي إلى ذلك «القطار»المتجه إلى «أسـوان»، أعبث بهاتفي الجوال ووجدت صورتها «النصف وجه» كان النصف السفلي ل «نادين»

لقـد عبثـت معي جيـداً تلك المـرة، أتذكر لحظـات دس الكمادات علـى جبينـي، وطبـع قبلتها فـوق جبينـي وليس جـس درجـة الحرارة بالطبع!!كيـف كانـت تنظـر نحـوي مـن آنٍ لأخـر، وأتجاهلهـا ببـرودٍ وغطرسـةٍ، كانـت تتعجـب ولهـا كل الحـق، كيـف لا أعجـب بأطنان ذلـك الجمال؟!الـذي كنـت أحدثه من قبـل ورهبت مـن رؤيته، كانت تعرفني؛ومن شدة إرهاقي في ذلك اليوم، ومن بُعد المسافات ومن حفل التوقيع، لم ألاحظ ذلك الشبه!! نصف «وجهها السفلي»كان بالنسبة لي مألوفٌ للغاية!!لم يتخلى عني الإرهاق طيلة الوقت داخل «كفر الهلع» ، كنـت أكابر ولا أُعقد أي «مقارنات»وكيـف أفعلها وأنا مغطى بإرهاق ومحـاولات مضنية لإنقاذ حياتـي وحياتها ؛إرسـال النصف الأخر من الوجه لا يعنـي مطلقاً رؤيتك لملامح الوجه كاملاً !!الندع ذلك الأمر.. وأخيراً فات على أخر حديثٌ معها « ٦ أشـهر كاملة»، كيف لذاكرتي أن تتذكر!!؟أمواج متلاطمة تلاقح تفكيرى...



امتطي ذلك القطار ، وأتخيل قصة «فتاة القطار»(*) التي أنهيتها منذ أيام قليلةٍ عندما جَلَسَتْ على أقرب مقعد ، تلك القصة المذهلة كالعادة للكاتبة البريطانية«بولا هوكينز»(**)، وتم طردي من القطار عنوه ولم

(*) تتناول الرواية قصة مطلقة، مدمنة كحول تمر يوميا على منزل لزوجين، ويصور لها خيالها قصة تصنع من هذين الزوجين بطلين لها، لتتحكم فى تصرفاتهم وردود أفعالهم على الأحداث التى يمرون بها. وتنتقل الكاتبة باولا هوكينز فى "فتاة القطار" بقرائها من حدث إلى آخر فى تطور درامى خيالى تصنعه بطلة الرواية ريتشل تحت تأثير شرب الكحول، ساردة الأحداث التى يمر بها هذين الزوجين الذين يسكنان البيت الذى تمر به يوميا اثناء استقلالها القطار، أو ربما لم تمر به على الإطلاق.

(**) كاتبة بريطانية مواليد ٢٦ أغسطس ١٩٧٢، اشتهرت بسبب روايتها فتاة القطار التي صدرت في مطلع عام ٢٠١٥، تصدرت الرواية قائمة نيويورك تايمز للروايات الأكثر مبيعا لـ ١٦ أسبوعا حتى الآن في عام ٢٠١٥، كما تصدرت قوائم الكتب الأكثر مبيعا في بريطانيا لـ ٢٠ أسبوعا. باولا ولدت وترعرت في مدينة هراري في زيمبابوي، وكان والدها صحفيا وهو أستاذ في الاقتصاد والمالية، عادت إلى لندن في عام ١٩٨٩ بعمر ١٧ سنة ثم درست الفلسفة والسياسة والاقتصاد في =

=جامعة أوكسفورد، عملت بعد ذلك كصحفية في التايمز تكتب تقارير عن الأعمال التجارية، ثم عملت مع عدد من دور النشر وكتبت بعد ذلك كتابا فيه نصائح مالية للمرأة. بحلول عام ٢٠٠٩ بدأت بكتابة عدد من القصص الخيالية الرومانسية ذات الطابع الكوميدي تحت اسم مستعار باسم ايمي الفضية، كتبت ٤ روايات من ضمنها "اعترافات ريسيشنيستا المترددة" ولم تحقق اي انجاز يذكر بعد ذلك تحدت باولا نفسها وبدأت بكتابة رواية أكثر سوداوية التي تصدرت قوائم مبيعات الكتب لعدة أسابيع وهي رواية "فتاة القطار"أخذت منها الرواية ٦ أشهر في الكتابة وكانت تعيش في أزمة مالية صعبة وكانت تقترض من والدها لأجل إتمام الرواية.



أكمل تخيلاتي، وفي العراء أحدهم يقترب لدس السكين في أضلعي، وينهي ذلك الكم المتراكم من الأسئلة.

"بغريزة البقاء"تنحيت جانبًا كي ينغمس السكين داخل الأرض الطينية، لففت جسدي ودورت دورة كاملة رغم الألم وهو يحاول بكل قسوة إحناء السكين كي يخترق ظهري ولكني لم أمهله، أمسكت مقبض يده فتنيته ناحية اليمين، ثم عالجته بضربة أسفل ذقنه، فقد الإتزان وتراجع إلى الوراء كالسكارى، أمسكت ضلعي المكسور على إستعداد لتقبل هجمة أخرى وأنا أمام القطار مباشرةً، وأرى ذلك الكم من البشر "المتحولة أعينهم"يتزاحمون كي ينقضوا على جسدي وذلك الرجل يطوقني بذراعيهِ من الخلف، هبطت أرضًا مستعداً للإستسلام، يضغط على جمجمتي وحنجرتي فلا استطيع التنفس، لابأس الموت أمامي يقترب ، قرأت الشهادة في سريرتي، وأغلقت عيني...



- «توقفوا«.

من قالـت تلك الجملة!!؟، أفتح عيني وأنـا أراها تتخطى الصفوف «كملـكات العصـر القديـم»، البشـر وقفـوا كالأصنام ولا يـزال الحقير يضغـط على حنجرتي، كـررت «أتركه»، تركنـي الحقير ووقف خلفي، أُمسـك أضلعي في ألم، أصبحت أمامي مباشـرة لا يفصلها عني سـوى «متـراً واحـداً»، انظر لـها وقد قررت «الإنتقام»مسـبقًا وبعـد إقترابى من الموت، «على الأقل أموت رجلاً»، تنظر نحوي بكل تعاطف قائلة



- هل ألمك ذلك الحقير

ثـم تنظـر للذي كان خلفي، تأمر بعضهـم أن يأتي في سـرعة، إرتبك الرجل لكنه إستسـلم، اقترب أحدهم منه وقطع رقبته بسـهولة ويسر !! وأمسكه من جمجمته «ككيس زبالة»، ورماه أرضاً، تنظر نحو قائلةً :

- حازم أسفة كثيراً مما حدث، لم يكن هناك شيئاً غيره.

الألم ينتشل جمجمتي وينتقل عبر فوهة فمي وأنا أقول :

- ماذا حدث!؟ولماذا!!؟.

- «لعنتي»عادت تعمل من جديد ولا شـيء بيدي في ذلك الأمر، أيها الأغبياء لقد كسروا أضلعك.

لا شـيء حـدث بعدهـا، وبرغم كذبهـا الـذي أدركته فـي كينونتي، إستسـتلمت إلـى تلـك الغيبوبـة كعادتـي، بعد رؤيتـي لقدمـي والدماء تنـزف بغزارة منها لا بأس، طالما تعاملني بتلك الرقة فلا بأس، «الغيمة السوداء» تنتشلني من عالم الوعي وعيني تغمض...

هل ضربني على رأسي ذلك الوغد!؟

***



بعض النساء يجب أن تتحاشاها،

الإقتراب منهن قد يؤذيك،

والبعض الأخر في قربه النعيم.

والبعض الأخر..الإقتراب منهن يدخلك في نطاق اللعنة...



هناك «دجالة»أخرى غيرها!!

تسكن تلك الغرفة، أنصت لها وأغمض عيني كأني لازلت أسبح في غيبوبتي، أنصت لهم ولا أُبدي بادرة أني منتبه، قالت «نادين»:

- ماذا أفعل يا خالة، لقد فعلت معه كل شيء وأثبت حبه لي، بل أعترف لي بنفسه بذلك الأمر .

قالت السيدة بصوتها الأجش :

- عالمنا يختلف عن عالمه يا بنيتي، لو علم أنك ساحرة سوف يقتلك.

- لا لن يفعل ذلك الأمر، قد إختبرته وأثبت صدق مشاعره، وهو أصبح لي، لم تريه عندما رآني، اللعنة عليَّ لقد جعلتهم يقتربو ن منه حتى أصابوه .

صمتت السيدة ولم تُجِب؛أشعر بأنها تنظر نحوي تتأملني، قطعت ذلك الصمت الذي كنت أستمعُ من خلالهِ بأنفاسي، حسبت أنهم كشفوا مراقبتي لهم وتصنتي الطفولي، يتحدوثون عني يا هذا ولماذا لا أتصنت، قالت السيدة :

- تلك الإصابات ستفيدك يا بنيتي، ستداوي جراحه مرة أخرى، ستضعين له هذا «الدواء»قبل الخضوع إلى يوم «الملحمة الكبرى» وحينها سوف يصبح قرباناً مقبولاً «لسيدة النجم الازرق».

- أتثقين بها ؟



- تمام الثقة، أَعطت لسيدة قبلك نفوذ وقوة رهيبة حتى امتطت أعلى «سيادة فرعونية» لكنها وبعد سطوعها قد ماتت، لا لن تموتي، ستكونين أقوى سيدة، ستتحكيمن بعقول البشر عما قريب، وتلك هي أعلى مرتبة في عالم الساحرات.

عن ماذا تتحدث تلك المعتوهة!؟أقمار ماذا؟أي ملحمة كبرى؟نجم أزرق «يولع» بأجسادكم أجمعين ، أنا لست قرباناً ولن أكون لقد أربكت حساباتى الإنتقامية تماماً.

قالت نادين :

- بالخارج يوجد مئات البشر تحكمت بعقولهم حتى نخرج من هنا و يحمونا.

اللعنة !! أتت لها بالحرس الخاص ومئات البشر!!، أنا لا أستحق كل هذه الكم من البشر، لقد كان سكيناً وحيداً كفيلاً بإنهاء الأمر برمته.

قالت السيدة :

- سوف أرش عليه «مسحوق سحري» حتى يعود سالمًا معافًا، وحُسن فعل هذا وهو نائم، فلن يعمل هذا المسحوق إلا وهو نائم .

فجأة أفقت وفتحت عيني وكأني أمسكت «سلكاً عارياً» يسري فيه مائة فولت من الكهرباء، قائلا:

- نادين ماذا نفعل هنا!؟ومن تلك المرأة!؟

***



لم تخجل تلك «الشيخة الأفعوانية»وهي تتأملني، تتأمل كل قطعة في جسدي، بشرتها تكرمشت بفعل الزمن وأفعالها، وجه صغير ذو قن صغيرة، عنياها قد كبرت بفعل الزمن وبفعل تلك الأشياء الملعونة التي شاهدتها وأرتعبت حتى إعتادت ذلك الأمر، لا يوجد لها حاجبان، تبدو صغيرة الحجم، تجلس جوارها «نادين»تحاول إرضائها بكل السبل، أجلس وأحتسي كوب من الماء، تتأملني السيدة مرة أخرى و تفتح فاها قائلة:

- هل أنت جائع؟

- أااة بالتاكيد؟

نهضت من جلستها القرفصاء، لتدعنا أنا وتلك الفتاة وحدنا وكأنها تقصد ذلك الأمر، قلت لها متاحشياً غضباً كاد يظهر، الدنيا تُعَلّم المرء الهدوء والتريث في بعض الأمور والتمثيل أيضاً:

- ماذا نفعل هنا يا نادين!؟وأين ذهبتي حينما ذاب الآخرون.

تتأملني، لا أعلم من أين أتت بنظرات الفخر!!ثم تبتسم:

- ذلك موضوعٌ كبيرٌ بحق، يمكننا الحديث عنه عندما نذهب من هنا.

- نذهب!؟لقد كنت ذاهبًا إلى «أسوان»وحدث ما حدث، وهناك ينتظروني و...

- أنا من فعلت ذلك الأمر وليس هم.



أيتها اللعينة! أضيفي ذلك الأمر في لائحتك، أنا لا أنسى، سوف أذيقك عذاب ذلك اليوم وكسرة ضلعيي أيضاً، كل هذا سوف أضيفه في «لائحة الإنتقام» الخاصة بي، قلت :

- لماذا!

- لأني أريدك أنا أيضاً.. معجبة بك كثيراً لم أكن أملك طريقة أخرى لجذبك!

أود أن أضحك لكن ألم الضلوع كان أكبر وأقوى وأعتى، أصمت وأكتم ألمي، وأنا أراقب تلك «اللفة البيضاءالملفولة» على صدري وأسفلها، قالت :

- يوجد كدمة بقدمك لا بأس بها سوف تشفى أسرع من ضلعك، لا تقلق «تربت على كتفي فيي حنانٍ» آسفة حقاً.

أود لكمها أو تفتيت جمجمتها، لكن عليَّ مجارتها إلى نهاية الطريق، قلت بهدوء :

- هل تعرفين معنى الحب!؟

تنظر نحوي بدهشة لذا أكملت:

- الحب معناه أن تحمي الأخر، أن تراعي الأخر، أن تحافظ على مشاعر الأخر، تحاول حمايته من نفسه في وقت غضبه، أن تبعد عنه الأذى، الحب تضحية في المقام الأول عزيزتي، أن تحاول طمآنة الأخر.



- لم أكن أعلم سوى...

- عزيزتي أنا بالفعل ألتمسُ لكِ العذر، كامل العذر، لم تري محبًا مخلصًا حقاً، لم تذوقي طعم الحب الحقيقي من قبل، «ما قمتي به معي» يتنافى مع مشاعر الحب الصادقة، أقرب إلى الكره حقاً، لكني ألتمسُ لكِ كامل العذر، أنتِ لا تعلمين ما هو الحب الحقيقي.

تتأملني كثيراً كأني أصبت المرمى بهدفٍ صحيح، وقالت :

- حقاً كل ما قلته عني صدق، لم أعلم شيئًا عن الحب الحقيقي أعدك أني لن أفعل مثل تلك الأفعال مرةً أخرى، قل لي سامحتكِ، هيا.. قل.

ابتسمت رغم أني أرفض أن ابتسم، أُظهر معالم الرضا رغم رفضي لها أيضاً :

- بالطبع أسامحك.

***

أتت الشمطاء تلف حول رأسها حجابًا أسود اللون وكأنها تخنق رأسها به، أتت تزحف "كالسلحفاة" بهدوءٍ مريب حاملةً طبق ما، أشك في محتواه، لن أذق طعم تلك الأكلة، لن أدعهم يُذيبوا عقلي، قلت لها:

- ما هذا يا خالة؟

ابتسمت في رضا وهي تعطيني الطبق وتضعه أمامي، وقالت:

- شربة دجاج، وداخلها وركُ فرخة كي «ترم عظمك».



شـربة دجاج وورك!!كيف «يرم عظمي»أنتِ بخيلة يا حاجة!!، انظر للطبق لأجد لونه أقرب إلى «الخضار»، قشعر بدني وأنا أكرر السؤال:

- لماذا لونها يميل إلى الخَضَار؟

- إنها تتبيلتي الخاصة، ذقها ستعجبك كثيراً.

تَتبيلَتُـكِ الخاصة!؟، أشـك بها كثيراً أيتها الشـمطاء، وعندما يسـير الفـأرَ في صدري من الشـك لا أحـاولِ حتى التقرب من ذلك الشـيء، أمسك معدتي هناك ألم بالفعل، لكني أُزيدوه بتمثيلي:

- لا أستطيع تناوله الأن؟الألم فظيع ...

قالت نادين بحنان كعادتها :

- لا ..يجب أن تأكل، لا تفعل مثل الأطفال الصغار.

أيتها اللعينة!!!ماذا تفعلين، كيف دسستي الملعقة داخل ذلك الطبق وتقربيه إلى فمي!!؟أبعَدتُ تلك الملعقة ويدها عني قائلاً :

- لا لا استطيع حقاً.

لو، لاحظت تعابير وجه «نادين»الجميل الذي تحول إلى « الصرامة» لظننتم أنهـا تقـول كيـف جرؤت علـى إبعاد يـدي بعد أن كشـفت لك أوراقي وعلمت بأني «كبيرة السـحرة»!؟ألم تـرى قدرتي على التحكم بمئات البشـر في ثانية واحدة!؟ألا تسـتطيع اسـتيعاب من أنا حقاً بعدما تواضعت وقدمت لك الأكل بنفسي!؟و تغيرت ملامحها وأبتعدت عن رؤيتها وأنا أغمض عيناي من الألم، قالت بخفوت:



- أتُبعِد يدي وأنا أطعمك!؟

انظر لها وعلى وجهي لهفة المحبوب وقلت:

- لا أبداً عزيزتي كل ما في الأمر الألم فظيع في معدتي.

كشفت عن اللفة التي تلتصق بأضلعي ثم قالت بحزم:

- اِنْزع هذا عنك..

- لماذا، أنا مصاب منذ ساعات كيف أنزعه؟

الغبية خلعت ذلك الشيء الذى يغطي «كسر الأضلع»بأكمله، وما رأيته أذهلني حقاً، لا يوجد ضلع مكسور، أنا سليم ومعافى تماماً :

- كيف هذا الأمر!!؟

تُمَلِسْ بيديها الناعمة، حسبته «إلتفاف الأفعى حول الضحية»، تمرر يدها على أضلعي التي كانت مكسورة ، قائلةً :

- إنها وصفتي السحرية.

- هل أقمتي على جسدي المكسور تجربة سحرية ما!؟

أيتها اللعنية، أيتها الحمقاء، وددت لو برز لي نابان وأمسكت عنقها مثل مصاصوا الدماء، وشربت دمائها لأخر قطرة، وددت لو أمسكت وجهها الجميل وقمت بوضعه في حوض مملوء بالسولار، وحينما تموت سوف أشعل السولار في جسدها بأكمله، قالت:

- أصلحت خطئي!!

«لم أحاول إخفاء صرامتي»:



- بخطأ أكثر فداحة وخطور، كنت أريد الشفاء مثلي مثل بقية البشر أيتها الفتاة، بالطرق الطبيعية . أكره السحر أفهمتي؟

رفعت حاجبها الأيمن في تحدٍ مبالغ ، ثم قالت شيئًا لم أسمعه وصوت تلك «الحيزبون»يقول:

- لم يحدث شيء.

لم أكن أدري بوجودها من الأصل كأحد العناكب، هرب وأختفى خلف ذلك الدولاب ولم يلبث أن ظهرت فجأة، و قالت :

- أيمكنك تركنا يا نااادين؟

- تنظر لها وتبتسم قائلة:

- لا عليك سوف أخبره بإسمي الحقيقي «نادين»هذا هو الإسم الذى أخبرته به، اسمي الحقيقي هو «ناردين»، تلتفت نحوي وتقول، ألم تسمع بذلك الإسم!!؟

أشعرتهم بتفكيري العميق، وأنا أحك يدي أسفل ذقني، قلت :

- ذلك الإسم ليس غريباً عليَّ مطلقاً، بل أني آلفته ذات مرة، وإبتعدت عنه لظروف خاصة جداً.

توهجت أعين الفتاة وهي تقول:

- لماذا أبتعدت عنها أخبرني؟

قلت ببساطة وقد علمت ماذا أشعلت داخلها:



- ذلك يحتاج «لقعدة»طويلة لشـرح الأسـباب، لكـن وبكل إختصار، ظروفي لم تكن تسـمح للإرتباط وقتها، كانت فتاة جميلة رغم عدم رؤيتي لها، جميلة من الداخل أكثر، أعتدت الحديث معها كثيراً شبه يوميى.

لـم أذكر خوفـي منها بالطبع بعدمـا علمت أنها «تمارس السـحر»، لأني علمت أنكِ «تمارسين السحر»

يا «ناردين»اللعينة، تحاشيت الحديث عن ذلك الشيء تماماً، عسى أن تفهـم تلك الغبية أني مختلف عـن جميع الرجال الذين صُدمت بهم في طريقها، أكملت :

- لـم تكن ظروفي المادية تسـمح بالإرتباط بهـا، كانت فرصة وكانت روح نقية بحق لا تعوض، لذلك إنتشـلت نفسـي من عالمها، عسى أن تجد ما هو أنسب مني.

تنظر نحوي وكأنها تتخيلني ألف مرة، ثم قالت كالمشدوهة:

- المـال ليس كل شـيء، هنـاك الكثيـرات اللاتي تفضلـن الروح عن المال!!!

لنَنفَـض من تلك ال «قعـدة الحلوة»، لتدوين ملاحظة هامة هنا، «إذا جاء الفقر من النافذة هرب الحب من الباب فوراً»، أُكمل :



- كنت أعلم، لكن ما باليد حيلة، تركتها رغم عدم موافقة قلبي الضعيف علـى تقبل ذلك الأمر، لذا فعلتهـا وابتعدت، لم تفارقني في أحلامي قط، كنت أريد رؤيتها بشدة، لكن هاااا...إنه الماضي يا سادة.

إتسـعت ابتسـامتها أكثر وأكثر، تنظر لتلك الشـمطاء العجوز لتحني لها بالموافقة كأنها طرحت عليها سؤالاً خفياً، تنظر نحو بحب :

- هل تعلم من أنا؟

- ناردين لقد ذكرت اسمك منذ قليل!!

اتسعت ابتسامتها أكثر وهي تقول بمرح:

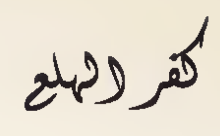
- أنا «صديقة محبوبتك السابقة»التي هرعت لتنجدك من وحدتك، أنا هي من تتحدث عنها يا عزيزي والتي اعترفتُ لها بحبك أثناء هروبنا (لابـد أن تتسـع عينـي مثل «يوسـف وهبه» في أشـهر مسـرحياته يا للهول)، معالم الدهشة تسرق وجهي، قلت بفرحة مصطنعة:

- حقاً هو أنتِ!!؟

أيتها اللعينة...

***


ساحر الكتب


كفر الهلع



لم تفارق ذهني « كلمة العجوز» حينما قالت لها:

ستضعين له هذا الدواء قبل الخضوع إلى يوم «الملحمة الكبرى» وحينها سوف يصبح قربانا مقبولاً لسيدة النجم الأزرق ...

تلك الكلمات ترن في أذني وتحدث ضجة هادئة.

إذن أنا عبارة عن «قربانًا»، سوف يضحوا به في عيدهم الكبير !!؟



تركوني وحيداً، كي «أنام وأهدأ»من صداع ذلك اليوم، مطمئنين من غبائي وسذاجتي إلى النهاية، ترى هل اجلس ساكناً!؟مشيت في الغرفة، باحثًا عن أي شيء لا أدري عنه شيئاً!!

أعشق طرق المغامرة، لا أنكر لقد أحببت ذلك الوضع، رغم رهبته ورعبه وقسوته، أشعر بأني سوف أصل إلى شيئًا لم تصل له الشرطة نفسها!!

قالوا لي «سوف نرحل من هنا، ما دمت تحب ناردين، سوف نقيم عرس صغير ولكن ليس هنا»، إنما تحت الأرض!؟بالطبع ابتسمت ووافقتهم، تلك مغامرة لم أكن أريد أن أحشر نفسي داخلها، ولكني فعلت رغمًا عني!!، الغرفة اللعينة لا يوجد بها سوى ديكورات ريفية بسيطة فقط، عبارة عن فراش وأريكة صغيرة وثلاث كراسي فقط، دولاب كبير لا يوجد داخله سوى محتويات صغيرة وملابس رثة تخص تلك الشمطاء أكاد أشمُ «رائحة عرقها المعطنة»التي ظلت سنوات ترتديهم دون غسيل، شعرت بإشمئزاز بالطبع!!!أين أنا ؟ كيف لا أعلم كم مدة سيرنا بالقطار!!كيف لم أحسب تلك المدة؟!قالت لي المجرمة «ناردين»:

«القطار ذهب مرة أخرى ، وعادَ ساكِنوه لا يدرون شيئاً عما حدث لهم»، ذهب القطار الأحمق وتركني، أهذا شعور «الخروف»عندما يترك وحيداً وهو يعلم أنه سيكون أضحية قادمة!!؟، نسيت أمر تلك النافذة الصغيرة، لقد جاء الفرج أخيراً، قمت بفتحها برفق، سوف أُنهي تلك



المغامرة الأن، سوف أهرب...مغطى من الخارج بشبكة حديدية صعبة الإختراق!!اللعنة، أغلقتها مثلما فتحتها وأسندت رأسي على الوسادة في غيظٍ، يجب أن أقنعهم أني «أحب ناردين»، تلك الفتاة عجيبة بحق!!أكاد أغرق في فهم الأنثى بسبب تلك الحمقاء، مريضة على ما يبدو ، ومرضها مميت، من هي سيدة النجم الأزرق؟وما هو يوم الملحمة العظيم؟ فيلم كارتون على ما يبدو!! لا أتعجب من شيئاً في تلك الدنيا، حتى لو ظهر لي «ديناصور»من النافذة يبتسم لي بأسنانه الكبيرة ويستأذن ليأكلني على العشاء، لا شيء يدهشني، أصبحت لا أندهش؟

الباب يطرق!

يا للرقة، كيف تطرقين الباب بعد كل هذه المزابح، بعد كل هؤلاء القتلى!؟كيف تجرأتي على تلك الابتسامة ولمسي في حنان!!؟

قلت :

- ادخل

تظهر العجوز وحدها!وذلك وحده كفيل بإرعابي وإهتزاز أوصالي، قلبي لا يستريح لها مطلقًا، أتت زاحفة على قدميها أو هكذا تصورتها، تحمل ابتسامة سمجة وهي تقول:

- هل أصبح جسدك على ما يرام؟

ما شأنك أيها العجوز، هل سأتزوجك!!؟هل أبلغتي أباكي الذى دفن حياً، وأمك التي أشعلت في جسدها النيران يوم أتت بكِ إلى الدنيا، قلت:



- على خير ما يرام، أشكرك جداً.

اقتربت مني، ابتعدت قليلاً عنها، ماذا تريدين!؟تريدين الجلوس بجواري!!؟تريدين أن تهمسي في أذني!!؟قالت:

- أملك لك سراً يا ولدي، سيكون بيني وبينك فقط اتفقنا؟

أخرجت من شيءٍ ما «لن أذكر من أين» لكنني تذكرت مشهد فيلم(لأحمد مكي وهو يجلس داخل سيارات الأجرة وإحدى السيدات تخرج له النقود وينظر لها باشمئزاز)، بالفعل من ذلك المكان، لن أذكر رائحتها في العموم عندما اقتربت مني و أخرجت «قطع من الذهب» ووضعتهم في يدي «التي أمسكتها بالطبع رغم النفور»، قائلة وكأنها تُحَمِلُني أمانة:

- ذلك مهرها، هي لا تعلم شيئاً عنه، حافظ عليها يا ولدي.

- المعذرة أود طرح سؤلا هام للغاية!!

- قل ما شئت.

- ما صلتك بها؟

- أنا جدتها.

لن أصدق ذلك الأمر، كيف لكِ بنسل بالغ الجمال مثلها!!؟لذا سأوافق وابتسم وأميئ برأسي، وأعطها أذني كي تكمل:

- لقد عانت بنيتي كثيراً في حياتها، وأريدك أن تنسها كل شيء، حاول أن تسعدها في حياتها، لقد قالت لي أنك أعترفت لها بحبك وذلك كفيل بصب كامل ثقتي بك؟

«هل لكِ أن تبتعدي عني قليلاً، فعيناكِ تنظر صوب عيناي تماماً أكاد أشك أنكِ تخترقي كياني بأكمله» ، لذ ابتعدتُ قليلاً عنها، وأنا أتأمل "كتلة الذهب المتنوعة"، ما بين عقد وسلسلة، تباً هناك سلسلة معقود بها خاتم لها ولي بالطبع، قلت لها :

- لم تنسي شيئًا، هناك خاتمان!

- أنا لا أنسى شيئًا يا ولدي، فها قد أخذت مباركتي على الزيجة.

لو كنتِ طبيعية لحمدت الله على وجودك، فكانت ستصبح حالة نادرة «جوازة لم أتكفل بحمل شراء الذهب لها»، هل لكِ بمنزلاً صغيراً يحملنا على حسابك بالطبع!؟، لو لم تكوني ساحرة بالطبع لكان الأمر مقبولاً، قلت لها وأنا لازلت انظر إلى الذهب :

- أين ناردين؟

تنظر نحوي بتعاطف ثم قالت:

- أوحشتك؟خلدت ونامت «و بكرة تمل منها» تمهل هاهاها ثم تركتني وذهبت، قائلاً :

- أتركك الأن يا ولدي، استعد سوف نذهب في الصباح.

- حسناً!



أغلقت «السلحفاة الزاحفة» الباب خلفها، انظر إلى سقف الحجرة في تفكير، أو ل شيء .. مهلاً!!

لم أذكر ذلك «الشيء» بعد، لقد كنت أرى شيئاً يتدلى منها!!، من جيب ما كان خفياً من جانبها الأيمن برز وهي تقترب من وجهي الشمطاءً لم تلاحظ هي ذلك الأمر، «سحبي للكيس المصنوع من قماش أسود اللون»، لنفتحه ونرى ما فيه، ما هذا؟

***



المرأة...

المرأة...

المرأة...



«تركيبة عجيبة»، قطع من أقدام طيور صغيرة «العصافير»، زيل فأر وريشة من أحد الدجاج بيضاء اللون، ملح طعام على ما يبدو، مسحوق أخضر، هذا هو المسحوق الذي وضعته بالحساء!؟هل هذه جمجمة وطواط أم فأر!؟ لا أدري، قطع من فتات أحجار غريبة التكوين والألوان، غرز داخلها ورقة صغيرة جداً جداً ، أحاول فتحها، اللعينات كيف كتبن مثل تلك الورقة الدقيقة؟!، هل هذا «الحجاب»مُعد لي!؟، بالطبع أيها الأبله ومن غيرك!!الورقة مكتوب بها شفرات عجيبة، يظهر بها العديد من النجوم الدقيقة والمثلثات، ماذا أفعل؟...أولاً عليَّ إحضار قلم جاف، باللون الأزرق، لتغيير معالم تلك الورقة الصغيرة، لا يوجد قلم هنا بالطبع!؟أخرجت من جيب بنطالي الخلفي، أنا «كاتب»ويجب أنا أحمل «سلاحي»أينما ذهبت، قلم بحجم عقلة الإصبع، يمكنني فرده حتى يليق بيدي ويتسم طوله مع ثمنه، أحضره لي أحد الأقارب من أوروبا، هكذا علمت فائدته، صنعت داخل النجوم «دوائر عجيبة»الصنع، وبهذا أبطلت مفعولها، أريد بعض الأتربة لدمجها في سرعة، استمع إلى أصوات قادمة «السلحفاة»أتية، أتت لتأخذ ما تركت تحت ذلك الفراش، أاااه، وجدتها.. جمعت بعض الأتربة في سرعة كانت تتجمع بالأسفل، تلك الشمطاء مهملة بحق، هناك «بلاطة مكسورة»، زحف النمل وحفر له مغارات إلى الداخل، أضع الرمال والأتربة بالداخل في سرعة، أضعها في «الكيس القماشي الأسود»، أربطه جيداً مثلما كان بذلك الخيط الأسود «خيط الحياكة



الشهير»أضعه برفق على «الكنبة»التي كنا نجلس فوقها، في المكان التي كانت تجلس عليه بالطبع، اجلس على الفراش، أتنفس ببطءٍ شديدٍ، عسى أن يظهر عليَّ معالم النوم، أصوات الأقدام توقفت خلفَ الباب، إنتابتني القشعريرة لسببٍ مجهولٍ، الباب يفتح برفق شديد للغاية، تتقدم بخفوت شعرت به ...أخذتُ اللفافة، ولازلت تقف، لا تفتحيها أرجوكي!؟خذيها واذهبي من هنا،

تتقدم نحوي، أخرج صوت من شفتي يعبر عن التعب والإرهاق وليس «أصوات أخرى نعلمها جميعاً»، أتخذت الجانب الأيسر وابتعد عنها، أتوقف عن تلحين ذلك الصوت البشع، ولازالت تقف متصلبة تراقبني، شعرت بها، تقدمت نحوي، شعرت بها...يبدو أنها تتأكد من رحيلي إلى أحد الأحلام الطويلة، وفجأة ابتعدت عني، ثم تلاشت رائحتها عن المكان وعن الغرفة حسبتها تبخرت، وأغلق الباب، لابد أن أبقى ثابتًا في مكاني ولا أتحرك، بضع دقائق، أخذت شهيقًا مريحًا..

ثم بالفعل ذهبت إلى الحلم، فلا داعي لفتح عيني وأنا انظر إلى سقف الحجرة أنا بالفعل متعب و في انتظار الغد ..الغد .

***

فتحت عيني في تكاسلٍ شديدٍ، استمع إلى طرقات خفيفة على الأبواب، هناك ثقل عجيبٍ يحاوط جمجمتي ، قلت:

– ادخل .



تقدمت «نادين»، أقصد «ناردين»، تحمل طبق به فطور طبيعي مكون من الجبن والفول المدمس وأقراص طعمية ساخنة، تقترب مني بهدوء قائلة:

- أحضرت لك الفطور بنفسي...

- ما كل هذا الرضا؟لولا إحساس أني «مخطوف»لحسدت نفسي كثيراً هاهاها.

جلست جواري بودٍ شديدٍ وهي تقول:

- سوف أفطر معك.

أتضور جوعاً لا أنكر !!، أخذت قرصًا من الطعمية الساخنة وأخذت ألوكه بفمي وقلت:

- وماذا بعد، أحضرتِني إلى هنا لسبب لاأعلمه، قمتي بعلاجي «بوصفة سحرية»وأحضرتي لي طعام الفطور، ماذا بعد ؟

تبتسم تلك البلهاء وفي رقة أعدت لي «لقيمة صغيرة»ووضعتها بفمي، ذكرتني بمشهد من مسرحية(عش المجانين وجورج سيدهم عندما دست زوجته البيض داخل فمه)، قالت:

- قلت لك من قبل أني قد لُعِنت، بعد أن دسست أنفي في أمور السحر، ولِكي تنفك العقدة يجب عليَّ أن أحب أحدهم، وقد وجدتك... الموضوع بسيط للغاية سنتزوج مساء اليوم.

- دون إذني!؟



تحني حاجبها في حزن قائلة :

- لقد أخذته منك قبل رحيلك من هناك أنسيت!؟

- ذلك لا يعني موافقتي على الأمر؟

تغير حاجباها إلى معالم «الغضب»وبنظرات صارمة قالت:

- هل كنت تكذب إذن؟

- المشاعر الحقيقة لا يقدر أحد على إخفائها بالطبع، ولكن الطريقة، أتحدث هنا عن طريقة جلبي إلى هنا، على كسر أضلع....

قاطعتني بنفاذ صبر :

- حسن لقد أعتذرت لك ماذا تريد أكثر من ذلك الأمر!؟

لاحظت «إحمرار البياض»، أقصد ذلك البياض الذي خلف «بؤرة عينها»في سرعة، لذ أخذت أتحدث بهدوء:

- حبيبتي لا تغضبي، كنت فقط أريد طريقة أرق من تلك، في كل الأحوال أنا موافق بالطبع.

تلاشى الإحمرار، وابتسمت عيونها الجميلة، ووجها بكامله أخذ رد الفعل، تلك الفتاة مريضة حقاً!!، ويبدو أني وقعت في شر أعمالي، يجب أن أتعامل معها بحذر شديد، قلت :

- هل أقراص الطعمية بها «وصفات سحرية»، أني أحبها كثيراً هاهاها.

- هل أعجبتك؟

- جداااا



قالـت الفتـاة فجأة، وهي تقترب من الفراش، سـحبت شـيئاً أسـفل «المخدة»التي كنت أنام فوقها، إنه ذلك «الكيس الأسود»اللعين، قالت بصرامة :

- اللعنة عليكِ يا جدتي!

يجب أن أُصعق من ذلك الأمر وأنا أقول:

- ماذا حدث؟ما هذا الشيء، أكنت نائم فوقه!؟

- أبداً جدتي مغموسـة في عقد «الأحجبة والأعمال السـفلية»وكانت تريد أن تتأكد فقط من حبك لي ، «امكسـت الحجاب ورفعته إتجاه وجهي»قلت لها أنك تحبني ومتأكدة من مشاعرك، الأمر لا يستحق حجـاب كي يوقـع بك في حبي، «فتحت الحجـاب أمامي ووضعته على يدها «ولا يستحق أيضاً وضع أتربة داخله» وفردت تلك الورقة الصغيرة للغاية ولا بتشويه ذلك «الطلسم»

اللعنة كشـفتني!؟ولكن كيـف فعلتها وعرفت بالأمـر بأكمله؟قلت لها:

- كيف علمتي؟

- الموضـوع لا يحتـاج إلى الـذكاء!، لقد تَرَكَتْه لك، وأعتقد بشـغفك المعهـود قمـت بفتحه، لقد جلسـت معـك وعرفتك جيـداً لا تقلق هاهاها، أخبرتني الجدة بفعلتها، وأنها قامت بوضعها على مخدتك، أخبرتها أنك بالتأكيد رأيت ذلك»الكيس الأسود»



- لا أنتِ ذكية فعلاً !

وأفعى حقيقية، وثعلباً تجسد على هيئة أنثى، خبيراً إستراتيجيًا تجسد على هيئة أنثى، لن أبالغ في تقدير ذكائك عزيزتي، عليَّ فقط إحترام ذكائك، وأوقن أن كل ما مر بديهي للغاية، لذا سوف «أغير الإستراتيجة» تماماً، سأجعلك تأخذيني كيفما شئتِ!، لن أعترض على شيء، سوف أذهب معك إلى باب الدار، «أضع الأكل بفمي وابتسم لها» ، تأكل كالأرانب...تنظر نحوي فأبتسم لها، أحاول تذكر إحدى «المكالمات التي كانت بيني وبينها»و كانت تسرد أحداث ووقائع لن أبالي بها، ولن أعطها كامل إهتمامي، كأنها تكتب مذاكرتها وتنثرها في الهواء، حينها كنت إنسانًا مجروحًا وحسب، فلا أبالي «بمهاترات»عن حياتك أو حياتها أو حياتهم، الأمر لم يأخذ مني بعض شهور ، حتى أعود إلى حالتي الطبيعية الرافضة لوجود أنثى بحياتي، حتى أتت هي، وأتى غيرها لا أنكر هذا، حتى أصبحت ذاكرتي ضعيفة، لا استطيع التمييز بين قصتها اللعينة وقصة غيرها، اخشى الوقوع في فخ التذكر فأقع في فخ أخر لا أدري فحواه، تقول :

- أتَذْكُر تلك الفتاة الغامضة التي أعدت لي تلك اللعنة ؟

امسكت جمجمتي مدعياً الألم والصداع، وقلت وأنا التفت إليها:

- لحظة واحدة.

- «أُغمض عيني وامسك رأسي»، قالت :

- ما بك بماذا تشعر؟



- صداع جاء فجأة، أكملي أكملي ما بها تلك الفتاة...؟؟

لا أذكرك من الأصل، حتى أذكر تلك الفتاة..أكملت هي بتلقائية:

- أخشى أن ترتعب لما سأقوله!!لكني وعدت الجدة أني لن أُخفى عنك شيئاً، سوف تَحضر زفافنا

- من؟

- الفتاة!

- لماذا!!؟

أشرقت عيونها من جديد واتسعت ابتسامتها :

- سوف تكون «قربانًا»لحفل الزفاف.

أحنيتُ حاجباي...كيف تستهوني بروح إنسانية يا فتاة، أين قلبك وروحك، قلت بضيق:

- وهل تأكدتي من فعلها لذلك الأمر؟

- ممم...لا لكنها كانت أكثر فتاة تكرهني وكانت ضمن «جروب الدفعة»من نظراتها حديثها، قسوتها كلما تعلقت بموضوع ما «الذي كان برفقتها وقع في حبي»وأنا بالطبع لم أقصد ذلك الأمر، أنا موقنة أنها هي، وستكون «قربانًا»مناسبًا لحفل زفافنا يا حبيبي .

لا تقولي حبيبي على لسانك أيتها الحية التي تتحرك على قدمين، تذكرت الأن...شككت بقواكي العقلية بالتأكيد، نعم الأن أتذكر بعض الأمور المتعلقة بكِ، كانت تشك في كل شخص تقع عليها عينها، كانت تعاني من الإضطهاد، كانت لا تشعر بوجود بشرٍ أنقياء، أسوياء، فكل



من هبط إلى البلاعة وفي المجاري ظن أن الجميع «رائحته قذرة»مثله، ها أكملي أيتها الجميلة، لا سوف أكمل أنا:

- وأين هي الفتاة؟

***

لا أطيق الانتظار معها داخل غرفة واحدة، لكن ما «باليد حيلة بالفعل»، ذهبنا إلى «غرفة العجوز»، فتحت دولابها الواسع، لابد من تدوين شئ بعد، وجدنا «جمجمة»بمنتصف الدولاب الكبير، أخبرتنا ببساطة مرعبة أنها تعود إلى «زوجها الخائن»، دخلت الغرفة ووجدته في أحضان فتاة لم تبلغ مطلع العشرين، توسل لها وأعترف بزواجه منها وأشهر الورقة أمامها، «التوسل في حد ذاته شيئًا مقذذ للرجال»، هل كان يعلم بأنها «ساحرة شمطاء»، ولماذا لا يخونها!؟المسكين تعب من كثرة النظر إلى وجهها الكئيب، فقرر أن ينقذ نفسه، على فراشها أيها الغبى...جمجمته بيضاء على ذلك الرف!!، تربت عليها بحنان يقشعر الجسد!!!، تقول العجوز قطعته إربًا، وهربت أجزاء جسده إلى هنا وهناك، لم تنسى «أسطورة ست القوي وقتله لأخيه أوزوريس وقام بتوزيع جثته في جميع الأنحاء»الجمجمة يبدو عليها ملامحها الذهول والريبة، رغم كونها جمجمة فقط، لا تريد الجمجمة أن تمسها الشمطاء، أتخيلها تنظر نحوي وتقول «أبعد الولية دي عني»(*).

(*) وطبقا للأسطورة أن ست القوي قتل أخاه أوزوريس الذي كان طيبا وعادلا بسبب الحسد، وقام بعد قتله بتوزيع أجزاء الجسم في أنحاء القطر المصري.



داخل الدولاب، هناك "باب سري خفي"، هبطنا للأسفل، تذكرت حينها بعض القصص عن الهبوط إلى أسفل الأرض لأحدهم (*) ووجد بالأسفل »الغولة والنداهة«وو....حِطانُه رطبة، اضاءت مشعل كبير وامسكته في يدها، وهي تجرنا خلفها، الفتاة تتمسك بيدى، وكلما توغلنا تزداد ضغط عليها، كإنما تخف، أسير مع الخوف نفسه أيتها المدعية!!، هنالك غرفة، أقصد باب صغير قلت وأنا أتوقف:

- ما هذه الغرفة ؟

تقول العجوز وهي تسير كأن كلامي لا يمثل لها أي شيئًا:

- سير ولا تلتفت لها.

- لا...أريد رؤية ما بها رجاءً.

تنفر العجوز، امكست المشعل، اتجهت نحو الباب بنفاذ صبر، أضاءت الغرفة الخالية من أي شئ، تباً!!فتاة معلقة من يديها، موثوقة الفم ما أن رأتنا، أصابها الجنون، تصرخ ولا تقدر وعينها لا تكف عن البكاء، كأنها ظلت طيلة الأيام الماضية تبكي، اقتربت منها في لهفة أمسكت ذلك المنديل الموضوع على فمها انفجرت صارخة :

وكانت إيزيس زوجة أوزوريس ، فقامت بجمع أجزاء جسده - ويعتبر ذلك أول عملية لتحنيط الموتى في التاريخ - وعاشرت جسم أوزوريس ، ثم أنجبت ولدا هو حورس الذي أراد أن ينتقم من عمه ست ويأخذ بثأر أبيه . لذلك يُسمى حورس أحيانا «حامي أبيه» أو «المنتقم لأبيه «. وفقد حورس في تلك المعركة عينه اليسرى . وتبوأ عرش مصر

(*) رواية السرب يمكنك مراجعتها



- أااااااااانقذذذذذذني من هنااااااااااااا، أرجوووووووووك، فتحة الهواء لا تكفي، أريد جرعة من الماء ها ها سوف أموت هنا، أريد جرعة ماء أررررررررررجوووك.

على أضواء المشعل الممسكة به العجوز انظر لهما، أراهم لا يكترثون لأمرها كثيراً، أقول بصرامة :

- لماذا ربطوها هكذا

- أحوال شد الأربطة الخلفية لها، امكستني الفتاة من ذراعي، ويا لها من قبضة، قبضة تَحْمِل الوعيد ، قبضة تحمل لقد تجاوزتي حدودك هنا، كتفي يؤلمني، قالت :

- دعها وهيا نذهب .

لا يعنيني ألم كتفي وأنا انظر لها وأقول بصرامة :

- لن أتركها هنا وحدها؟

- يا لحنانك، ماذا تريد منها، إنها تلك «الفتاة»التي حدثتك عنها، إنها تستحق ذلك الأمر، لذا دعها وهيا بنا.

انظر إلى الفتاة، متأثراً بها، قالت الفتاة خلفي:

- سنأتي ونجلب لها لا تقلق كثيراً بشأنها...

- أين الماء؟

الفتاة تبكي في حرارة، تستنجدني لإنقاذها، ولن أتركها هنا على أي حال، تقول «ناردين اللعينة»:

- لتأتي معنا وتجلب لها المياه.



- سأفك قيدها وتأتي معنا .

قالت العجوز بنفاذ صبر:

- لتأتي معنا نعطيكي الماء، المسـافة قريبـة جداً، على بُعد أربعة أمتار ، هيا يا ولدي.

انظر إلى الفتاة، أطمئنها بعيوني، سوف آتي لها بالماء حتى لو كلفني الأمر موتي سوف أفعلها، قالت الفتاة متوسلة:

- لا تتركني وحيدة، أرجوك .

تتمسـك «الحية»بيـدي، ونذهب وتركناهـا، بعدما اختفـى الضوء، سـرنا مسـافة لا أحسِـبُها، إلى أن وجدنا أمامنا بوابة «علـي بابا»ما يبدو بجانبه قبضة معدنية، أحنتها العجوز لأعلى وفتحت الباب، قالت الفتاة:

- حسناً الفتاة ستجد الماء.

أقول متسائلاً بلهفة :

- كيف هذا!؟؟

أغلقت الباب الشمطاء، وأغلقت المغارة المظلمة، قالت العجوز:

- فتحت صنبور المياه، والأن سـوف يغمر الممر الماء، الفتاة سـتجد الماء مثلما أرادت...

***



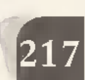
الفتاة تقول هل ستنقذني؟

الفتاة تبتسم!

الفتاة هرب منها الدمع ليحل مكانه ملامح الرضا...

لم أنسى شكل الفتاة مطلقاً...

ليتني أعرف...





أفلتت يدها وفتحت الأبواب وهَرَعَتُ مُسرعاً نحوها، بالمصادفة وجدت كشافًا كهربائيًا، وقع أرضاً قد غمره الماء، يبدو أنه يعمل تحت الماء أيضاً!، أسرعتُ نحوه، وأنا أقدامي ترتطم بالماء الغزير، السقف اللعين به عيون تزف الماء في سرعة عبر «بؤرة واسعة»، أين ذلك الباب، وجدته بالأخير، فتحته، الفتاة تنظر نحوي وقد إنتابها الأمل، أصارع المياه التي غمرت أقدامي، امكست القيد المتدلي من السقف، أحاول فكه، أقول للفتاة:

- هل يوجد معك شيئًا حاداً؟بسرعة

أماءت الفتاة بالنفي، وهي تنظر نحوي بإنبهار أو الأمل لا أدري!!، أحاول فك العقدة والمياه تتصارع وتغمر منتصف صدري فجأة لحسن حظها أنها معلقة بالأعلى، أفك القيود وأحاول أن أقول لها «لا تقلقي، لقد أوشكت، لقد أوشكت»، المياه غمرت وجهي أردد «أوشكت، لقد أوشكت» تلك الربطة معقودة جيداً بشكل مفزع، تخللت مشاعر الضعف في أوصالي، دب «الأدرينالين»في جسدي، أشد العقدة بكل قوتي، أحاول فك العقدة وأشدها، المياه غمرت وجهي، وأصبح بمنتصف وجهها، ألتفت رَفعت مقدمة رأسها، قلت لها «أحسنتي.. أحسنتي»، تنظر نحوي بذهول، تحول إلى معالم رضا وذهول، أحاول ولا أفلح، العقدة الأولى انفكت بعدما غمرها المياه، كتمت أنفاسي، والماء توقف، وتصاعد فوق وجوهنا نحن الإثنان، كتمت أنفاسي ، والفتاة توشك على تسليم روحها لبارئها، معالم الذهول إحتلت ملامحها، أحاول وأحاول، لو كان أسفل الماء صوت لسجلت صوتي



وأنا أقول صارخًا «لاااااااااااا..لن تموتي لااااااااا»، العقدة لن تنحل، والحل هو «الهروب بروحي»، قبل أن أُحَصّل الفتاة، أسبح نحو الباب، والتفت نحوها وأسلط الضوء نحوها، هل أراها تبتسم !!؟، اتركها وأسبح نحو الباب.

لا أقدر على كتم أنفاسي، ضغط المياه يوشك على تحطيم رئتاي، أسبح وقد انتهى الأكسجين تماماً، لابد من ولوج الباب، أدفع ذراعي إلى الأمام أكثر وأكثر، حتى وجدت الباب، الباب ينفتح، المياه ترميني أرضاً، وهو يغمر ذلك المكان، أحاول التقاط أنفاسي، انظر إلى السماء.

لقد نجوت..

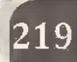
ورحلت الفتاة..

وجهها..

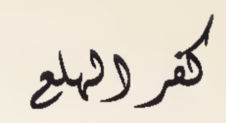
لن أنساه أبداً...

رصيدكم قد امتلأ وطفح الكيل، يظهران أمامي، وأغلقت الفتاة الباب، ينظران نحوي بعدم إكتراث.

***







الفتاة تقول «هل ستنقذني»؟

الفتاة تبتسم!؟



قبيلةمن النساء، يرتدن الأسود «جلابيب سوداء اللون «!يبلغ عددهم أربعون»تقريباً، قرية صغيرة ذهبنا إليها ليست بعيدة عن ذلك النفق المتشدق بالماء، قبيلة من النساء جلس بعضهم على أضواء الخشب الذي يحترق بشكل دائري، يسوون شيئًا صغيراً لا أدري ماهيته!!، يبدو كثعلب أو كلب لا أدري!!، أسير وداخلي بركان، أريد إنهاء كل شيء الأن، الصبر، تعلمت الصبر، لا أتفوه بجملة ونحن نسير، الفتاة ابتعدت عن يدى، وتركتني أسير حراً، وسارت كأن شيئًا لم يكن، كأنها اعتادت على قتل الأرواح منذ نعومة أظفارها، تقول شيئًا للعجوز ونحن نسير و تبتسم العجوز، وتبتسم هي بالأخير، أسير متجهم وأتذكر وجه تلك الفتاة البريئة الذي لا يفارقني، أرى وجهها قبل وبعد الموت، أرى معالم الذهول والخيبة، ملامح الأمل وانطفائها، اضغط على قبضتي، العجوز تقول:

– كيف حالك يا فلانة وكيف حالك يا فلانة...

تقول إحداهن :

– هل جاء الرجل؟

تميئ برأسها في فرح، يطلقون «زغرودة نسائية مشوهة»، قلت لها بصرامة ناردين :

– من هؤلاء النسوة؟

تبتسم وتقول :



- بشر طبيعيون؟

جززت على أسناني وأكرر الجملة:

- من هم حقاً؟

تنظر نحوي في براء ة ثم تقول:

- هـؤلاء اللاتـي «تخليّـنَ» عـن الأزواج والعائلة وأتخذوا مسـارهم بأنفسهم، أتخذو طريقًا خالي من الرجال، نساء فقط .

- ماذا يفعلن؟

- ممم، يمارسـون السـحر، «السحر الأسـود»، تلك قبيلة أجمعتهم فكرة ممارسة «السحر الأسود» فقط، وحينما نعلن العرس، ستنفك لعنتي وأصبح حرة، وأتخلى عن القبيلة أجمعها.

«طيبـة قـوى »، عـن أي عرس تتحدث، هـل رأتني قرداً يسـير وفي أحضانـه السلسـة الخاصة به، أم تراني خروفاً بالفعل مسـلوب الإرادة، لن أصدق من فمك المسمسـوم كلمة واحدة بعد الأن، وهؤلاء النسـاء لهـم قصـة أخرى لا أعلمها لماذا حاوطني الشـك!!، رأيـت امرأة تنظر لـي بشـكل غريـب وهـي تمسـك «حلة»وتضعهـا علـى قالـب النـار، وبادلني البعض نفس النظرة، السـؤال هنا، هل الجميع «يمارس السحر الأسـود»!؟؟أم أن بعضهـم «مغصوب»علـى تلك الفعلـة دون إرادته، سـيناريو محبـوك، أدرس تحركات الجسـد جيداً، هنـاك البعض منهم يرتدي «الأسـود»ونقش على جلابيبهم رسوم تقليدية مثل التي تتواجد



في «الموسكي والعتبة»، من حضروا العزاء لم يتحلوا بالصبر، فأتوا بأي شئ أسود اللون يناسب تلك الليلة، أرى سيدة، لا بل فتاة، لم تبلغ الخامسة والعشرون من العمر تحمل إناء تذهب إلى الدار، تنعتها صاحبة الدار من على الأبواب، وتشير إليها بالذهاب إلى منطقة أخرى، تذهب الفتاة في إستسلام إليها، تلمحني بنظرات خاطفة من الأسفل، قالت العجوز وهي تسير أو تزحف :

- النساء الصغار الأشقياء، حينما يلتقطوا أحد الشباب ويفتن به، نحضره إلى هنا، ونقم العرس، ثم تنفك لعنتها، ويذهبا إلى منزلهم، ولا تأتي إلينا هنا مرة أخرى.

أخرسي أيتها الأفعوانية ولا تتحدثي معي مطلقاً، أنتِ من أدرتي ذلك «الصنبور» وغمرتي المياه بالممر، أنتِ من قتل تلك الفتاة المكسينة، انظر إلى «ناردين»، ولا تنفك التهمة عنكِ عزيزتي، فما خفيَّ كان أعظم، ولا أجد تفسير لشخصك المصون، هل أنتِ مضطربة!؟؟أم أصابك المسّ!؟، أم بالفعل مريضة وتحتاجين إلى علاج داخل «مشفى العباسية»، داخل غرفة «الخطرون فقط»، ها توقفنا عن السير، انظر إليها، امسكها من ذراعها وأديرها نحوي وأقول بحزم:

أتذكرين عندما قلتي لي أنت لم تعش حياتي!؟، لم يصفعك أبيك وتضطر للعيش كاتمًا صوتك، كاتمًا صراخك، تريد الإحتماء خلف صوت حنون، الإحتماء خلف ظل رجل يقول لك أحبك!، أتذكرين تلك الكلمات؟



نظرت بدهشة، ثم قالت ببساطة:

- لا أتذكر، أه حسناً قلت تلك الكلمات، وتلك ليست حكايتي.

ثم أشارت إلى إحدى الفتيات التي كانت تجلس القرفصاء وتستند بظهرها على إحدى الأبواب:

- حكايتها.

استنكر وأقول:

- وحكاية الفتاة التي حبيبها أغتصباها!؟

- وجدت إحداهن قد بلغني بشكوى مماثلة، فقمت بالأداء الصحيح حتى أقنعتك.

- والفتاة المثقفة التي تعدني بفضحي أمام الجميع لتناقض شخصيات الأبطال مع شخصي.

- فتاة أخرى؟

- من أنتِ حقاً!!؟

تزيل يدي من على كتفها المصون، وتقول :

- أنا من قلت لها قبل نهاية الطريق أنك تحبها، أنا ذلك الخليط الذي راق لـكَ منذ البداية، أنا الفتاة الناعمة، والمثقفة وتلك الممرضة المضحية بدمائها من أجل الغرباء، وبالأخير أنا ساحرة ملعونة تود الخلاص من لعنتها.

ذهبت وتركتني اللعينة ...



تركتني، أما العجوز تُميئ برأسها في أسفٍ، كأنها تلومني تلك الشطماء، لقد توقفنا أمام قصر، قصر مُهيب الطَّلعة لا أنكر ، "الفتاة تحمل الأمل ثم يخبو وينطفئ، والماء يبلغ فمها». خيال الفتاة لا يفارقني ونحن ندخل بوابات القصر، يبدو عليه معالم القِدم، لم يدخله أحد سوانا، خيوط العنكبوت تنتشر على نبات الصبار الذي انتصب وحوله الأتربة خارج البوابة، الشيء الغريب هنا لم أكن أتخيل مطلقًا أن أكون في المكان، ومع ذلك الكم من الساحرت، عالم لا أطمح ببلوغه وأصبح «ماسخ»، البهو واسع، لا يوجد به شيء مميز، مجرد «فوتيه عريض»، مائدة سفرة ، وعَرش !!!ما هذا!؟كيف جاء إلى هنا، يبدو «ككرسي عَرش»، يتدلى الريش من خلفه، في انتظار أحدهم للجلوس فوقه، قالت الفتاة :

- سوف تذهبين به إلى أي غرفة إلى أن يأتى الموعد المحدد.

غمزتني العجوز، وقالت :

- تعالى خلفي، الفتاة تنظر إلى ذلك العرش بمزيد من الإشتياق، ابتعد عنها وأصعد على السلم الحلزوني القديم، وأراقبها، أعلم ما يدور هنا، وقد أدركت كل شيء حينما دلفت من باب الممر، صعدنا للطابق الأول، ذهبت السيدة تزحف كعادتها بقدمها الصغيرة، فتحت لي باب وقالت «ادخل هنا وحاول أن تنم قليلاً»، يوجد من ناحية اليمين حمامًا يمكنك أخذ دش دافئ وارتح يا بني ابتسمت لها بود مصطنع قائلاً:



- أشكرك.

دخلت الغرفة، وأغلقت الباب خلفي فوراً، انظر إلى الفراش الوثير، كجناح في فندق خمس نجوم على ما أعتقد، أنا متعب ومشهد الفتاة لا يفارق مخيلتي، «الدولاب الكبير» أحمل شغف لفتحه لسببٍ مجهولٍ، فتحت أول «درفة»، قمصان من كل الأشكال لرجل ليس بحجمي بالطبع، والأخر لرجل يصغرني بالتأكيد، وفتاة، ماذا!!؟ خرجت من الدولاب فتاة تمسك فمي وتقول بهمسٍ:

- لا تنطق وسوف أُطلعك على كل شيء

أبعدت يدها عن فمي و أنا أقول بضيقٍ:

- ماذا تفعلين هنا؟

- سوف أخبرك بكل شيء، اجلس واستمع لي .

***



يأتوا برجلٍ..

وسوف يكون قرباناً لتصبح هي «أميرة الساحرات»....





التي تدعى «ناردين»تكون ابنة العجوز، وجلبتها إلى هنا كي يتم عليها مراسم لتصلح «أميرة الساحرات» من بعدها، سوف تأتي إحداهن، مثل «الشيخ» و تتلو عليها مراسم، وحينها سوف تكون أنتَ «الأضحية»ومن بعدها ستموت، وسيحتل قرينك جسدك، قرين من الجن، ليكن خادماً لها، فعلت ذلك الأمر مع الكثير من الرجال، فعلتها دون أن يغمض لها جفن، هؤلاء بالأصل «قاتلات»قبل أن يكن «ساحرات»، أما تلك النساء، هم «زوجات الرجال»اللاتي قتلهن العجوز وابنتها، «وليست ساحرات» كما ادعت «ناردين»، جمعتهم تلك الليلة ليشهدوا على تلك المراسم، أحضرتهم إلى هنا، لتخبرهم أماكن أزوجاهم الراحلون بالأصل، من بينهم سيدات خطفت بناتهن، الجميع في انتظار ظهور شيئًا مبهم لا يوجد أصل مادي، فالأزاوج بعد قتلهم تحولوا إلى «غبار منثور»هؤلاء النسوة لا يعلمون شيئًا بالمرة عن ذلك الأمر ، كل ما كان يظنوه، تنفيذ تعليمات الفتاة فقط، كي يحلصون على أزواجهم المفقودين والفتيات الصغار هم أبناء الرجال الذين قُتِلوا ومن بينهم أبي. وأختي قد اختفت، علمت أنها داخل المغارة في الممر ولن تطلق سراحها إلا بعد «إتمام المراسم»، إنها أختي، لن تراها، فهي داخل غرفة بالممرر لن تراها، سوف تطرح عليَّ سؤال «وكيف علمتي كل هذا!؟»، كنت داخل القطار، بالفعل هو ذلك القطار الذي أتيت به إلى هنا، ورأيت كل شيء حدث لك، رأيتهم حاولوا قتلك، و «الأفعى»أنقذتك في أخر لحظة، دخلت إلى العربة ودست بالطعام «مادة سحرية» تجعلهم كالمشودهين، لا يطيعون سوى أوامرها فقط،



داخل تلك العربة فقط، بعد خروجك من النافذة وكسرك لها وفرارك، تجمعوا وتوحدوا، وجعلوا قائد القطار يوقفه، وريثما أخذتك تلك اللعينة، استعادوا وعيهم من جديد، وهرعوا داخل القطار، انصت إلى حديثهم من الخارج، خارج ذلك الدار التي قامت «بمداواتك» داخله، وسمعت خطتهم، سخروا منك كثيراً...وعليّ إخبارك بذلك الأمر، «لا يوجد ساحرات سوى ناردين والسيدة العجوز»، أما الباقون مجرد «خدم»، سينفذون كل ما تطلبه ليستعيدوا أزواجهم، لقد علمت أين ذلك الممر بعد حديثهم ولا أدري ماذا حدث معك، تسللت وكنت أول الداخلين، ذلك المصباح هل وجدته؟، الذي يعمل تحت الماء، يعود لي، سقط مني وتركته هناك عندما شعرت بالخوف، بحثت عن أختي ووجدت باب وكان مغلق جيداً، هرعت وأسرعت إلى القرية، لأحكي علي إحدى السيدات ما حدث لها وللباقون، لقد علمت كل شيء، علمت أيضاً أنك ستكون في تلك الغرفة، لذا ساعدني على إيجاد المفتاح لإنقاذ أختي.

***

انظر إليها، واتسعت عيني في دهشة وإرتباك وتوتر وحزن، هل كانت أختك؟لقد ماتت أمام عيني، كيف أخبركِ بالأمر ؟، قلت لها ببطء:

- أنتِ فتاة شجاعة.

- سوف أفعل أي شيء لإستعادة أختي، قد علمت بمدى كرهها لها منذ أيام الكلية، لن أدعها تؤذيها أبداً.



كيف أخبرها بالأمر؟!، شغفها على معرفة مكان أختها ورؤيتها مرة أخرى طاغ ومُلِحْ، أشعر نحوها بتعاطف كبير، وذلك الخبر سيكون شديد الوطّئ عليها بلا شك ستنهار، وأنا في حاجة لوجود شخص جواري للخلاص من الأفاعي سوف أغير مجرى الحوار لذا قلت لها :

- يجب علينا القضاء عليهم أولاً، على «الشمطاء وعلى ناردين»..

أخرجت من جيبها الأيسر «جوهرة»على ما يبدو ، وقالت بشغف :

- تلك الجوهرة سرقتها منهم، ستوضع بمنتصف العرش تمام ...

- كيف علمتي بذلك الأمر؟

ابتسمت في ذكاء، جميع النساء أغبياء أذكياء، وقالت :

- استمعت للعجوز وهي تقول لها، «أن تلك الجوهرة سوف تكلل المراسم»، تسللتُ من إحدى النوافذ، عندما كانا بغرفتك، واختطفتها، العجوز تعتقد الأن بوجودها في حقيبتها.

نحيت ما قالته جانباً و قلت لها بهدوء :

- أنا مستعد لتلك المراسم.

اتسعت بؤرة عينها في ذهول، وهي تنتصب واقفة، اتجهت إلى الدولاب الكبير، فَتَحَتْ الدُرف بأكملها وتشير إلى ذلك الكم من الملأ التي تراصت بعناية وقالت بحزم:

- هؤلاء أيضاً كانوا في انتظار المراسم، رجالاً بمختلف الأحجام والألوان وقعوا في حبها وهم الأن رحلوا إلى العالم الأخر «بإستنكار» يا هذا !



قلت لها :

- أنا معهم إلى النهاية.

- ستموت؛تلك الفتاة لا تعلم ماهية الحب كما قالت لك حقاً.

أخرجـت هاتفي، الذي كان ولحسـن الحظ ضد الماء، وإلا لفقدت الأمل تماماً، قلت لها :

- معكِ شاحن؟

قالت بكل إستنكار :

- أتمزح!قلت لك سيقتلوك.

- انظـري «وجهتُ شاشـة المحمول إليها»تبقى فقط عشـر شـرطات وينفصل عن العالم، أريد شاحن من فضلك.

ترمقنـي، تضرب يدهـا كفًا على كـف، كانت الفتاة ضعيفـة الوزن، ملامحمها مصرية أصيلة، تحمل عيون مثل البقرة كما يقولون، حاجبان كأنهما مرسـومان، أنف مسـتقيمة، شـعرها ناعم كالحرير، قد رأيته من أسـفل ذلك «الكاب الرجالي» قامت برتدائه ليحمسها ويدب فيها روح المغامرة، تي شـيرت عادي جـداً، وبنطال جينز تقليـدي، تقف أمامي، تتأملني بكل إسـتنكار وتقول في كينونتها «هل أنت حقيقى!!؟»، قالت بصرامة :

- أتعلم أنت مثلهم، مثل جميع معشـر الرجـال، تتهافتون على الأنثى السهلة فقط، وتفقدون النعمة بعيونكم التي لا يملأها سوى التراب.



أود اطفاءهـا وغلق فمها بخبر وفاة شـقيتها كإنتقام لحديثها الأخير، ولكنـي اصمـت، وانظر لهـا ولا أجيب، هي لا تفهم شـيئًا، لذا سـوف أتركها تُفَرّغ ما في جعبتها، وقلت ببساطة :

– أيمكنـكِ الجلوس؟أنـا لا أحـب التحـدث مـع الواقفيـن الذيـن يتحدوني.

بكل استنكار قالت :

– لن اجلس قبل أن أجد أختي؟

– مـن فضلك!، نحتاج إلى التركيز والهدوء قليلاً، لذا اجلسـيي لنتفق على خطة مناسبة للإطاحة بهم جميعاً.

تورد وجهها بالبكاء، لا تبكي أنتِ الأخرى، لن أضعف تلك المرة، لا أثـق بكِ بالمرة ولـي كامل الحق رغم إعترافـك بأنها أختك، لا ولن أثق؛فمـا رأيته كفيل بتدمير الثقة تجاه الأنثى تماماً، لكنني أسـتطيع تمييز البـكاء الحقيقي من التمثيل، يا لك من غبي، وكيف لم تسـتطع التفريق بين بكائها و «بكاءناردين»؟لا تثق بهم مطلقًا، وحينها تذكرت «مشـهد فيلم صعيدي في الجامعة الأمريكية لهنيدي عندما قال حريم لا يا علي، لو أبوكـ طلج امك ماتأمنلهاش يا علي».

***

– «أعطني تلك الجوهرة من فضلك».

بدهشة وقد أجمعت ملامح الاستنكار على وجهها وقالت :



- ماذا تريد منها؟

- سوف أعطها لحم...

وقفت وقالت بصوت مرتفع:

- لقد سحرت لك أنا أعلم هذا يقينًا.

كتمتُ فمها بيدي قائلاً :

- اخفضي صوتك ستخبريهم بوجودك هنا.

وهنا استمعنا إلى طرقات، كالمدافع تهب على الباب، وارتفع صوت العجوز الشمطاء قائلة:

- أفتح الباب فوراً.

نظرنا مذهولين إلى الباب، لا ندري ماذا نفعل، وكأن أحدهم قام بتثبيتنا، ويدي موضوعة على فمها، أسرعت بإخبارها أن تذهب إلى غرفة (ws) فوراً، ذهبت وتركت لي "الجهورة"، ذهبت إلى الباب، وأدارت المفتاح حتى لاقيت وجه العجوز الغاضب، دخلت اللعينة وتخطتني وفتحت الدولاب الكبير، وقالت :

- أين هي. قل لي أين هي ؟

اتجهت صوبها وقلت وأنا أخفى باب (ws) بظهري :

- على ماذا تبحثين أيتها العجوز!؟

- استمعت إلى صوت فتاة هنا، بدأتها بالخيانة يا رجل، ألم يعظك زوجي!!؟



قلت لها بصرامة:

- وما شأنكِ أنتِ!؟

تنظر نحوي، ولا أدري هل تحولت إلى شيطان بالفعل!؟هل وجهها يزداد في كرمشته!؟، هل تحولت بؤرة عينها للإحمرار الأن وهي تقول:

- أنت لا تدري ما هو عقاب الخائن!!

ورغم لحظات الخوف من تحولها الغريب، تماسكت وأنا أزداد صرامة أقول:

- قولي لي ما حدث وسوف أخبرك، كفى «شغل المخبرين هذا».

اتجهت نحو النافذة، ولحسن الحظ كنا «بالطابق الأول»ولتكن هيا النجدة إذن، اشير نحو النافذة:

- أطلت فتاة من هنا وقالت لي أنها وجدت تلك «أخرجت الجوهرة»، خذيها لا أعلم كنيتها !!!

تعجبت الشمطاء كثيراً، وحمدت الله أنها لم تعاود البحث عن الفتاة، بل كانت تنظر إلى الجوهرة وتنظر إلى، هل تقدرين قيمتي وقيمة الجوهرة أيتها العجوز، أم ماذا؟، آتت واختطفت الجوهرة، فتحت حقيبتها الصغيرة التي كانت تستكين بجانبها الأيسر، لم ألمحها مطلقًا، وقالت العجوز :

- أيها الحمقاء، لقد اختفت حقاً!! «تنظر بكل إهتمام نحوي»صِف لي تلك الفتاة.



ببساطة قلت :

- لا أدري فقط كانت بدينة قليلاً، لا تلوميها !! فقد سألتني عنكم أولاً وألقت نحوي بالجوهرة، هذا كل شيء.

أخـذت الجوهـرة وكأنها وجـدت ولدها، وهرعت تفـر من الغرفة وتسـرع، كأنهـا «ذو العشـرون ربيعاً»أغلقـت خلفهـا البـاب، وأخذت شهيقًا، وزفيراً، سمعت إلى صوت خلفي :

- هل أعطيتها الجوهرة!!؟، هل أعطيتها مفتاح موتنا أيها الأحمق؟

نظرت نحوها بصرامة :

- راقبـي ألفاظـك معي أيتها الفتـاة، إلى ذلك الحين لـن اجلس معكِ ونتفق على شيئًا؛متهورة ومتسرعة وذلك يعطل كل شيء.

- أريد أختي فقط، أريد إنقاذها.

انظـر لها بحزم، لـم ألبث أن لانـت ملامحي، بعدمـا تذكرتها وهي تنظـر إلى «شـقيقتها»، نظـرات الأمل التـي تحولت إلى الإنهيـار التام، والإستسلام التام للموت، تشبهها كثيراً، قلت بعد ثوانٍ من الشرود:

- أريد شحن هاتفي فرغ من الشحن.

امسكت بجبينها، تحاول البكاء، وتتماسك، أسرعت بقول:

- ذلك الهاتف سوف سوف ينقذنا لا تقلقي.

قالت بهدوءٍ حزينٍ:



- لا أملك واحداً «تحدث نفسها»، أختي عزيزتي حبيبتي، أين أنتِ، اشتقت إليكِ حبيبتي، سوف أجدك ، سوف أجدك.

ماذا كنت أفعل!؟، الأكسجين كاد ينفذ من رئتي ولا يوجد مفر، كان يجب أن أفر، كان يجب الخلاص منهن، ومعي الحل، سوف انتقم لأختك وللجميع، قلت لها:

- سوف تختفين هنا، لا أريد رؤيتك، سوف اهبط للأسفل، سوف يستدعوني بالتأكيد وحينما يتم المراسم، أوووه لا أدري، فقط لا أريدك هناك.

- وأختي، هل ستبحث عنها؟

- سوف أا...

من واجبي إخبارها بالأمر، ما أفعله لا يُجدي، أماطل فقط، لسببٍ مجهولٍ، قالت الفتاة :

- هل تُخفي شيئًا؟ ملامحك ليست طبيعية بالمرة حينما تأتي سيرة أختي!!، قل لي، هل حدث لها أمراً، هل عذبوها؟ قل لي وأرح قلبي يا هذا.

طرقات خفيفة على الأبواب تبعه صوتها، صوت ناردين الأفعى تقول :

- حبيبي هل أنت هنا؟



لا لست هنا، لقد غادرت وعدت إلى الزمالك، وأنا إالأن في المنزل أيتها الغبية!!تباً لسامجتك رغم جمالك قلت:

أه هنا.

لماذا أغلقت الباب من الداخل؟

أشرت إلى الفتاة أن تدخل غرفة «الراحة»، فتحت لها الباب وأحمل على شفتاي ابتسامة حسبتها بلهاء تليق بها، تقدمت إلى الغرفة، لفت يدها إلى الوراء مثل الفتيات التي تتمتع بالحياء وتقدمت إلى ادخل، جلست على الفراش، تقول بمرح :

حبيبي، يجب أن تستعد، الزفاف بعد ثلاث ساعات من الأن يجب أن تستريح.

تقدمت نحوها وأنا أحمل ابتسامة سمجه وأنا أقول:

عزيزتي، أريد معرفتك أكثر وأكثر، موضوع الزفاف هذا لا يليق، أشعر كأني قرد سقط في حمام السباحة ويشعر بالبلل، ألست أنا الرجل هنا!؟ يجب على أن استعد...

لقد أخبرتك من قبل لن تنفك لعنتي إلا بعد زواجي بكَ، وبعدها يمكنني أو يمكننا الإنفصال.

أرى أنكِ تفكري فيي ذاتك فقط!!!

أحببتني وقد أعترفت، واللعنة سوف تنحل عني لو تزوجت من يحبني، وعندما تنحل لن أهتم بذاتي فقط، بذاتي وذاتك يا عزيزي.



بالخطف، بترويع البشر، بأضلع مكسورة، وقدم تعرج، حللتي الأمر «بالطرق السحرية»، بعيداً عن رغبتي، تقبلت ذلك الأمر، حبي لكِ تقبلها عن رضا، لكن لا مزيد من قتل البشر من بعد اليوم، بعد حبي لكِ واعترافي لا مزيد بعد اليوم.

ليتني ما فعلتها!!، التهور والإندفاع من أهم عيوبي، وحينما أخرج من ذلك المأزق يجب عليَّ التحلي بالصبر الشديد في إتخاذ أي قرار يخص حياتي ومستقبلي ، تحديداً ، لو قررت ولوج إمرأة داخل حياتي، الحياة كالمعلمة فور إنتهاء الدرس الأول وتتأكد أنك قد استعبته تلاحقك بدرس أخر أكثر صعوبة وقسوة قلت لها وقد استعدت جزء كبير من رشدي، خصيصاً بعد تغير ملامحها، ملامح الصرامة ارتسمت على الحية فقلت:

أنا أحبك فعلاً عزيزتي، وأريد فقط إعطائك المزيد من الدروس حبيبتي.

لانت وتحلت بحنان الأنثى وهي تقول وتملس على الفراش كأنها تقيس مدى نعومته:

بعد الزفاف سوف أكون طوعك وملكك للأبد، لاااا تتعجل سوف أكون تلميذة مطيعة.

تبتسم في رقة، لم أعد أميزها، أهي حقيقة!؟أم مزيفة!؟، غريب ذلك الأمر قرأته، تحركات جسدها يعبر عن عدم الأكترات!!، بعد ذلك الكم من القتل!!!، كفتاة مدللة تبحث عن السعادة، ولا شيء يعكر صفوها



غيـر كلماتـي المعترضة!!التي لم تكترث لها بالطبـع، أُدرك هذا الأمر، مـن يهتـم لأمـرك ينتبه لك، ويسـلمك روحـه على طبق مـن فضة، لقد إعتـادت تنفيذ رغباتها فقـط، دون النظر إلى الأطـراف الأخرى، يكفي مهاترات لا أكترث لها وهي أيضاً.

انتصبت واقفة، تنظر لي بدلالٍ، يا إلهي، نحن بالفعل بمفردنا، تقترب منـي وبعيونها رغبـات لن أصرح بهـا، أصبحت بقربـي، ورائحة عطرها إلتهبت لها أنفي، أصبح وجهها المبتسم قرب وجهي، تقول هامسة:

اشتقت لك كثيراً.

ابتعدت بعـض الخطوات عنها، لأن حاجبها فـي إعتراض، اقتربت ولفـت ذراعهـا حول رقبتـي، لـن أُقَبِلـك كلا...كل الأمور تـؤدي إلى «شفتيها اللعينة»، نزعت ذراعها الملفوف حولي وأنا أقول بضيق:

أنسـيتي يا عزيزتي بعد الزفاف سـنكون وحدنـا؟؟، لا تتعجلي، بعد الزفاف.

قال وجهها بكل استنكار، معترض على رفضي لها:

لماذا كلما اقتربنا تبعدني عنك بكل تلك القسوة!؟؟ولم تتخلى عن قسوتك أبداً.

تلك ليسـت قسـوة عزيزتي، بل إنه الحرام، وأنا لن أفعل شـيئًا أندم عليه عزيزتي.

إنها مجرد قبلة.



ليست شرعية هاهاها.

لا استطيع وصف هيئتها، كيف لي برفض صارخة الجمال هذه!؟ كأنما تقول كيف ترفض «أميرة الساحرات» و «أميرة النساء»، كيف أيها الأحمق!!؟ تغيرت ملامحها المريضة للابتسامة قائلة:

كان ذلك إختباراً يا عزيزي، وقد نجحت فيه عن جدارة.

طفح الكيل منك أيتها الأفعى، سوف انتقم منك شر إنتقام:

هل لكِ بالخروج، أود أن أغمض عيني قليلاً قبل الزفاف.

حسناً.

وذهبت دون كلمة، كتلميذة أمرها معلمها بالمغاردة، وهرعت وأغلقت الباب خلفها، وها هي الأخرى تخرج ، تتقدم وتقول بهمسٍ :

لقد زدت في نظري.

لماذا!؟

رفضك لها جعلها تغضب وتذهب، حسبتك مثلهم حقاً أحييك.

قلت ببساطة :

لا يا عزيزتي لم أرد تقبيلها وأنتِ بالداخل تراقبينا من «خرم الباب» لا أحب المراقبة، ضفيني في قائمة هؤلاء الرجال فكلنا واحد كما تقولين.

استنكرت ..

تغضب ..

لا يعنيني كثيراً.

***



القلق والخوف يعتريني.

أتحلى بالثقة لا أنكر..

ما يقتلني حقاً،

وقوع ضحية أخرى ولا استطيع نجدتها مثل الأخرى !

صورة الفتاة وهي تنظر إليّ بكل أمل يعتريني.

صورة الفتاة تدفعني دفع للإنتقام.



قد بدأت المراسم بالفعل...

النسوة في المكان يرتدون الأسود كما هم، وعلى وجوههم تعابير القلق والترقب، فقد قالت تلك الحية سوف يعود رجالهم بعد إتمام المراسم، حلة رسمية سوداء أرتديتها، أمَرّت الفتاة أن تذوب وسط النساء المتواجدات بالحديقة، اتفقنا على إشارة ما وحينها سوف تفعل ما أريد، هاتفي انفصل عن العالم، ذلك لم يمنع تواجده داخل جيب بنطالي، هبطت إلى الأسفل، على درجات ذلك السلم العريض المهيب، رأيت تجمع بعض النسوة هنالك جوار العرش وهنالك شيئًا أخر يعتليه، هل قالب من الشعر يحتل مكان الوجه!!؟لا أقدر على وصفه، امرأة على ما يبدو!!اخفت وجهها بشعر أسود قاتم اللون، حتى لا تدرك أهو وجهها أم «قفاها».

فيلم رعب قديم شاهدته عدة مرات حتى مللت منه، ولا آبه كثيراً، كانت السيدة العجوز تجلس لها، مثل الأطفال الصغار الذين يمسكون الشموع الكبيرة جوار العروس، تحمل طاجن ما، يتصاعد منه أبخرة، مثل البخور حقاً، تقول للنسوة كلمات لا أفهمها، بل أسمعها حقاً.

أين عروستي يا سادة؟

هل ذهبت إلى الكوافير، أم أحضرت «جني كوافير»من العالم الأخر ليقم بالواجب دون حساب!!لا أبالي كثيراً وها أنا أتقدم نحوهم، بخطوات واثقة.



وجدت شيئًا أذهلني ..

بل انتشلني من قاع الثقة إلى قاع الخوف.

اللعنة....

***

قبل أن اهبط على الأدراج..

قبل خروجي من الغرفة من الأصل.

وبعد إرتداء الحلة السوداء!

تذكرتُ مشهداً غريباً.

حبيبتي القديمة ومشهد رقودها أمامي في تلك المشفى، «فاقدة للوعي»، امسك يدها بحنان، وأطبعتُ فوقها قبلة حارة، لا أتذكر هل بكيت؟كنت انظر لها واتمسك بيدها، كنت أقول لها كلمات محتفظ بها داخل ذاكرتي، كلما كنت أود قولها لأي محبوبة، تبدالني نفس شعور الحب، كنت بالفعل أحببتها أو لم أكن نظرت لها وقلت، حبيبتي، أعدك سوف تكون «ليلة زفافنا»مبهجبة بحق، سأكون في أبهى صورة، وأنا أرتدي حلتي، سوف أسير وأشق الصفوف نحوك، إلى تلك الأميرة، التي تخليت من أجلها عن باقي الفتيات، واخترتها هيٍ... هي فقط من ستملأ قلبي، وأكتفي بها، ألمس شعيراتها الناعمة، أقبل رأسها، أهمس في أذنها قائلاً ستكونين ملاك في ليلة الزفاف حبيبتي، فتحت عيونها، ولم استطع قرأتهم، لقد نطقت شفاها قبل عيونها قائلة، وأنا



أيضاً أحبك، كذبت!!هل كنت محروم من إحساس الحب يقيناً؟؟هل أعجبني ذلك الوضع المرعب؟؟بما فيه من أمور مفزعة، لا أدري!!

كنت امسك تلك الملعقة وأصب «الحساء» داخل فمها كالأطفال الصغار، وكأنها ابنتي، امسك يدها مساعدةً كي تقف على ذلك الجهاز مثلما قال الطبيب، كنت أراها طفلة تحبو أمن جديد تستشعر إحساس المشي على قدميها، اصبر وأنصحها دائمًا بالصبر .

كلما فعلت أمراً جيداً داخل المشفى، أقبلها في باطن كفها وأطبع قبلة على رأسها...

وخانت كل شيء !!! وفَرَتْ...وها أنا أرتدي الحلة تمثيلاً أمام غيرها، وغيرها فتاة لا تبالي كثيراً!!

الرجال مثلهم كمثل حبات «اللب»عندها تأخذ منهم الخلاصة ثم ترميهم في أقرب سلة مهملات؛يا للحظ!! هل ينجذب نحوي الفتيات المصابة بداء «الكبر والغرور»!؟

الأنثى بحياتي انتهى رصيدها، ولكن لن يدوم هذا إلى الأبد، لن أعيش حياتي دون أنثى، مهما توغلت داخل الحياة، ومهما إزدت تعمقًا وأخذت قرارات، بالنهاية تبرز أمامي نتيجة واحدة، و لم أتعلم شيئًا بالمرة!!لم أتعلم سوى الدرس الأهم في الحياة وهو «الدرس الثالث»، قبل الإستيعاب!!! «درس الألم»، خلف كل ألم، شيئًا جيداً، لا تنفر من ألمك مطلقًا، بل داويه بالتعلم، لا تترك الحصة بالمنتصف وتفر، لا تترك المركب وتغرق داخل البحار، فبعد الألم يأتي التماسك والثبات، وعدم



الإكتـراث، ولا تعطـي للحيـاة معنى وأهميـة، حتى لا تأكلـك مثل باقي «الطامعين»، كلما أدعيت عدم الإكتراث، سـوف تلهث خلفك، سـوف تعطيك ما تريد، لم أعد أهتم بشيء حقاً!!واستمتع بالمغامرة حقاً.

رغـم ختامهـا بالمـوت، مئات الموتـى، ذهبو ا سـريعًا إلـى العالم الأخـر، الحياة ما هي إلا «صباح ومسـاء»، لا جديـد يذكر ، و الحياة لا تسـتحق ذلك العناء وذلك الطمع، أنا لست أفضلهم، لا أهاب الموت، بـل أريد أن يكون لإسـمي قيمة حقيقة بعد الموت، أريد كشـف هؤلاء المسوخ أمام الجميع، لم يموت أحد أمامي سوى تلك الفتاة المسكينة، إبتلعتها المياه، وأحتضنتها إلى الأبد.

أعددت خطة مسبقاً...

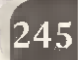
والكل سينال جزاءه.

وها أنا اهبط على الأدراج، وأرى شيئًا أفزعني من جديد!!!

رأيـت الفتاة معلقة من يديها، مثل شـقيقتها، وذلـك النصل يمتد نحو عنقها، العجوز تريد دماء من عنقها ينصب داخل ذلك الكأس التي تحمله بيدها اليسرى، توجه ذلك النصل الممتد إلى عنقها، الفتاة مكبلة من الفم، تريد الصراخ ولا تقدر ، لا مزيد من الموتى اليوم فقد أكتفيت حقاً.

***

- كفى، قلت كفى.





الفتاة تنظر لي مستنجدة، أتقدم نحو العجوز التي رمقتني بدهشة!!وكأني معتاد على تلك الأمور معهم!! أبعدتها عن الفتاة، حَمَلَتْ الكأس كأنه سيقع، وهي تنظر نحوي بدهشة وتنظر إلى الجالسة على العرش، ذلك الصنم المكسو بالشعر، السيدات المجبرات على التجمع هنا، ينظرون نحوي بخوف، وتوتر وترقب، أنزع عن الفتاة الكمامة، تقول :

- حمداً لله أنك جئت الحمد لله، كادوا يقتلوني !

قالت العجوز بغضب :

- أنت لا تدري ماذا فعلت يا هذا!!

أحاول فك قيد الفتاة، وكانت الأسهل، قبل أن يلتصق شيئًا بذراعي، شيئًا ثقيلاً «كقبضة رجل يفوقني في الحجم»، نظرتُ إلى يدي و يدها، ثم قذفتني بعيداً عن التجمع، الألم يعتريني، طرت لمسافة ٣ أمتار دفعة واحدة، إرتطمت بالحائط، انظر إليها، بألم فكانت «ناردين»!!؟التي رمتني بعيداً كانت ناردين اللعينة!!وقفت وقد استجمعت كل شجاعتي وأنا أقول وأتخلى عن ذلك الحذر :

- ماذا تظنين؟ هل سأوفقك على إراقة الدماء من جديد.

قالت ببساطة :

- لماذا تركتني أفعل بك ذلك الأمر؟لماذا يا حازم لماذا؟



أتقدم نحوها بصرامة رغم الألم، رغم شعور بأن ذراعي قد كُسر !، قلت :

- أتركي الفتاة وإلا؟

قالت بكل إستنكار مريض:

- هل اخترت الفتاة، أتحبنى أم تحب تلك الفتاة؟

كلماتها الجنونية الغير منتقية بالمرة!!هل هي تثق أني أحببتها فعلاً، أم تثق في جمالها إلى درجة أنها لا تستطتيع تصديق أني لا أُعيرها أدنى إهتمام، قلت لها وتحليت بالصبر والهدوء:

- أصبحتي قوية حقاً، تمسكين ذراعي وتقذفيني بعيداً، تحرضي العجوز على قتل الفتاة، أي نوع من البشر أنتِ!؟

قالت وقد انتشى وجهها بالثقة، ولفت ذراعيها حول صدرها في تحدٍ:

- هل تتراجع عن الأمر وتتخلى عني إذن؟

الألم ينتشلني، ولكني أتحلى بالتماسك، كلما ظننت أن تلك الفاتنة تمتلك تلك القوة، أسرعت العجوز قائلة وكأنها تَشْرُد :

- التراجع معناه أن يقتل كل الأفراد هنا ولن يتبق سوانا أنا وبنيتي.

انتبهت لها، لم يخيفني إختفاء حدقتها، ولا ازدياد طولها تلك القصيرة الزاحفة، حتى تعدت جمجتي، أصبحت أرفع رأسي لأراها،



وجهها إزداد في كرمشته وشحوبه قائلة وهي تتحول لشيئًا بشع لا يخيفني بالمرة :

- دم الفتاة، أنا في حاجة إليه، ولن يمنعني أحد.

الفتاة تحتمي خلفي، أبعدها عنها وعن أنظاراها، أقول لناردين بتوتر:

- ناردين !ماذا حدث؟ذلك لم يكن الإتفاق.

قالت ببساطة مميتة :

- لقد قلت لك مسبقًا نحتاج إلى «أضحية»، وبعد موت شقيقتها داخل الممر «سمعت أنين الفتاة خلفي تقول أختي أختي وتبكي»، لم يتبقى سوى شقيقتها، ونحن في حاجة ماسة لقتل شيئًا أكرهه، لذا أختها أتت من شيء أكرهه وبشدة، لم أمنعك بالمرة من إنقاذها داخل الممر، كنا نعلم بوجود أختها داخل المكان إذا كنت تعتقد نفسك ذكيًا، سمعت صوتها داخل حجرتك أيها الخائن، وتركتك معها، لأني أثق من حبك ليي،

تقدمت العجوز بخطوات ثقيلة نحونا، الوضع أصبح أسوأ مما توقعت، قلت لها وأنا أحمي الفتاة:

- عزيزتي قولي لها أن تتوقف، أريد إتمام الأمر، لكن دعي الفتاة ترحل من هنا من فضلك.

نظرت لها ناردين، توقفت العجوز عن التقدم وقالت ناردين:



- أريـدك أن تتقدم من سـيدة النجوم التي تعتلـي ذلك العرش، وتقول لها ما سأطلبه منك، وحينها سوف أطلق سراح الفتاة.

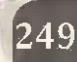
هـل هـذا هـو الوقـت المناسـب؟رفعت إحـدى السـيدات داخـل الصفوف صوتها عاليًا قائلة:

- أسـتصمتون لهـا!؟، أسـتتركوها تقتل رجلاً شـاباً فـي مقتبل العمر مثله؟

نظرت لهـا ناردين، تحولت أعينها لكتل من النـار، تباً!!كنت أعتقد أن ذلـك الأمر يحدث في الأفلام الأجنبية فقط!، لم أتوقع رؤيته أمامي واقع، يجب أن أعترف به، تقدمت نحوها السيدة، قالت بكل صرامة :

- أين زوجي أيتها الفتاة؟قولي لي أين زوجي؟

***





ثانى أهم مشهد لن استطيع إزالته من ذاكرتي مطلقًا، لا أنا ولا الفتاة التي كانت ترتكز خلفي، ولا هؤلاء السيدات، اتسعت أعيننا جميعًا بلا إستثناء، صراخ ثـم صراخ، ولم أكن من ضمـن الصارخين بالطبع!لقد إحترقـت السـيدة فوراً ودون صـراخ أو أدنى يعبر عـن الألم!!!هذا هو المـوت المنتظـر الذي يأمل بـه الجميع، موت دون ألـم!!لا أعتقد أنها تألمت!!كانـت حية ومنذ أن تقدمت لصفـع ناردين حتى إحترقت، وما



قـد لامس وجه ناردين سـوى غبارها المحترق، ذلـك تهديد واضح لنا جميعًا!!مـن يعتـرض يحترق و في جـزء من الثانية. السـيدات تصرخ، ومنهـن من أخذت فـي «اللطم»ولا تتوقف، نحيـب، الفتاة خلفي، وقد اختفى سـبب وجودها هنا، «رحيل أختها»، موضوعة بين شقيّ الرحى، مـا تبقـى منها سـوى روحهـا فقط، تبكـي ولا أعلـم هل تبكـي لرحيل شـقيقتها أم لرحيلها بعد لحظات!؟هل شـعرت بأن النهاية تقترب منها رويداً رويداً، قالت ناردين وأعينها لازلت مشتعلة :

- من يعصني سيلقي جزاءه.

قُلت بغضب هادر :

- أخرجي النساء من هنا أيتها الأفعى .

وجهت نحوي أعينها النارية، قائلة في سخرية :

- ماذا سوف تفعل يا عزيزي؟

أخرجـت من جيبـي الجوهـرة، فزعت العجـوز العملاقـة، أما هي إنطفئ لهيب أعينها، وعادت لطبيعتها وقالت:

- أعطني تلك الجوهرة حالاً.

- لا.

الجميـع رأى العجـوز تعـود إلـى حجمهـا الطبيعي وتفتـش داخل حقيبتها عن الجوهرة، عسى أن تكون ما معي مجرد تقليداً لها، صرخت العجوز وقالت «السارق .. السارق»، قالت ناردين :



- لا تعلم سر قة تلك الجوهرة، أعدها إليّ يا حازم.

حينما وجدت العجوز تتقدم بكأسها نحو عنق الفتاة، بخدعة تعلمتها منذ الصغر، «خدعة اللصوص التقليدية»، وضعت يدي بخفة داخل حقيبتها، وأبعدتها عن الفتاة، قالت العجوز بنظرات الكره المطلة من أعينها :

- لابد من إتمام المراسم أيها الابله، وإلا لن تعود ناردين إلى حالتها الطبيعية.

أود أن انفجر ضاحكاً، هل أنتم مجانين؟ما تلك الثقة العمياء التي أوصلتكم بأني أذوب في حب تلك الأفعى فلتذهب ناردين وأنتِ إلى الجحيم، قلت :

- أااةة نسيت شيئًا، هل توقعتم أن أقع داخل تلك الشبكة المُعِدة بإتقان، بعد فراري من داخل تلك القرية المسماه «بكفر الهلع»ووقوعي في حبها أو خُيل لي ذلك الأمر!!لقد وضعت لي حجابًا سحريًا داخل جيب بنطالي بخفة تحسد عليها، على هيئة «كارت»موضوع عليه علامة «القلب الوردى» ، أخرجته ووضعته بغرفتي كديكور هيئته جذابة للناظرين، جاء أحد الأصدقاء القدامى، ورأها وقال لي ثقةً أن ذلك «الكارت»عمل من «السحر الاسود»لا يمكن فكه، يجعلك تقع في حب إحدى الفتيات، تُرى من هي ومن غيرك أيتها الحية؟؟وذلك ما حدث عزيزتي، لقد خُيل لي أني أحببتك، أتيتي لي عبر الأحلام وكذا..وكذا وبعد محاولتي لتمزيق ذلك الكارت



بكل السبل ولم أفلح، أحرقته وانتهت تلك اللعنة، لا شيء يأتي بالإجبار عزيزتي، من الأصل لم تروقي لي!

قالت هي :

- لقد أحببتك أنا.

- فلتذهبي إلى أقرب بالوعة واغمدي رأسك داخلها، فهي الوحيدة التي تُقَدِر قذارتك.

وهنا، هنا فقط، وقفت «صاحبة الرأس المشعرة»، لقد أغضبناها كثيراً، ارتعدت الفتاة، ارتعدت ناردين، قالت لي بصوت خافت:

- أنت لا تدري ماذا فعلت؟

لا أكترث لكلماتها، بل شد انتباهي ما فعلته المكسوة بشعر رأسه، مدت يدها كأنما هي أحد المتسولين تطالب الموجودين بالنقود فوراً، قالت ناردين بصوتها الخافت:

- تريد الجوهرة الأن، وإن لم تعطها لها سيموت الكثيرون هنا، رأيت قوتي الممنوحة منها، وقد رأيت السيدة تحترق في ثوانٍ، وقوة «سيدة النجوم»أقوى وأقصى مما تتخيل.

تكهرب الجو فجاة، ورمت الكره في ملعبي، هل أعطها لها وأفقد نقاط القوة؟ قالت ناردين بصوت متحشرج:

- هي الملكة، «ملكة الساحرات»أيها الأبله، إن لم تقتلك سوف تلعنك بلعنة لن تفارقك أبداً لو كتب لك النجاة، أعطها لها .



أتخـذت قراراً أخيراً، تركت الفتاة التي كانت في ظهري، وأعطيتها إماءة تحمل الأمان والإطمئنان، ثم خطوت نحو سلم العرش، والجميع متقرب، انظر خلفي بغته، أين السـيدة العجوز الشـمطاء اللعينة، اطمئن عليهـا فقط، وأعود إلى السـيدة صاحبـة الأوجه، ويدهـا مازلت ممتدة أمامهـا، فـي إصرار، أنـا لا أهابِـك بالمرة مثلمـا يهابوكي أيتهـا ال...، فقط علمت أنك صاحبة المولد بأكمله، وإتمام المراسـم لن يتم سـوى بحضـورك، وأنك معلمة الأجيال وتلك المدرسـة الكبيـرة، وحصلتي علـى منصب المديرة عن جـدارة، لا أدري ما هو شـكلك، بالتأكيد هو مفـزع مخيف، وضعت الجوهرة في جيـب بنطالي الأيمن، لذا أدخلت يدي في جيب بنطالي الأيسر، وأخرجت شيئًا لم يستوعبه الحاضرون، أخرجـت «نصل»، وفي سـرعة، طعنتها فـي قلبها، صرخـت، وطارت شـعيراتها ورأيت وجههـا المخيف، تلك الصرخـة كالعاصفة اقتلعتني مـن جوارها، وطارت ووقعت فوق السـيدات، ونظري لا يحول عنها، تصرخ ثم تصرخ، ناردين هي الأخرى تصرخ ويذوب وجهها الجميل، كأنه تعرض لموجه شـديدة الحـرارة، ذاب وجهها مثـل الأفلام تماماً، حتـى ظهـرت جمجمتها البيضـاء فقـط!!! وأختفت معالـم اللحم من وجههـا تماماً وتلـك المرة أراه أمـام عيني، أختفت العجـوز ولا أدري أيـن ذهبت، سـقطت التي كانـت تجلس فـوق العرش وهنـا وهنا فقط أتوا الأغبياء، صديقي اللعين، قال وهو ممسـك بمسدسـه الذي حسبته طفولي وقال:



- فليثبت الجميع بموضعه ولا يتحرك، أين حازم؟

مُرتمي في أحضان النسوة من أثر تلك الرمية البشعة، لقد وجدت رذاذ أتى من فمها اللعين، بَعَثَر كيان تلك البدلة الجميلة، قلت:

- أنا هنا.

أحاول النهوض، وأسرع هو يحاول مساعدتي الألم ينتشلني من أرض الواقع، لا ليست غيبوبة أخرى أكثر عمقاً من السابقين، صديقي «مجدي» الذي كان ينصحني بالسفر ، والذي قصصت على مسامعه ذلك الأمر ولم يقتنع، رجل شرطة ذكي، أعددنا خطة للإيقاع بها، «خالت عليها» بقتل تلك السيدة التي كانت تعتلي العرش.

- «أحضروا كرسي ».

الجنود يملأون القصر، السيدة العجوز اختفت ولا أدري أين ذهبت، قلت له:

- مجدي هنالك سيدة عجوز قد فرت قبل قدومك إلى هنا، آمر الرجال بالبحث عنها فوراً تلك الشمطاء خطيرة .

قال هو ويحاول تهدأتي:

- أهدأ أنت فقط وسنقوم بدورنا، ماذا فعلت!؟

- انظر..

توجه كل المتواجدين إلى تلك الظاهرة...



"ناردين"...تعاود بناء وجهها، الجميع رأى ذلك المشهد، تُجمع العروق من جديد، العينان تبرزان من جديد، لقد أعادت تكوين نفسها من جديد بعدما أصبحت هيكلاً عظميًا خاويًا من الروح ومن كل شيء، وما إن أكتمل وجهها، لم تتحرك من مكانها، بل نامت!!!أمر «مجدي»بوضع قيود في يديها، أما السيدة التي كانت تعتلي العرش فما تبقى منها شعيرات فقط!!!، بالفعل تركت شعرها وتبخرت، ولا يوجد دليل واحد على إرتكابي «لجريمة قتل»، من يقتل شعراً لا يحمل رائحة الجسد!؟، فلنعد إلى البداية فقد مللت وأكاد أفقد الوعي..



قال صديقي أن تلك الفتاة الملقبة ب «ناردين»وضعت لك حجابًا خاصًا،

يجعلك تقع في حبها!!

لقد كانت لي سوابق في مواضيع السحر والسحرة من قبل،

وإحساسي يقول أن تلك الفتاة ستعود إليك مجدداً، وأن الأمر لم ينتهي بعد!

وعلى كل حالٍ أنا معك..لو لعب الفأر بصدرك قل فوراً، فوراً....





أُرسلت لي رسالة من «أمين مكتبة» ما «بأسوان» عبر صفحتي على «فيس بوك»، يخبرني بطلبهم لإقامة حفل توقيع بمناسبة «رواياتي الجديدة»، وأنهم في انتظاري على أحر من الجمر، تلاعب الشك بي طويلاً، بحثت عن اسم تلك المكتبة ولم أجدها مطلقاً، مكتبة تدعى «ناران»، اسم ساذج جداً، لم أبالي به كثيراً، فوراً وبعد مرور أيام، وبعد زيارة صديقي، وأخبرته بالأمر، قال لي فوراً اذهب إلى هناك، واستجم هناك، ويمكن أخذ إجازة من الكتابة، ووضع رأسي على الوسادة بعيداً عن منزلي هذا، أبلغته بالأمر، وأن هناك مكتبة بأسوان تريد حضوري هناك، وقلت له شكي بالأمر، وبعد بحث مُضني، لم نجد لتلك المكتبة أي وجود، ولا أي سجل من الأصل، الأمر المدهش أني قمت بمراسلة ذلك الأمين، «أمين المكتبة الوهمية»بالطبع!!، وقلت له حدد لي ميعاد مناسب للسفر، ودون مناقشة أرسل لي تذاكر القطار، وقال لي أنه في انتظاري مع الجميع، أرسلت بطلب صديقي ووضعت أمامه تذاكر القطار، وأصريت على عدم الذهاب، قال لي إطمئن، سوف نقوم بتأمينك جيداً، أعطاني «أربعة أجهزة» صغار للغاية، منهم بالطبع جهاز التتبع الشرطي الجديد، يوضع أسفل ساعة اليد، والثلاث الباقيين كاميرات مراقبة شديدة الإتقان والصغر، وضعت أحدهم على سور ذلك السلم العريض للقصر، وجوار ذلك العرش، وبذلك الممر المؤدي لغرفتي، كل شيء معد مسبقاً، فور ولوجي لذلك القطار، قمت بمهاتفة صديقي قائلاً بغضب:



- فكرتك اللعينة سوف تودي بحياتي أنا أعلم هذا.
- لا تنزعج يا صديقي حاول أن تستمتع فقط، لو صارت الأمور على خير ما يرام لن نخسر شيء.

بعد هجوم هؤلاء القوم حاملين السكاكين الحادة وهمو بالاقتراب منى، اسرعت نحو غرفتى ، واخبرته بالامر ، قال لي أن أبلغ المسؤلين، ولن يستطيع إنقاذي من الوضع الحالي ، أخبرني أن أكسر النافذة وأنا ألقي نفسي خارجها ، فتحت حقيبتي ، وأخذت كاميرات المراقبة ووضعت سريعاً «جهاز التتبع» أسفل ساعة يدي وهممت بكسر النافذة ، وبعد تكسير أضلعي ، وذهابي إلي هناك ، لم تلاحظ «ناردين ولا السيدة العجوز» أن هاتفي قام بتسجيل جميع احاديثهم الجنونية عن الزواج واللعنة وحب ناردين ، سايرتهم وأقنعتهم بالأمر ، قال لي «مجدي» لو شعرت بالخطر على حياتك ، أخبرنا بالأمر ، لم استطيع مهاتفته بالطبع فمقتل الفتاة حدث أسرع مما أتخيل ، ولم يكن الأمر يتحمل الأتصال بالشرطة ، أسرعت أنا وفشلت ، وداخل غرفتي في كبد ذلك القصر ، حاولت التخلص من الفتاة ، عسى أن تصبح واحدة منهن فيضيع كل شيء ، وفور إصراري على أن تهبط في سلام وتنتظر إشاراتي وتكون مطيعة ، كنت أحمل خطة ما ، كنت أريد «تصويرهم» وهم يقومون «بتعويذاتهم السحرية» ، وقبل أن تقع الجريمة سوف أمنعها بالصراخ والإعتراض ، أخبرت أن يأتي ويجلب الشرطة معه قبل



أن اهبط على الدرجات ، فكل ما حدث بعدها لم يكن ضمن الخطة ، السيدة المسكينة التي تحولت إلى غبار أسود ، وو ...

جاءت الشرطة في وقتٍ متأخر كعادتها !!

وها هم يحملون «ناردين» بعد أن كبلوها بعدة أساور ، كانت نائمة تمامًا ، حذرتهم منها كثيراً، فالشرطة لا تعلم شيئًا عن «إنهاء حياة الساحرات» ، فقد علمت مسبقاً ، تنتهي حياتهم بالحرق وهم أحياء ، وذلك ما تستحقه ناردين ! وبعد رؤيتي لها وهي تتنفس ببطئ كالأطفال .

هؤلاء النسوة أخبرتهم بذلك الخبر المأسوي بمقتل أزواجهم .

حزن وحسرة ... ولولوه ...!!

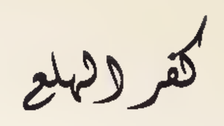
اصطبغ كل شيء باللون الأحمر القاتم .

ذهبت إلى منزلي مرة أخرى ، ولا يعلم النوم طريقه إلى عيني .

***







ذهبت إلى منزلي أخيراً بعد عناء وبعد مغامرة لن تنسى أبداً !.

ولن تمحى من ذاكرتي مطلقاً .

شاهدت أناس تموت أمام عيني

الفتاة لازلت أذكر وجهها داخل الماء ...

السيدة التي تحولت إلى غبار ،

قتلي لساحرة النجوم تلك..

كل شيء سوف يترك أثره .

–



- «حازم ما بك».

على إحدى «الكافيتريات العريقة»بمدينة «المعادي»، وعلى ضفاف النيل، كنت شـاحب الوجه جالس برفقة زميلتـي «كاتبة مثلي»، تغوص داخلي كثيراً كلما جلسـنا سـويًا معاً، وفضحت أمري وقلت لها ما أَكّنْ وما أُخفي، طلبتها وها نحن جلسنا سوياً، تدعى «ريم»، وها هي تمارس دور»طبيبة نفسية»تحاول لم شتات أمري وهي تعيد سؤالها :

- شارد الذهن، لم تنطق بكلمة واحدة منذ دخولنا هنا!!تنظر إلى النيل وتصمت، ما بك قل لي؟

أقول لها بهدوء :

- لا استطيع نسيان «الفتاة»، ولا أقدر على نسيان ذلك الكم من الدماء.

قالت بهدوء:

- لا أنت قوي للغاية وستتجاوز تلك المحنة قريبًا.
- لا أعتقد.
- لا بـل أنـا أثـق في ذلـك الأمر، تلـك المشـاهد أعلم جيـداً أنك لن تستطيع نسيانها بسهولة، عندي لك إقتراح مذهل.
- ما هو؟
- فلتسافر اذهب إلى الساحل مثلا أو مدينة الأسكندرية.
- هههههههههه هههههههههـه هههههههههـه ههههههههههههه ههههههههه .



ابتسمت رغم عنها وقالت :

- هههههههههه أنت تضحك، وهذا جيد جيد.

- أعتقد أني أصبت «بلعنة السفر»، وفكرة السفر في حد ذاتها مرعبة حقاً.

- لما!، الأمر انتهى وذهب إلى حاله، الفتاة قد تم سجنها، عبر «زنزانة حديدية»سجن إنفرادي داخل إحدى المشفيات للعلاج النفسي.

- الفتاة قد ماتت بالفعل، والجميع شاهد إعادة تكوين جسدها مرة أخرى، حقاً لا أدري!!وما داخلها شيطانٍ ما!، لا أدري ماهيته، الفتاة بالأصل ميتة، لا أدري!

اقتربت من يدي، ورتبت عليها قائلة:

- فلتكون ميتة إذن، أمرها قد انتهى، وهي الأن خرجت من نطاقك وأصبحت بيدهم هم، أخبرتهم بكل شيءٍ، وأخذوا حذرهم .

- لقد شاهدها الجميع وهي نائمة و...لا أدري!

نفرت من كل شيء، حتى منها، لا أحد يقدر على الولوج داخلي واستيعاب ما داخلي!، داخلي بركان لا يهدأ.قلت لها:

- والسيدة العجوز اختفت ولم تعد!!

قالت بهدوء مستفز:

- الشرطة قالت لك وأكدت للجميع أنها قد ذابت واختفت وذلك هو أكبر دليل على جبنها وخوفها منكم، لن تقدر على مواجهتكم فلماذا الخوف إذن؟



قلت بعد زفير كان طويلاً بعض الشيء:

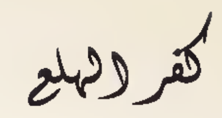
- لا أدري، لا أدري شيء بالمرة، قلبي لا يطمئنني مطلقاً، وعقلي يقول أن الأمر لم ينتهي بعد!!أيام مضت أحاول مسح الأحداث برمتها، القتل، تلك الفتاة التي غرقت وأنا أحاول إنقاذها، لقد حاولت ولم أفلح، «دس السكين» داخل تلك الساحرة، ولم يبتقى منها سوى شعيراتها، كأنها «باروكة للشعر»، السيدة التي إشتعلت أمام عيني، صراخ النساء و....

- كفى كفى، جميع الأمور السيئة ستذهب ولن تعود، اهدأ وحاول أن تتناسى، فكر بك ومستقبلك، فكر برواياتك القادمة.

أَشّرُد بعيداً عنها...رواياتي القادمة!، الناس سيتقبلون رواية مرعبة؟الأحداث برمتها داخلي تود أن تنفجر ويتصاعد لهيبها، فقد انتهى لقائنا على كل حال مع «الزميلة»التي حاولت دفعي معنوياً بكل السبل، وبث داخل طاقات إيجابية تُشكر عليها، وسار كل شيء طبيعي، رأيت أناس طبيعين، وعدت إلى الحياة الروتينة، وعدت إلى الكتاب من جديد، لقد انتهى الأمر كما قالت.

امسكت "اللاب توب" وبيدي أوراق الرواية، نويت تكملة الكتابة عبره، يدي أصبحت تتألم كثيراً من امساك القلم تلك الأونة، قام إصبعي بدس الكلمات الكثيرة، من المواقف المرعبة، من المشاعر المختلطة لحظة!!! لقد نسيت ذلك الشيء تلك «الجوهرة».





الفتاة تنظر نحوي بأمل...

ثم تنهار ...



الساعة اقتربت للثالثة فجراً، أقف في الفراندا..

أتأمـل تلك الجوهـرة، جوهرة، تلتمـع مثلها مثل غيرهـا!، ما الذي يميـزك، ما الفرق بينك وبيـن الجواهر الأخرى، امسـك الهاتف بيدي الأخرى، أقوم بالبحث عن رقم صديقي، ها هو ذا، أجابني بودٍ صادقٍ:

- حازم، كيف حالك، منذ تلك الواقعة ولم اسمع صوتك.

- اشـتقت لك يا صديقي حقاً، أعذرني تلـك الأحداث التي تعرضت لها لم أتحملها، لكني أحاول تجاوزها.

- ستتجاوزها يا صديقى أنا أعلم ذلك الأمر .

قلت في سرعة :

- كيف حالها؟ كيف حال «ناردين»؟

قال صديقي بمرح:

- هل اشتقت لها؟ها ها ها .

لازلت أتأمل تلك الجوهرة وأنا أجيب:

- لا أنكر، اشتقت لها حقاً، حتي أني لا استطيع النوم.

- أووووة حقـاً هي بارعـة الجمال، لنتخطى ذلك الأمر، حبيسـة داخل «زنزانـة حديديـة»، المراقبـون يقولون أنهـا لا تتحرك كثيـراً، كالتي استسملت لوضعها الحالي!

- لا إنهـا تمثل، أنا ومن خبرتي معها تدبر لامر ما لا أعلمه، لكن قلبي لا يطمئن!



صمــت صديقي، يبدو أنه يخفي شـيئًا خلف ظهـره في الحديث، لا تخفي شيئًا قل لي ما الأمر قلت:

- مجـدي، أرى أنـك تخبـئ شـيئًا بالـغ الخطورة أنـا أعرفـك عندما تصمت، تخفي مصيبة!

قال وبعد تردد كبير :

- سوف أقول لك خبراً، غير مصرح لي بقوله، ولكني سأفعل.

اللعنة، توهج قلبي بخفقان شـديد تلك المرة، والقلق والتوتر عرفوا طريقهم نحوي أخيراً بعد فترات من النقاهة، أحاول تأجيل الأشياء التي تزعجني، قلت بتوتر:

- كنت أعلم أنك تخفي شيئًا.

- لو أخبرت أحد بشـيءٍ سوف تتسبب بضرر كبير لي، أنصحك فقط، والأمر بالنسبة لك لا يتغير، ولا يضرك بشيءٍ كن مطمئنًا!

- قل لي تباً لك!

***



صديقي يتحدث ...

بعدها قدمت كل التقارير إلى العدالة، وأخذنا إجراء نقلها فوراً لإحدى المشفيات للأمراض العقلية، داخل قسم الحالات الخطرة والخاصة، وما حدث كان مرعبًا، أحد الجنود اتشحت بؤرة عيناه بالبياض، وضرب زملائه، حتى مات أحدهم فور وصوله إلى المشفى، كان ثائراً غاضبًا، يضرب في الجنود بكل غل وغضب وثورة، سيطرنا عليه، وأدخلناه الزنزانة المنفردة، لم يلبث أن أخذ العدوى باقي الزملاء، يقتلون في بعضهم البعض في نهم، وبنفس الأسلوب الممتلئ بالغل والحقد وكأنهم تَرَبّوا داخل قفص الأسود، قلت ومن البديهي أنها السبب فيما هذا، تقدمت نحوها، وجدتها جالسة تأكل بهدوء تام، تحدث إليها عبر فوه ذلك الباب الحديدي وقلت لها:

- هلا انتهيتى؟، ألن تكفي عن لعب الاطفال هذا؟

قالت بصوت فتاة طبيعية متسائلة:

- هل حدث شيئًا ؟

- لا تتغابي يا فتاة؟أنتِ سيطرتي على هؤلاء الجنود، الجميع أعترفوا أنهم فاقدي الوعي، وأنهم لا يعلمون شيئًا بقتلهم لزملائهم أيتها التعسة.

تنظر نحوي ثم تبتسم، وهي تضع الطعام في فمها قائلة:



- حقـاً ذلك الأمر!!، لا أعلم عنه شـيئًا، أنا بالداخل وأنتم بالخارج ما أدراني!!

ضربت البوابة بيدي قائلاً بغضب:

- لو لم تتوقفي عن فعل تلك الأشياء فسوف أغامر بقتلك فوراً!

ضحكت وكأني أطلقت نكتة سطحية على مسامعها!، قالت :

- لا أدري سـببًا لغضبك، لماذا تقتلني؟ألديك دليلاً واحداً ضدي؟لم أكن أنا أيها الضابط الهمام، فلتبحث عن صاحب تلك الأفعال.

- رأيتـك جمجمـة فارغـة، مـاذا حـدث لكِ؟وكيـف عدتي حيـة مرة أخرى؟

أحنت حاجبها في دهشـة، ولا أنكر تلك الفتاة طاعنة الجمال بحق، قالت:

- لا أذكـر شـيئًا، فقد اسـتيقظت وجدتني هنا، لا اسـتطيع إفادتك، لا أملـك أدنى قـوة وبكل صراحـة، فلتبحث عن الفاعـل إذن، ودعني وشأني.

بـدت صادقة ولكني أغلقت نافذة باب زنزانتها، وأمرت الحرس أن يشددوا على تلك الزنزانة، هذا كل شيء

دارت كلمـات صديقـي داخل عقلي، وابحث عـن كلمات، يمكنها إفادته، لكن حقاً شعور الخوف بدأ يتسلل من أسفل قدمي، حتى تفاعل له شعيرات رأسي!، قلت له:



- تلك الفتاة تكذب، هي مَن وراء تلك الأحداث، وسوف تنكر..أنت لا تعلـم قدراتهـا مطلقاً يا مجدي ، قادرة على فعل أي شـيء تعتبره أنت مستحيل.

قال بضيق:

- حازم الفتاة كانت صادقة، أتينا بطبيبة نفسية إختبرت رد فعلها، قالت أنها تعاني من مرض نفسـي لكنهـا صادقة، ليس هي من وراء عملية قتل الجنود.

انتصبت واقفًا، وأمام السور وضعت يدي الأخرى بقوة وقلت:

- من وراء تلك الأحداث؟من؟

أشـعر بوجود شـيء خلفي !!! ولكـن لا أبالي، الريـاح تأتي من أي مكان.

قال صديقي" لا يدري ما هو ذلك الشـخص"!!ولا أدري فالخوف يشملني، لقد أتى صوت من خلفي تماماً يقول :

"أنا".

***

ناردين!!!

وقفت مبتسمة، مرتدية الزي العصري لفتيات ذلك اليوم، من بنطال جينز أزرق اللون، وتي شيرت أبيض اللون، وجهها أبيض مشع كعادته، نظرت لها بصرامة وقلت لها:



- هل تظني أنكِ وبإقتحامك منزلي سوف أخاف وارتعد!أنتِ واهمة عزيزتي؟

قالت ببساطة :

- لن نتحدث واقفين هنا!

جَلَسَت على أقرب كرسي مطل على الفراندنا، تقول :

- ألن تجلس؟

وبنظرات صارمة لا تتغير أحضرت كرسي ، وجلست بعيداً عنها، اقول :

- هاتي ما عندك ؟.
- لقد أفسدت ذلك اليوم، لماذا فعلت كل هذا؟

ارتبكت قدمي قليلاً وأنا أحاول تثبيت وجهي بزاويتها، شعور الرعب انتابني وأنا أفكر، كيف أتت والباب مغلق، هل جاءت طائرة!!؟، كيف أتت تلك الحية إلى هنا!؟

نحيت شعور الخوف التوتر وعدم المنتقية تماماً لقد أصبحنا في زمن كل شيء يصدق ولا عجب من أمراً مهما إزدادت غرابته، وأنا أوجه لها حديث صارم :

- كيف هربتي من ذلك السجن قولي لي؟
- عيبك الوحيد أنك متعجل، صفات الأطفال؟
- هل انتظر عبثاً جديداً هنا؟



نفرت وقالت بنفاذ صبر :

- حسن أيها المتعجل، «أحنت حاجبها في ذكاء غريب» سوف أعلمك بكل شيء، ولكن أولاً، قل لي أنك لم تضع تلك الجوهرة؟

ابتسمت رغمًا عن وأنا أقول:

- أها قولي لي إذن أنك أتيتي من أجلها، وليس لأنك اشتقت إليّ؟

- كلاكما!

- ههههههههه حقاً.

قالت بإهتمام شديد وبهمس وهي تقترب بوجهها أكثر وكأن هناك شخص ثالث بيننا:

- الزنزانة سوف يقتحمها أحدهم الأن!، وسوف ينهيى حياة من بداخلها!

لقد زاد مرضك كثيراً حبيبتي!، أنت من هربتي وجئتي إلى هنا، ولا أدري كيف، بإستخدام قوة سحرية «السحر الأسود»، إستحضار الجن، كل تلك الأشياء تصنع المعجزات والأعاجيب فقلت ببساطة :

- ولن يجدو بها شيئًا عزيزتي!، أو يمكنهم رؤية جن على هيئة إنسانة تشبهك!!؟و لم أعد أتعجب من شيء.

ابتسمت قائلة :

- معك حق، لقد تلاعبت بك كثيراً، وأي حرف سوف يخرج من شفتي لن تصدقة بالمرة، تعتقد بأني إنسانة مريضة، وصدقت في



ظنك!!، بالفعل أنا مريضة، وأكره عائلتي كثيراً، فأنت «كاتب»، يمكنك التعمق داخل الشخصيات المركبة، ولم تقدر الدخول وإقتحام شخصيتي، فالتي كانت معك منذ ركوبك سيارات الأجرة «المشروع»الفتاة الرقيقة مرهفة الحس التي تطالبك أن تصبح إنسان متحضر معها و «المثقفة بزيادة»وإلى نهاية الطريق والخروج من طريق «الهلع» كوم، والأحداث المتلاحقة بعدها!، ودخولك القطار وعبورك القرى وتكسير أضلعك وظهوري مع السيدة العجوز بشخصية قوية أدعت أنها تحبك، إلى أن انهيت كل شيء وسرقت الجوهرة «كوم أخر»، أنا لا أحب أحداً ولا أعرف أن أحب!!وهذا ما أيقنت منه بالفعل، أنا أقدر على تقمص أي شخصية، ويغلب عليَّ حب السيطرة التامة، أشفقت عليك كثيراً، لم أغفر لك إنهاء حياة «سيدة النجوم»، كان يمكن للأمران ينتهيان وأتوقف عن ملاحقتك وأدعك تعيش في سلام. احتفاظك بتلك الجوهرة أعادني للإنتقام، الإنتقام وليس شيئًا غيره؟

قلت في استنكار :

- لا افهم حديثك، ماذا تقصدين؟
- نحن شقيقتان أيها الغبي، إحدى الشقيقات نوت الإنتقام من أختها، أحضرتها إلى «كفر الهلع»كنت أنوى الخلاص منها، كنت أود تقديمها كقربان ولكنك خربت كل شيء أيها الابله.

***



شقيقتان!!!

يا لغبائي...





كيف تم الأمر !؟

لا أفهم شيئًا بالمرة...

ماذا حدث؟

هل يصل الغِل الأُسرى لذلك الأمر؟

كيف تنتقم من شقيقتها بتلك الفعلة الشنعاء، تقول اللعينة أنها بدلت أختها حينما كنا مع القتلة، ونحن نفر، وعند أول توقف لم التفت لها، وفي تلك اللحظة «أخفت ناردين» شقيقتها «نادين»، لم ألاحظ وأنا أحاول أن أفر معها، المسكينة بالفعل كانت خائفة، كان كل ما حدث لي معها حقيقًا، لم تَدَعِي الخوف، لم تخطط لكل هذا العبث، كانت بالفعل بريئة، لكنها لم تذكر أن لها شقيقة تطابقها في الشبه إلى حدٍ كبير جدااا، لأنها هربت من بطش أبيها، ولَعَنَتْهُم إلى الأبد، كانت «المتمردة ناردين»، لم تذكرها لأنها كانت تعتقد بوفاة شقيقتها مثلما أخبرتها أمها، لقد هربت «ناردين» إلى هؤلاء القوم، المتحررين من كل القيود، إلى أن وصلت إلى طريق السحر ، هكذا اتضح لي الأمر بأكمله، ويصبح كل شيء منطقي؛السؤال هنا «كيف أدخلت شقيقتها السجن بدلاً منها»، اجابتني الحية، «بالسحر الأسود»، أخرجت نفسها وأدخلت شقيتها التي تستعد الأن للقتل عن طريق جندي قامت بالتحكم بمقاليده، وها هو الأن يدخل زنزانتها وسوف يدس السكين داخل قلبها.

هرعت أطلب مجدي فوراً، وأمرته أن يوقف ذلك الجندى فوراً، قالي لي بعدها، وجدوه بالفعل، وكاد ينهي حياة المسكينة، كانت وفي



تلك اللحظات، تجلس «ناردين» تضع ساقاً فوق ساق، اجلس أمامها وأراقبها وها نحن نبدأ حديثاً جديداً، بعد إنقاذ حياة شقيقتها، قالت ناردين:

- ها قد أنقذت حبيبتك .

- شقيقتك.

- بعد إنقاذها، لا تعتقد أنها وبذلك الأمر قد نجت، ما دمت أنا على قيد الحياة ستظل حياتها تحت التهديد يا عزيزي، فمن الأصلح أن تعطني الجوهرة، وسينتهي كل شيء.

- أين الضمان؟

- عن أي ضمان تتحدث؟

- ضمان أنكِ لن تتعرضي لها، ولن تقتربي مني مرة أخرى، ولن تخترقي حدودي مرة أخرى!

ابتسمت ابتسامة لا تُريح، وهي تقول:

- يا لك من رجل بخيل، ألن تحضر لي فنجانًا من القهوة، فجلستي سوف تطول كثيراً هنا.

- عزيزتي سوف ترحلين من هنا، شئتي أم أبيتي.

- حادث صغير أودى بحياة كاتب شهير داخل منزله.

- لا أقبل هذا التهديد، وتعلمين أني لا أهابك بالمرة.

قالت ببساطة مرعبة:



- لا تختـار موتـك، أنت لا تعلم مقدار قوتي بعـد، ولا تدعني أجربها معـك، فقـراءك يحتاجونـك، وتذكر أنا لسـت «نادين»و لسـت فتاة رقيقـة المشـاعر ومرهفـة، فلا أتهاون عن سـفك الدمـاء وفوراً ولا أُخفي عليك لقد أدمنت ذلك الأمر.

أراقبها في صمت، أتفحصهـا جيداً، هناك فروق واضحة بينها وبين شـقيقتها، العيـون ضيقة بعض الشـيء، فتحات مناخرها أوسـع بنسـبة بسـيطة عن نادين، تُطَابِقها في الوجـه الأبيض والعيون متعددة الألوان، كتفهـا عريض بنسـبة طَفيفة عـن نادين، تلـك العين لم تشـعر بالخوف مطلقـاً، بـل تجد من الخوف متعة، وتريد المزيـد ، أما نادين فترتعد من الصرصور، لا تنطق.

وهـي الأن متحفـزة لردي ومتأهبة لردة فعلـي القادمة، يبدو أن تلك الجوهـرة بالغـة الأهميـة بالفعـل، ويمكنني مـن خلالها تغييـر مجرى الأحـداث، لا أدري كيـف اسـتخدمها لكنـي سـأفعل، قلت لهـا بحذر هادئ:

- يمكننا عقد إتفاقاً.

- موافقة.

ابتسمت وأكملت :

- أخرجـي «نادين»مـن المحبس وسـوف أخـرج لكِ الجوهـرة آمنه، أعتقد أن ذلك الإتفاق منصف؟



قالت ساخرة :

- سوف أعطيك إتفاق جيد تلك المرة، أتركك على قيد الحياة في سبيل إعطائي الجوهرة، ما رأيك؟

تعجبت من ذلك الأمر وقلت:

- أوصلَ بكِ كره شقيقتك إلى ذلك الحد!؟هذه شقيقتك التي أود إنقذاها ألا تدركين!؟

- قلت لك مسبقاً، أنا لا أشعر مثلكم، لا أتمتع بالحس المرهف تجاة الآخرين، لا أنتمي إلى عائلة ولا قطيع، وها أنا أعيدها على مسامعك مرة أخرى لعلها تثبت داخل جمجمتك، آخذ القصص من الأخرين، يتعاطف لها البشر المساكين هذا كل شيء، قصتي الحقيقة قلتها من قبل، تركت منزلي وانطلقت في طريق الحرية الشخصية، تعملت فنون «السحر والأطماع» مللت الملذات بعد إدمانها، كل شيء مر أمام عيني حتى أصبح تقليدي، السحر طريق لم يخضع له الجبناء، السحر طريق مختصر يمكنه إيصالك بسهولة نحو السيطرة الكاملة، لا أمتلك نقطة ضعف، لو امسكت أبي وقررت ذبحه لن أمنع ذلك الحدث!!، سأشاهده بنهم، لو امسكت عائلتي وحبيبي وحبستهم داخل قارب وقررت إغراقه، سوف أشاهد تلك المأساة من البر الأخر ، وسوف أصفق مثل الأطفال الصغار ، بالمناسبة تلك العجوز كانت جدتي، وبعد فرارها مثل الفئران، وجدتها وقمت بحرقها حية، على سبيل إثابت القوة، أنا



الأن وحيدة، يمكنني تسليط قطيع من القطط نحو المنزل، ينهشوك في قسوة ، أو قطيع من الكلاب الضالة الجائعة التي تسير الأن في الشوارع التي تبحث عن «الطُعم» الملقى أرضاً، سوف أجلعهم يأتون ويهرولون، ولن يقدر عليهم أحداً، أااة ترى ما حال الأسود في حديقة الحيوان!؟ يقدم لهم الحارس الطعام يتخطوه ويمزقونه تمزيقاً، ثم يفرون ويأتون إلى هنا باحثين عنك أنت اختر لك ميتة مناسبة.

***



رنين كلماتها يدب في أذني وهي تقول تلك العجوز كانت جدتي،

وبعد فرارها مثل الفئران،

وجَدتُها وقمت بحرقها حية.

لقد أعطتني تلك الأفعى الحل الأمثل لإنهاء حياتها.



جـرس الباب يرن ويتصاعـد، بعد تهديدها الأخيـر، فرصة لإلتقاط أنفاسـي، السـاعة اقتربـت علـى الثالثة من فجـر ذلك اليـوم، من يطرق الأبواب في ذلك التوقيت، من أنقذني منها، قلت بصوتٍ عالٍ :

- من على الباب!

أحنـت حاجبهـا وأنـا أقول لـه بنبـرة ذكرتني بنبـرة «إسـماعيل يس عندما استضاف اللص بمنزله وتوسل إليه أن يدعي أنه رئيس المباحث ودخلـت زوجـة خاله وخلعـت حذاءهـا وقالت وهي تصـوب حذائها صوب رأسه دون مبرر مش هضرب غير ده ده ده «

أطالبها بأن تختفي في أي ركن لكنها تأبى وترفض، قلت لها:

- يمكـن أن يكون أحد الجيـران وأنا أدعهم يدخلـون إلى منزلي، من فضلك يمكنك الإختباء في أي غرفة من فضلك.

ترفض ذلك الأمر، وهي تضع إحدى قدميها على الأخرى، وتتركني اذهب لفتح الباب، أرى من «العين السـحرية» ، ولا أدري لماذا سموها بذلـك الإسـم!؟، إنه مجـدي، كيف أتى ذلـك المنقذ إلـى هنا، هرعت افتح له الباب في نهم ، كان وجهه مصاب بالوجوم، لقد دعوته للدخول إلى منزلي وقمت بإحتضانه مثل الشـقيق الذي أتى من السفر أنا أهمس داخل أذنه «إنها بالداخل، جارني فيما سـأفعل»، أغلقت الباب، امسكه وهـو ينظـر نحـوي بصرامة، و يخرج رأسـه منـه، اللعنـة !!، كل هؤلاء الجنود بالخارج!، كيف علمتم بالأمر؟



أغلق الباب صديقي وهو يقول:

- صديقي الوغد الذي يرفض رؤيتي، ها قد أتيت لرؤيتك.

تقـدم هـو دون إذن إلى «الفرادنا»، انتبهـت له»ناردين»، ولم تتحرك إطلاقًا، فقال صديقي:

- مرحباً.

تقدمت وتخطيته أحضرت كرسي وقلت له:

- اجلس اشتقت لك كثيراً.

قال صديقي في دهشة:

- صديقتك لا تتحدث!!

قلت أنا في سرعة:

- لم تعتاد محادثة الغرباء.

قال هو بنبرة ساخرة موجه حديثه إليها :

- كيف هذا الأمر ، نحن أشقاء، أنا وحازم أشقاء منذ الصغر، لا يوجد فرق بيني وبينه مطلقاً.

قالت باستنكار :

- وما شأني بذلك الأمر.

ينظر نحوها ويتفصحها جيداً ثم مط شفتيه قائلاً:

- ألم نتقابل!؟، أشعر أني قد رأيتك.

أبعدت وجهها عنه وقالت:



- لا أعتقد.

قال صديقي بنبرة مسرحية:

- اللعنة أنتِ تشبهين فتاة وضعتها بيدي داخل المحبس وأقسم الجميع على أنها مريضة وتمارس «السحر الأسود».

أسرعت أنا قائلاً:

- يخلق من الشبه أربعين يا «أخي».

ينظر نحوي بنظرات نفاذ الصبر، وابتسامة مجاملة متسائلة ماذا تفعل اصمت، قال مجدي:

- غريب ذلك الشبه، أنتِ تشبهيها إلى حد التطابق.

نظرت إليه بكل تحدٍ، قَطَعْت تلك الشرارة، وقلت في سرعة:

- سأذهب لأعد الشاي «موجهاً لها السؤال» هل تشربي الشاي بسكر زيادة؟

لم تجاوب وهي ترمقني بصرامة، قلت وأنا ذاهب:

- حسناً قد علمت.

أعطيتهم ظهري وذهبت، وجدت خلف الباب المفتوح لبرهة قليلة جندي معه شيء أعلمه جيداً، تباً!! زجاجة «مولوتف»!!، دخلت المطبخ في توتر، وأتسائل في اطمئنان بعدما أعطيته زمام الأمور ما القادم؟وضعت داخل البراد الحراري الماء، وأنا أضعه مرة أخرى كي يسخن، أحضر الأكواب، وأضعها أمامي، استمع لشيءٍ يتحرك، ولا



أتحـرك من مكاني، هناك شـغب يحـدث، هل دخـل الجنود!؟وجدت أقـدام تعبـث في صالتي، أقدام كثيـرة تدب، لا أكترث وأنـا أصب الماء الساخن داخل الأكواب، استمع إلى أصوات وصراخ، فأقوم بغلق الباب هنالك صرخات، هل أشم رائحة ستائر تحترق!؟أم هو لحم محترق!؟

افتـح البـاب وأتوقـف، أرى الجنـود تجمعـوا نحـو شـيء يحتـرق ويصـرخ، إنهـا هـي، تحتـرق كيـف فعلتوهـا أيهـا الأبطال!!؟ضربت الجنود، وأطاحت بهم، رأيتها وهي تشتعل وجلدها يحترق، وقفت من بعيد أراقبهم، وهم يترامون أمامي، أزيائهم تحترق مثلها، قد نظرت إليَّ، بالفعـل تنظر نحـوي وتتقدم، منعها أحد الرجال ولكنهـا لا تآبه فلطمته بصدرة ولازالت تتقدم نحوي، تتقدم وهي تحترق، "مجدي"وقف في ألم خلفها، امسك مسدسه، وأخذ يطلق الرصاصات، و الفتاة المحترقة لازالـت تتقدم نحوي في ثبات، أهرع إلى المطبخ، وأغلق الباب خلفي بإحكام، أحضر "أنبوبة البوتوجاز"الشـهيرة، أضعها خلف الباب وافتح صنبورها حتى شـممت"رائحة الغاز" بنفسـي، وانظـر إلى الباب الذي بدأ يتهشم من طرقاتها المكررة والخشنة، فتحت النافذةـالتي تطل على اللاشـيء، فقط أمامي"شـباك صغيـر" في الدور السـفلي، أخذت قرار بمنتصـف الثانية، أشـعلت عود الثقاب الذي أحضـره لي أحد الأقارب مـن الخـارج، ولا ينطفئ بسـهولة، ورميتـه، وعند رؤيتي للبـاب الذي تحطم، وقد رأيتها، انفجرت هي إثر إشتعال الأنبوبة، وطرت أنا...

وسقطت.

***

قد رأيت الفتاة التي غرقت في حلمي الأخير ،

فكانت تبتسم ...



همسات جانبية...

لا أستطيع تمييزها..

لا أقاوم النوم فأنا غارق في براثنه حقًا.

ولا استطيع فتح جفوني، يجب أن يجذبها أحدهم ليفتحها، لا استطيع تمييز تلك الأصوات!!وكأنها ليست العربية؟لكنها العربية!!لكن لا استطيع ترجمتها داخل تلافيف عقلي، أين أنا؟لا أدري؟حالة ما بين الغفلةوالنوم، أنا بين عالمين، فلا استطيع النوم، ولا استطيع أن أفيق وانتبه للجالسين، أحاول ترجمة حديثهم الذي أصبح واضح على مسامعي ، صوت فتاة يقول:

- بماذا أخبرك الطبيب؟

صوت رجل مألوف يقول بعدما أخذ زفيراً طويلاً يقول:

- يقول لو لم يفق خلال الأيام القادمة سوف نسحب عنه أدوات «الإعاشة».

ماذا يقول!!إنه مجدي، صوت مجدي، استطيع تمييزه لو وسط مليون شخص، عن ماذا يتحدثون، هل يتحدثون عني؟!تباً لك يا مجدي، فقط أنا لا استطيع فتح عيني ، هل تريد سلب حياتي مني أيها التعس ، استمع إلى صوت الفتاة يقول بيأس :

- لن أتركه، ولن أسمح بذلك الأمر؟

يقول هو بلكنة ساخرة:



- لا أصدق موضوع أنك أحببتيه يا فتاة!!، رغم أنكِ ظللتي جواره طيلة «الأربعة أشهر كاملة»، ولا أعتقد أن تلك المدة القصيرة التي قضيتها معه داخل ذلك «الكفر» كفيلة أن تذوب معاناتك وصدمتِك العاطفية بذلك الشاب الجالس على الفراش الذي يعتقد أنه ما بين الحياة والموت.

قالت الفتاة:

- ألم تقل أنه قال لأختي «ناردين» أنه يريدني ويريد إنقاذي، ألم يصرح لها بحبه معتقداً أنها أنا؟

لن أترك ذلك الشخص، لقد كنا مع ذلك «النوبي» وأعطاه تذكرة وهمية للفرار ولم يفر وبقى معي، ورهن حياته بحياتي، كيف أتركه؟

- إذن أنتِ لا تحبيه، فقط تردين الجميل!!

صمت طويل، ماذا ستقولين يا فتاة؟ هيا دافعي عني، قولي له أنك ظللت جواري لأنك أحببتني، قولي شيئًا ما، قالت بصوت خافت:

- لقد أنقذني.

قال صديقي وكأنه فاز عليها داخل الحلبة أخيراً !:

- كنت على حق، أنتِ «تَرُدّين الدين فقط»، وقلبك متعلق بذلك الوقح الذي يقبع داخل «مدينة المنصورة».

- من فضلك لا تذكره مجدداً.

- هل تخشين أن أسبه أمامك؟



- لا أنت تدوس على جرح قديم وتُصِر على فتحه وتفرح بنزيفه.

صمت صديقى الوقح، إنها ليست إحدى العاهرات التي تقابلهم يومياً داخل السجن أيها المغفل، ارتقي بحديثك مع الفتيات يا رجل، قال بهدوء :

- آسف يا نادين، وأرجو أن تقبلي إعتذاري.

قالت بصوتٍ هامسٍ تلومه به كثيراً وتحذره لا تكررها مرة أخرى، ذلك لو كان يشعرٍ من الأًصل:

- لا عليك!

قال بعدما شعر بالإحراج:

- سوف اذهب الأن، وسوف آتي غداً، هل سترحلين الأن أم ستبقين قليلاً معه؟

- سأبقى قليلاً، ولا تقلق بشأني معي السائق بالخارج، لقد أخبرت أهلي بكل شيء.

- هل أخبرتهم بشأن ذلك الشاب الذي جعلك تسافرين إلى «مدينة المنصورة»؟

تصمت كأنها تعاتبه مرة أخرى، ألا تفهم أيها الغبي!!، أنا ومن وضعي هذا علمت ما الذي قالته لأهلها، هيا فلترحل الأن واتركنا وحدنا، قالت :



- أخبرتهـم أني قمت بزيارة «مدينة المنصورة»من أجل رؤية صديقتي وقصتت عليهم ما حدث بالحرف الواحد، لن أخفي عنهم شـيئًا من بعد الأن

- حسناً فعلت، حسناً سوف اذهب، وداعاً.

اغلـق الباب خلفه ورحل، شـعرت باقترابها مني، تباً لقد امسـكت يدى في حنان وهمست داخل أذني:

- حازم..ليتنا التقينا من قبل، ليتنا.

أتعلـم شـيئاً!؟ ،منـذ تلـك اللحظـة التـي «اختطفتني فيهـا أختي»، عندمـا كنا نهرب مـن القتلة وسـافكي الدماء، ورأيتها ترتدي ملابسـي و خشـيت أن تقترب منك، لم أخشـى على نفسـي بقدر خوفي عليك، وضعونـي داخـل «سـرداب تحـت الأرض»، كنـت خائفة مـن دونك، غريـب ذلـك الأمـر ، لا أعرفـك ولا أدري شـيئًا عنـك، لكني شـعرت بالأمان معك وشـعرت بافتقـادك، ذلك الأمان الذي لـم أراه مع أبواي ولا مـع مـن أطلقت عليه لقب «حبيبـي»، ليس غريبـاً أن يأتي طعنة من أقـرب الأقربون إليك، من «أختي»!!، كانت تود الخلاص مني لسـبب أجهله، علمت أنـك تحديتها!!وكنت تعتقد أيها الصبي أنها أنا؟ وذلك مـا أغضبنـي كثيراً، لقد سـمعت أحدهم يقول أنك تعتقـد بأنها أنا وأنها قد أكدت لك ذلك الشـعور بتمثيلها الباهت، أتعلم لقد غِرت قليلاً، بل كثيـراً، عندما علمت أيضـاً أنك حاولت إنقاذ تلك الفتـاة داخل الممر، وحاولت بشـتى الطرق إنقاذها، لا أعلم سـر غيرتي ولكني غِرت، أغير



من فتاة حاولت إنقاذها وقد ماتت وذلك ما أحزنني، أغير من فتاة فقدت حياتها!، أدرك أن ذلك من طبع الرجال، ولكن لا تسألني كيف فأنا امرأة ولا يستطيع أحد أن يفهمني حتى أنا، هل ذلك نوع من أنواع الغيرة !؟، غيرة المحب!! لا أعرف!!رغم تلك الظروف الصعبة، لا أعلم شعوري تجاهك يا «حازم»!، ولا أريد أن أظلمك معي!، لكني سوف أظل إلى جوارك، لن أدعهم ينزعوا منك «فتيل الحياة»أبداً، وأنا جوارك أشعر بالأمان، نعم و حتى وأنت داخل تلك الغيبوبة، أشعر بالأمان، ولا أريد الإبتعاد عنه مطلقاً حتى وفاتي.

طبعت قبلتها بشفتيها الوردية على جبهتي، ولكن لا أقدر أن أصحوا، تثاقلت جفوني بشدة، لا يوجد كلمات داخلي تقال، لقد قالت كل شيئًا، أكملت وهي مقتربة نحو أذني:

- أفق يا حازم، أفق من ذلك الثبات، أنا من تسببت لك بكل هذه المتاعب، لقد كنت «أنا المقصودة»، أفق ولن تجدني ولن تراني مرة أخرى...فقط أفق .

الباب يطرق، أحدهم يدخل تبدو ممرضة، امسكت ذراعي تقيس النبض، ثم قالت لها:

- هل تحرك!؟هل حاول حتى تحريك الحدقة الداخلية يمكنك رؤيتها.

هناك صمت، أخمن أنها نفت ذلك الأمر، قالت الممرضة بآسف:

- كبار الأطباء هنا يقولون لا أمل، لن يفيق مطلقاً، يحتاج إلى معجزةً؟

قالت نادين في سرعة:



- كلا لن نفعلها، أنا أثق سوف يفيق قريبًا و قريبًا جداً، وذلك إحساسي وأنا أثق به، أبلغي الأطباء برفضي.
- سيدتي ذلك لمصلحتك، لن تضيعي عمرك جالسه جواره.
- ذلك ليس من شأنك ومن فضلك أخرجي،

***

شعرت بوجود أبي، جواري ويبكي عدة مرات، هل جاءت أمي؟ لا أدري، لا استطيع فتح جفناي يا سادة لم أمت بعد!، أشعر بتواجدكم لكني لا استطيع الحراك، رفض أبي نزع تلك الأشياء عني التي تعطيني الحياة مثلما قالوا!!، الجميع يذهب وتبقى هي «نادين»، لا تمل من إمساك يدي بحنان، وترديد بعض الكلمات بالقرب مني، قالت بالأخير:

- حازم، أود إخبارك بشيءٍ هام ولا أدري هل هو مفيد أم ماذا؟، لقد زارتني تلك المرعبة الكبيرة .

ماذا اللعنة!، كيف حدث هذا، أكملي ولا تتوقفي:

- كانت سيدة كبيرة عجوز، أتت لي داخل منزلي ولا أعلم كيف حدث هذا؟

تباً !، لا أصدق «ناردين» الأفعى عندما قالت لي أنها قتلتها، ماذا أفعل؟ كيف أتركك وحيدة تواجهين تلك الشمطاء بالتأكيد سوف تحتاج تلك الجوهرة، سوف تفعل المستحيل من أجل الوصول إليها بأي ثمن قالت بصوت خافت مليئ بالخوف :



- أخشـى أن أتركك وحيداً، أخشـى أن تفعل بي مكروه ولا أراك مرة أخرى.

كفـى يـا ناديـن، لا اسـتطيع التحمل بعد، لا اسـتطيع تحمـل كوني ضعيـف واهـن هش، لا اسـتطيع حتـى تحريك أي قطعة في جسـدي، جسد ميت، تنبض روحه الساكنة داخله في صمت! قالت نادين:

- لقـد قالـت لـي العجوز أنها سـوف تأتـي اليـوم لتأخذ مني شـيئًا لا أعلمه! قل لي ماذا أفعل؟ ماذا أفعل يا حازم؟

كل شيء صمت هنا وشعور الضعف يشملني ويسلبني طاقاتي، كفي عن الحديث أرجوك ودعيني، أو تشبثي بيدي جيداً، أحاول السيطرة من جديد، أريد إستعادة جسدي المسلوب منه الإرادة والحركة، أريد جمع كل طاقاتي والعودة، لحمايتها... نادين تصمت هناك شخصان بالغرفة، صوت نادين يقول:

- إنه يبكي، حازم يبكي، أبلغي الطبيب بسرعة، هيا أسرعي.

هناك رجل معها، لقد استمعت إلى صوته يهمس!! اللعنة، ماذا تفعل معها، هل أنت أحد أتباع العجوز!؟، لقد حدث ما كنت أخشاه..

صرخت نادين، صرخة مدوية، أيها الأوغاد...

***



هؤلاء فعلوها، لعبة طريفة أتت بثمارها.

أعادوني من أعماق تلك الغيبوبة...

الشمس تسطع أخيراً...



جلسنا نحن الثلاثة على ضفاف النيل، داخل الكافيتريا المحببة لي، «نادين» و «مجدى» و أنا، قالت نادين:

- قال لي الطبيب أن استمر في محادثتك، الطبيب رأى عيونك تتحرك يومينًا ويساراً وتتفاعل مع حديثي، حديثي أنا فقط.

قال مجدى:

- لاحظت ذلك الأمر، وقلت لها يجب أن يعلم حازم أنك تحد التهديد، وأن جلوسها معك تطمئنك فقط ولا تعطيك الحركة، إقترحت عليها ذلك الموضوع «عودة تلك العجوز للمطالبة بالجوهرة».

ابتسمت نادين وهي تكمل:

- كنت أرفض ذلك الأمر منذ البداية، ولكني فكرت برهة، وقلت لما لا، نحتاج لعودتك والأطباء يقولون تحتاج إلى المعجزة، وها هي قد تحققت وعدت لنا.

كنت جالس أحمل عكازاً بالطبع، كسرت قدمي وأحمل ذراعي الأيسر بذلك الحامل الطبى، إشتباه في شرخ ما، وللطمأنة فقط كوموا ذراعي بتلك الجبيرة، لا استطيع النطق وأنا استمع لهم قال حازم:

- حازم الذي لا يبكي طوال مسيرته بكى عندما شعر أنكِ بخطر يا نادين.

قاطعتهم:



- بكيت عندما شعرت بالعجز أيها الوغد هاها ها ها.

قالت نادين في مرح:

- المهم أنك عدت إلى صحوتك أخيراً.

وهنا اشْرَبَ «مجدي» بعنقه وقال:

- لو كانت تلك الأنبوبة كاملة لانفجر المنزل بإكمله أيها المعتوه، لحسن حظنا أنها أوشكت على النفاذ، وما تبقى من الغاز داخلها فجر الباب والمطبخ بأكمله.

قلت بهدوء:

- الأنبوبة أدت غرضها وأطاحت بها، لقد قال لابد أن تموت الساحرة بالحرق.

أسرع مجدي يقول:

- ولحسن حظك أيضاً أننا واضعنا داخل منزلك «كاميرات مراقبة دقيقة»، وإلا لكانت وفاتك وشيكة يا صديقي، وقد أحضرنا معنا القنابل الحارقة.

قلت متسائلاً :

- هل كنتم ستحرقونها أم ستحرقون منزلي؟

قال صديقي في مرح:

- كلاكما...هاهاها.



تنحنحت نادين، تلك الحركة التي تعني أتركنا وحدنا قليلاً، لنا حديث لا ينبغي لثالث أن يسمعه.

هنا انتبه مجدي أخيراً للأمر، فقال وهو ينظر إلى ساعته:

- أووووة لقد تأخرت على موعدي، سأترككم معاً.

ثم قام وربت على كتفي بود قائلاً :

- حمد لله على سلامتك يا صديقي، نادين سوف تحافظ عليك من بعدي ها هاها.

قالها وذهب ذلك الوغد العزيز، يظن نفسه ذكيًا، أنتقي كلماتك أيها التعس، ذهب بالأخير وتركنا وحدنا ، ثالثنا كان الصمت!!! لا أجد كلمات، كيف أشكرها!؟فلولاها لظللت قابع داخل جدران تلك الغيبوبة السحيقة، مثل الوقوع داخل حفرة عميقة دون أي وسيلة للنجاة، فكان صوتها هو حبل صعودي إلى الحياة مرة أخرى، ولقد كانت سببًا في هوان تلك الرحلة داخل «كفر الهلع»، لقد أحببت ذلك المكان ولا استطيع أن أخفيه، بوجودها، قلت لها بنبرة شاكرة :

- نادين عزيزتي، لا أعرف كيف أشكرك، أخبرني «أبي»عنك كثيراً أثناء تواجدك بالمشفى، قال لي لا تتركها أبداً، سوف تكون زوجة صالحة.

قالت بخجل:

- أباكَ يبالغ كثيراً.



- نادين هل تقبلين الزواج بي؟

صعقت من سؤالي وكأني قمت بسبها بأمها، اتسعت عيونها ثم قالت كالمشدوهة:

- هل تدرك ما قلته تواً؟

قلت بدهشة :

- هل أخطأت؟

أخذت نفسًا عميقًا، ثم قالت بهدوء:

- عيبك الوحيد التسرع!!

أحنيت حاجباي بغضبٍ وأنا استمع لها قالت بتأنس:

- تعلم ما مرتت به؟لقد كنت أحب شخص لمدة طويلة تكاد تقترب من «سنة كاملة»، بالنهاية صدمني ولقنني درسًا لن أنساه طيلة عمرى، خرجت من صدمة إلى صدمة أخرى، وهي الدخول إلى «كفر الهلع»وأختي التي تود الإنتقام مني لسببٍ مجهولٍ، قتلة وسافكي الدماء ثم وبالأخير سجينة لا تعلم مدةً حبسها، لكنها تدرك أنها سوف تموت على أي حال و...

قاطعتها بنفاذِ صبرٍ :

- لقد فهمت كل شيء لا تكملي.

إنصعقت من ذلك الأمر قائلة بإعتراض:

- لماذا قاطعتني ، من فضلك دعني أكمل !.



لا أعطها وجهي، وأنا أشعر بالغباء التام والتسرع الذي لم أنضج منه بالتاكيد، رغم سيري على قضبان الثلاثين، لازلت أحمق!!استمعت لها كالأطفال، وانظر إلى الإتجاه الأخر قالت:

- لم تفهمني بعد..

أسرعت قائلاً بإستنكار ولم أمهلها:

- ألـم تقولي اشـتقتي لي!؟، وآنسـتي التواجـد معي؟، ولـن تتركيني أبداً!؟، وتطالبيني برجوعي إلى وعيي مرة أخرى!

قال بدهشة :

- كيف علمت؟هل كنت مستمع لي من البداية.

- كل حرف نطق به فمك كنت استمع له بالطبع، ولكن ما كان يمنعني تلك الغيبوبة.

قالت بسعادة:

- هل كنت مستمع إلى كل حرف؟

لم أجبها، فقد تركتها تكمل حديثها «الماسخ»قالت:

- لم أرفضك بالطبع..أنت متسرع.

- ماذا تقصدين؟

قال بهدوء :



- يمكننا التعارف من جديد، لقد تعارفنا في ظروف كانت مرهقة لا تسمح لأحدنا أن يعرف الأخر بالكامل، أريد أن أعلم عيوبك مميزاتك.
- لقد تعارفنا من قبل، وأعتقد أني حتى لو كانت تلك «التذكرة الوهمية» التي أعطاها لي النوبي أكبر دليل على وفائي.
- يمكنك أن تفعل ذلك الأمر مع أي فتاة أخرى، أتذكر تلك الفتاة التي غامرت بحياتك من أجل إنقاذها ولم تستطيع!؟إنها فتاة أخرى قبلت أن تضحى بحياتك من أجلها أيضاً.
- لا تفهمين.
- أنت الذي لم يفهم بعد، ما هو الشيء المختلف الذي يجعلني مختلفة عن باقي الفتيات!؟

تلك اللعينة سمعتها من قبل تحسد الفتاة التي حاولت إنقاذها، لا افهمك أيتها الفتاة، ولا أدرك أيضاً هل تفهمين نفسك؟؟لذ قلت بهدوء:

- ماذا تريدين؟
- أريد فترة طويلة كي أتناسى تلك الأحداث برمتها، أكون مستعدة، يمكننا التعرف جيداً خلال تلك الفترة، ويتسلل حبك داخلي أكثر وأكثر .

قلت لها ببرود معتاد، أو كنت أتجنبه كثيراً ها قد عاد بأطنان من جبال الثلج:



- لا أملك وقتاً عزيزتي، فأمي قالت لي من قبل أريد أن أسعد بك وأن أحمل أطفالك بيدي، لذا لن أرفض رغبتها وسوف أتزوج بنت عمي، لا أحبها بالطبع، لكن لإسعاد أمي فقط، ويمكنك ذلك لو بقيتي في حياتي، أن تصبحي زوجة ثانية، لن أرفض ذلك الأمر مطلقاً، نكون حينها تعارفنا بشكل جيد ومناسب، ويمكنك أيضاً التعرف عليها، إنها فتاة طيبة حنونة، سوف تكونا صديقات.

ولا أملك حقاً ابنة عم..

***

أتممنا ليلة الزفاف، بعد أن أتممت شفائي بالكامل، أنا و"نادين" بالطبع، كان فرحًا صاخبًا بحق، المزيد من الأصدقاء والأقارب، وجوه أعرفها وأخرى لم أراها من قبل، لقد كانت ليلة مشوشة، وأدركت حينها شعور ذلك العريس الذي يبدو غائباً حاضراً داخل "الكوشة"، ولكن مهلاً، هناك "سيدة" وقفت جوار باب القاعة، وجهها مألوف لي كثيراً، بالطبع لا أكترث، لقد أشرت إلى نادين التي كانت "كعروس بحر"، أو "كملاك هبط من السماء" وجلس جواري، أشرت لها وقلت بهمس:

- أهي قريبتك؟ قالت بعدم إكتراث وإهتمام لا يخلو من الابتسامة العذبة

- لا أعرفها!!



تلاشيت ذلك الأمر برمته، كنت أرقص مع الأصدقاء بالطبع، ووجها لا يفارقني أبداً، لقد انتهى كل شيء، فات شهراً كاملاً بسرعة رهيبة، حسبته يوماً أو يومان «نادين زوجتي»، هي أغلى شيئًا دخل حياتي بالفعل، محونا الماضي وكأنه لم يكن، وامسكنا ذلك الدفتر الكبير، الذي وقع عليه كل من حضر ليلة الزفاف، قلبنا الصفحات نتسائل من هذا ومن هذه؟، وفي الصفحات الأخيرة وجدت جملة مخيفة، لم استطيع النوم بعدها طوال ذلك الأسبوع الطويل، جملة أدخلتني داخل أعماق تفكير مرعب، لم أقل لها بالطبع، ما أسعدني إنها سعيدة، جملة واحدة كفيلة بجلوسي شارداً، لا أجيب على أسألتها المتكررة «ما بكَ، ما بكَ».

كانت الجملة مختصرة جداً تقول:

«أين الجوهرة».

تمت

هل انتهت الحكاية ؟... لا أعتقد...



شكراً جزيلاً لـ:

إيمان متولي

ولاء أبو اليسر.

فهرست

الكاتب

محمود إمام كاتب روائي من مواليد القاهرة سبق له النشر في معظم الجرائد المصرية..صدر أول أعماله الروائية «المنكود» عام ٢٠١٤ والثانى ٢٠١٥ رواية «السرب ونهاية» عام ٢٠١٥ وتحولت «الجلسة التاسعة»إلى عمل فني مسرحي وهي من نوعية الإثارة النفسية..وصولاً إلى أخر أعماله «حنين زائف»وهي من نوعية الرومانسية الإجتماعية.





أعمال الكاتب

١- المنكود .

٢- السرب.

٣- الجلسة التاسعة.

٤- حنين زائف .

ولمتابعة الكاتب

https://www.facebook.com/mahmoud.emam.35
https://www.instagram.com/mahmoud.emam.35





قبل أن تفتح الصفحات لتطالع أحداث الرواية

لو كنت رقيق القلب فهي لك.

إن كنت تتمتع بالبرود أيضا ويغتاظ منك الجميع؛ افتحها إنها لك. أنت مثلي تمامًا

إن كنت تتمتع بالقراءة والمشاعر الرقيقة وتعيش روايات الحب المملة.. إنها لك

على أي حال..

يمكنك القول أنها تحمل كل تلك الأشياء السابقة!

من أنا؟

أنا (حازم شريف) الكاتب الشهير المعروف بالتأكيد سمعت عني وقد انحنى حاجبك في دهشة واستنكار وأنت تطرح سؤالك، هل يكتب حازم شريف الذي اشتهر برواياته الاجتماعية الكلاسيكية ويخط بقلمه (رواية رعب)!!..

وترددها بدهشة (رواية رعب) !!!

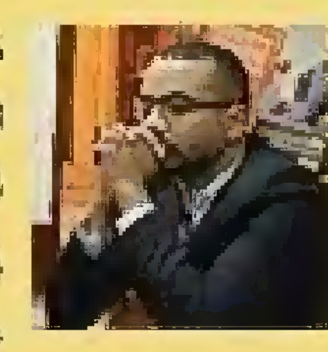
بالطبع فعلتها.. لقد خضت تجربة تستحق التدوين، تجربة خطرة ومميتة ومتعبة وأصابتني بالهلع والفزع. ووو

تلك حكايتي وأنا أشعر بشغفك لمعرفتها

عزيزي تقدم لدخول كهف الهلع

وقل لي في النهاية، هل تستحق حكايتي لسما آخر؟

غلاف: أسامة علام



محمود إمام.. كاتب روائي من مواليد القاهرة سبق له النشر في معظم الجرائد المصرية. صدر أول أعماله الروائية (المنكود) عام ٢٠١٤ والثاني ٢٠١٥ رواية (الضرب) ونهاية عام ٢٠١٥ (الجلسة التاسعة) تحولت إلى عمل فني مسرحي وهي من نوعية الإثارة النفسية.. وصولا إلى آخر أعماله (حنين زائف) وهي من نوعية الرومانسية الاجتماعية



